فتح الرحمن
بكشف ما يلتبس في القرآن

تأليف

الإمام شيخ الإسلام زكريا الأنصارى الشافعى

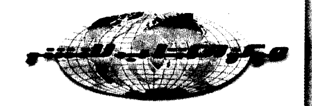
المتوفى سنة ٩٢٦ هـ

تحقيق

الدكتور/ السيد الجميلى **الدكتور/ أحمد السايح**

مركز الكتاب للنشر

الطبعة الأولى
١٩٩٩



مصر الجديدة : ٢١ شارع الخليفة المأمون - القاهرة
تليفون : ٢٩٠٨٢٠٣ - ٢٩٠٦٢٥٠ - فاكس : ٢٩٠٦٢٥٠

مدينة نصر : ٧١ شارع ابن النفيس - المنطقة السادسة - ت : ٢٧٢٣٣٩٨

بسم الله الرحمن الرحیم



الشيخ زكريا الأنصارى (*)

٨٢٥ أو ٨٢٦ - ٩٢٦ هـ

١٤٢٠ أو ١٤٢٣ - ١٥٢٠ م

هو الإمام العلامة الشيخ زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصارى السبكى المصرى الشافعى، أبو يحيى، شيخ الإسلام. كان مفسرًا من المفسرين، وحافظًا من الحفاظ، غزير العلم، قوى الأركان والدعائم فى العلم، ملحوظ المكانة والمنزلة.

ولد ـ رحمه الله ـ فى سنيكه (إحدى أعمال مديرية الشرقية بمصر المحروسة) سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة (على ما ذكر الزركلى فى الأعلام ٣/ ٤٦ وقد وافقه على ذلك صاحب الكواكب السائرة ١/ ١٩٦) أو سنة ستة وعشرين (معجم المؤلفين ٤/ ١٨٢) وقيل: بل ولد سنة أربع وثلاثين، وذكر ابن العماد أنه ولد سنة ثمان وعشرين وثمانمائة وتوفى سنة خمس وعشرين وتسعمائة للهجرة (شذرات الذهب ٨/ ١٣٤) بيد أن صاحب نظم العقيان يذكر لنا أنه ولد سنة أربع وعشرين وثمانمائة(١١٣).

بعد أن حفظ القرآن الكريم فى صباه تحول إلى القاهرة سنة احدى وأربعين، واختلف إلى الأزهر الشريف، وظل ينهل من ورده السخى، ومعينه الذى لا ينضب، فحفظ الألفية والمنهاج والشاطبية، وغيرها من مهمات المتون فى التفسير ومصطلح الحديث واللغة والمعانى، والبيان، والبديع، والمنطق، والفرائض والعروض والقوافى، والنحو والصرف، والحساب والجبر، ولم يؤثر علمًا على علمٍ فإن العلوم كلها كانت أثيرة عنده وليس بعضها بأولى من بعض.

---

* راجع ترجمة الشيخ زكريا الأنصارى فى المصادر والمراجع الآتية:
شذرات الذهب لابن العماد ٨/ ١٣٤ ـ ١٣٦ ، والبدر الطالع للشوكانى ٢/ ٢٥٢، ٢٥٣ ، وحاجى خليفة فى كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون فى مواضع عديدة متفرقة، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ٤/ ١٨٢، ١٨٣ والأعلام للزركلى ٣/ ٤٦، ٤٧ ، ومعجم المطبوعات ليوسف اليان سركيس ١/ ٤٨٣ـ ٤٨٨، والكواكب السائرة ١/ ١٩٦ والنور السافر ١٢٠ .

كان الشيخ زكريا الأنصارى معاصرًا للإمام السيوطى - رحمه الله - العلامة الموسوعى المعروف، فقد مات السيوطى سنة احدى عشرة وتسعمائة، أى قبل وفاة زكريا بأربع عشرة سنة فقط.

وقد عاصر لفيفًا من أعلام عصرة أمثال الحافظ ابن حجر والعلامة أستاذ الوجود (كما أسماه السيوطى) الشيخ الكافيجى، والقاضى بدر الدين بن جماعة، والشيخ سراج الدين البلقينى، والشرف المناوى، والإمام الحصنى وغيرهم وغيرهم.

اشتهر الشيخ زكريا الأنصارى بسعة الأفق، وطول الباع فى علوم الشريعة، كذلك اشتهر برقة الحال إذ نشأ فقيرًا معدمًا، لم يكن لديه ما يتزجى به.

ومما ذكرته عنه كتب التاريخ أنه كان يجلس فى الأزهر ينهل من العلوم والمعارف، ثم ينتظر حتى يجن الليل وتخلو الشوارع من السابلة، فيخرج تحت جنح الظلام، ليجمع قشر البطيخ ليأكله.

ولى الإمام قضاء الشافعية فى دولة السلطان الأشرف قايتباى بعد تردد من جانبه، ومحاولات استرضاء من السلطان قايتباى، ووافق أخيرًا، فلما رأى أشياء لا ترضيه، انتقدها واعترض عليها عزله السلطان. وكان أمضى فى القضاء زهاء عشرين سنة، ثم كف بصره، وكان ذلك قبل وفاته بمدة طويلة، ومات وهو معزول عن القضاء.

يذكر صاحب «معجم المطبوعات» أنه ولى فى آخر عمره مشيخة مدرسة الجمالية، ودرس فى القاهرة نحو ثمانين سنة، وقد توفى رحمه الله فى يوم الجمعة لأربع خلون من ذى الحجة. وقد تأثر الناس بموته، وحزنوا عليه حزنًا شديدًا.

رحم الله زكريا الأنصارى وجعله من المقبولين المرحومين آمين.

من مكتبة الشيخ زكريا الأنصارى

١ - أسنى الطالب فى شرح روض الطالب. وهو شرح على روض الطالب لابن المقرى. وهو كتاب نفيس فى الفقه، وبهامشه حاشية الشيخ أحمد الرملى الكبير (فقه شافعى) ونشر جزؤه الرابع بمصر سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة وألف للهجرة.

٢ - تحفة البارى على صحيح البخارى، وهو مطبوع من كتاب «إرشاد السارى لشرح صحيح البخارى للقسطلانى» سنة خمس وعشرين وثلاثمائة وألف.

٣ - حاشية على التلويح - فى علم الأصول - .

٤ - الدقائق المحكمة فى شرح المقدمة الجزرية فى التجويد، مطبوع فى المطبعة الميمنية سنة ثمان وثلاثمائة وألف، وبهامشه المنح الفكرية بشرح المقدمة الجزرية لملاّ على القارى.

٥ - شرح الشافية لابن الحاجب.

٦ - غاية الوصول شرح لب الأصول.

٧ - تحرير تنقيح اللباب.

٨ - شرح ايساغوجى، المعروف بالمطلع فى علم المنطق، مطبوع ببولاق، سنة اثنتين وثمانين ومائتين وألف للهجرة، فى مجموعة رقم ثلاثة وتسعين.

٩ - فتح الرحمن على متن لقطة العجلان للزركشى (فى علم الأصول) وبالهامش حاشية الشيخ يس على الشرح المذكور. مطبوع بمطبعة النيل سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة وألف.

١٠ ـ الغرر البهية فى شرح البهجة الوردية ـ وهو الشرح الكبير. وقد فرغ من تأليفها سنة سبع وستين وثمانمائة.

١١ ـ فتح رب البرية بشرح القصيدة الخزرجية فى علم العروض، طبع بهامش «العيون الفاخرة الغامرة على خبايا الرامزة لابن أبى بكر الدمامينى، بمصر سنة ثلاث وثلاثمائة وألف.

١٢ ـ لب الأصول. وهو مختصر من جمع الجوامع لابن السبكى.

١٣ ـ الملخص من تلخيص المفتاح، فى البلاغة. بولاق سنة خمس وثلاثمائة وألف.

١٤ ـ منهج الطلاب، فى فقه الإمام الشافعى. وهو يعتبر مختصرًا من منهاج الطالبين للنووى ـ طبعة بولاق سنة خمس وثمانين ومائتين وألف وسنة أربع وتسعين ومائتين وألف، وطبع حجر بمصر سنة سبع وثمانين ومائتين وألف بمطبعة الجمالية.

١٥ ـ فتح الرحمن بشرح رسالة الولى رسلان، وهو شرح الرسالة الرسلانية فى علم التوحيد، طبع سنة سبع عشرة وثلاثمائة وألف.

١٦ ـ فتح الرحمن بكشف ما يلتبس فى القرآن ـ وهو كتابنا هذا. وسبق طبعه بحاشية السراج المنير فى الإعانة على معرفة بعض كلام ربنا الحكيم الخبير (طبعة بولاق سنة تسع وتسعين ومائتين وألف).

بين يدى هذا الكتاب

هذا الكتاب النفيس القيم الرائع فى مادته وتناوله قد جمع فى أطوائه وبين ثناياه عديدًا من المسائل الدقيقة، واللطائف البارعة التى تثبت بيقين عظمة القرآن الكريم، وأنه تنزيل من رب العالمين، لا يأتيه ولا يمكن أن يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

ولئن كان كتاب الإمام زكريا الأنصارى هذا الذى نقدمه مسبوقًا ببضعة كتب فى موضوعه، إلا أنه أفاد من هذه الكتاب جميعاً بنقول واضحة صريحة لكن مع عدم الإشارة إلى أى منها.

ولكونه جامعًا لها آخذًا بأحسن كل منها فقد أربى عليها جميعًا لتوسعه فى المادة، مع غزارة الشرح الذى يتناسب مع ما توفر عليه من مصادر لم تتوفر لأسلافه من أولئك المصنفين.

وكما كان للأسلاف فضل السبق، فقد كان للشيخ زكريا الأنصارى فضل التوسع والإضافة والمزيد من التمكين.

ولعل أهم الكتب التى عول عليها الإمام الأنصارى فى تصنيف هذا الكتاب: «درة التنزيل للرازى» وكتاب: «درة التنزيل وغرة التأويل للاسكافى»، ثم كتاب: «البرهان فى توجيه متشابه القرآن لتاج القراء الكرمانى».

ولعل أكثر هذه الكتب اعتمادًا عليها فى تزويد هذا السفر الممتع هو كتاب «البرهان للكرمانى» وقد حققه السيد الجميلى، ونشر فى مركز الكتاب للنشر بالقاهرة.

فقد نقل الإمام الأنصارى ما ينيف على ثلاثة أرباع مسائل الكرمانى بأعيانها وضمنها كتابه بنفس السياق والأسلوب من غير إشارة أو ذكر لسبق الكرمانى فى ذلك ـ وهكذا كانت عادتهم قديمًا ـ لكن مما هو جدير بالذكر، أن الأنصارى توسع فى الكثير منها وأضاف إليها إضافات كثيرة من وحى خاطره ومن فيض الهامه، وجليل فيوضاته، وهى نافعة كثيرة الفائدة على العلم وأهله لانطوائها على جليل الفضل والفضيلة، فله كل التقدير والامتنان كفاء ما أسدى وسوغ ونفخ.

* * *

تناول الكتاب «متشابه القرآن» إذ عمد إلى ذكر الآيات المتشابهات وذكر الفروق بين كل منها، وأفاض وأجاد فى بيان وتبيين علل الاختلاف أو التشابه بالأدلة القوية الرصينة.

إن أكثر إن لم يكن جميع العلل والإشارات الواردة محل وموضع الاحتجاج فى تفسير الحكمة فى التشابه إما لغوية نحوية أو صرفية، وإما بلاغية أو تفسيرية... الخ.

لذلك فإننا لا نعدو القول والحق إذا ما قررنا أن هذه المادة العلمية المسوقة والمقدمة فى هذا الكتاب تعتبر روضة فيحاء، قد جمعت الكثير من أصناف وأخياف العلوم النافعة، وهى رصيد كبير ذو أثر محمود فى إشاعة الخير الذى حرص عليه المولف ـ رحمه الله ـ ورضى عنه وأرضاه ـ ونحرص عليه بدورنا نظرًا لقيمته العلمية ومكانته الرفيعة بين نظرائه وأضرابه.

* * *

حصلنا على نسخة كاملة للكتاب، وهى مصورة من أصل المخطوطة الإسبانية، والتى رمزنا إليها بالحرف (ص) وهى مودعة بمكتبة أم القرى.

وفى واجهة النسخة ورد الآتى:

كتاب فتح الرحمن بكشف (ما لبس) فى القرآن وقد اعتمدناها كأصل لتحقيق الكتاب لأنها أكمل وأدق نسخة وقعت تحت أيدينا. وهى تقع فى مائة وثمان وخمسين ورقة من القطع الكبير.

وعلى واجهتها رقم كودى ١٣٨٥ وعليها خمسة أسطر باللغة الفرنسية.

تحتوى الصفحة على سبعة عشر سطرًا، والسطر على ثلاث عشرة كلمة فى المتوسط، وخطها واضح وذكر الناسخ أنها منسوخة يوم الاثنين المبارك الموافق الثامن والعشرين من شهر ذى القعدة سنة خمس وألف. والحمد لله وحده.

توجد نسخة أخرى بمكتبة جامعة أم القرى بمكة المكرمة (ج) وفيها وعلى صفحتها الأولى ورد تحريف فى العنوان «(فتح الرحمن بكشف) (ما تلبس) فى القرآن».

وتحتوى الصفحة على سبعة عشر سطرًا، ويحتوى السطر على احدى عشرة كلمة إلى اثنتى عشرة كلمة.

نسخة أخرى مودعة بالحرم المكى الشريف (ح) وورد بها أيضًا تحريف آخر فى العنوان إذ ورد كالآتى:

فتح الرحمن بكشف (ما يلبس) فى القرآن.

وعليها تمليكات وتحتوى الصفحة على واحد وعشرين سطرًا فى المتوسط، ويحتوى السطر على اثنتى عشرة كلمة فى المتوسط أيضًا، وخطها واضح.

وقد عمد العلامة الأستاذ الشيخ محمد على الصابونى صاحب (صفوة التفاسير) إلى تحقيق هذا الكتاب سلفا على هذه المخطوطات الثلاث فى مطبوعة لم تقع فى أيدينا إلا بعد أن أشرفنا على إتمام تحقيق الكتاب، وهذه من المفارقات الجميلة فأفدنا منها إفادة مرموز إليها بالحرف (ط).

ومن المصادفات العجيبة أيضًا أن أخبرنا الصديق الكريم الأستاذ الدكتور عبدالقادر حسين رئيس قسم الأدب والنقد بكلية الدراسات الإسلامية بجامعة الأزهر ـ لما علم بتحقيقنا لهذا الكتاب ـ أنه حققه منذ نحو سبع سنوات لكن حتى الآن لم ينشر بعد.

وقد عمدنا بعد نسخ الكتاب من المصورة الأسبانية إلى ضبطه وترقيم مسائله ترقيمًا ينتظم الكتاب كله.

ثم خرجنا الآيات من المصحف الشريف وعولنا على ضبط أصوله على كتابين أساسيين: هما البرهان فى توجيه متشابه القرآن للكرمانى مشيرين إلى كل مسألة بنظيرتها فى البرهان، وكذلك كتاب فتاوى الإمام النووى.

ثم استقصينا مصادر ومراجع التفسير الشهير المعتمدة فى تفسير كثير من الآيات مثل القرطبى، والطبرى، والبحر المحيط لأبى حيان، والتفسير الكبير للفخر الرازى، وزاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى، والتسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى، والجلالين، والدر المنثور فى التفسير بالمأثور للسيوطى وغيره وغيره.

هذا والخير أردنا ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، والحمد لله رب العالمين.

المحققان

سورة الفاتحة

١ ـ قوله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝١﴾ أى أبتدىء. وتقدير العامل مؤخرًا كما صنعت أولى من تقديم ليفيد الاختصاص، والاهتمام بشأن المقدم.

وإنما قدم فى قوله ﴿اقرأ باسم ربك﴾ للاهتمام بالقرآن لأن ذلك أول سورة نزلت.

٢ ـ قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝٣﴾ كرره لأن الرحمة هى الإنعام على المحتاج، وذكر فى الآية الأولى المنعم دون المنعم عليهم، وأعادها مع ذكرهم بقوله ﴿رب العالمين﴾ الخ.

فإن قلت: الرحمن أبلغ من الرحيم فكيف قدمه؟ وعادة العرب فى صفات المدح الترقى من «الأدنى» إلى «الأعلى» كقولهم: فلان عالم نحرير.. لأن ذكر الأعلى أولاً، ثم الأدنى، لم يتجدد بذكر الأدنى فائدة، بخلاف عكسه؟

قلت: إن كانا بمعنى واحد كندمان ونديم، كما قال الجوهرى وغيره فلا إشكال، أو بأن ﴿الرحمن﴾ أبلغ كما عليه الأكثر، فإنما قدمه لأنه اسم خاص بالله تعالى كلفظ «الله».

٣ ـ قوله تعالى: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ كرر ﴿إياك﴾ لأنه لو حذفه فى الثانى لفاتت فائدة التقديم، وهى قطع الاشتراك بين العاملين، إذ لو قال: «إياك نعبد ونستعين» لم يظهر أن التقدير إياك نعبد وإياك نستعين.. أو إياك نعبد ونستعينك.

فإن قلت: إذا كان «نستعينك» مفيدًا لقطع الاشتراك بين العاملين، فلم عدل عنه مع انه أخصر، إلى «وإياك نستعين»؟

قلت: عدل إليه ليفيد الحصر بين العاملين مع أنه أخصر.

فإن قلت: فلم قدم العبادة على الاستعانة، مع أن الاستعانة مقدمة، لأن العبد يستعين بالله على العبادة ليعينه عليها؟

قلت: الواو لا تقتضى الترتيب، أو المراد بالعبادة التوحيد، وهو مقدم على الاستعانة على سائر العبادات.

٤ ـ قوله تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴿٧﴾﴾ كرر «الصراط» لأنه المكان المهيأ للسلوك، فذكر فى الأول المكان دون السالك، فأعاده مع ذكره بقوله ﴿صراط الذين أنعمت عليهم﴾ الخ.. المصرح فيه بما يخرج «اليهود» وهم المغضوب عليهم، و«النصارى» وهم الضالون فإن قلت: المراد «بالصراط المستقيم» الإسلام، أو القرآن، أو طريق الجنة كما قيل...

والمؤمنون مهتدون إلى ذلك، فما معنى طلب الهداية له، إذ فيه تحصيل الحاصل؟

قلت: معناه ثبتنا وأدمنا عليه مع الاستقامة كما فى قوله ﴿يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله﴾.

فإن قلت: ما فائدة دخول «لا» فى قوله ﴿ولا الضالين﴾ مع أن الكلام بدونها كاف فى المقصود؟

قلت: فائدته توكيد النفى المفاد من «غير».

« تمت سورة الفاتحة »

****

سورة البقرة

٥ ـ قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ①﴾ كرر فى أوائل ست سور. وزاد فى الأعراف «١» صادًا ﴿المص﴾ لقوله بعده ﴿فلا يكن فى صدرك حرج منه...﴾ الآية.

وفى الرعد «١» راء ﴿المر﴾ لقوله بعده ﴿الله الذى رفع السموات...﴾ الآية.

واعلم أن حرف الهجاء فى أوائل السور من المتشابه الذى استأثر الله بعلمه، وهى سر القرآن وفائدة ذكرها طلب الإيمان بها. وقيل: هى معلومات المعانى، وعليه:

فقيل: كل حرف منها أول اسم من أسماء الله. فالألف من «الله» واللام من «اللطيف» والميم من «المجيد» والصاد من «صادق» والراء من «رؤوف».

وقيل: هى أقسام أقسم الله بها لشرفها.

وقيل: غير ذلك وأن تسميتها حروفًا مجازًا، وإنما هى أسماء مسمياتها الحروف المبسوطة.. وعليه:

فقيل: معربة وقيل: مبنية وقيل: لا، ولا وقد بينت ذلك فى غير هذا الكتاب.

٦ ـ قوله تعالى: ﴿لا رَيْبَ فيه ②﴾ (أى لا شك فيه: فإن قلت: كيف نفى الريب وكم ضال ارتاب فيه؟ قلت: المراد أنه ليس محلاً للريب أو لا ريب فيه عند الله ورسوله، والمؤمنين، أو ذلك نفى بمعنى النهى أى لا ترتابوا فيه لأنه من عند الله، ونظيره قوله تعالى ﴿إن الساعة آتية لا ريب فيها..﴾.

---

٥ ـ راجع كشاف الزمخشرى ١/٧٦، والبرهان فى توجيه متشابه القرآن للكرمانى مسألة رقم ٥ بتحقيق السيد الجميلى.

فإن قلت: كيف قال: ﴿هدى للمتقين﴾ وفيه تحصيل الحاصل، لأن المتقين مهتدون؟

قلت: إنما صاروا متقين باستفادتهم الهدى من الكتاب أو المراد بالهدى الثبات والدوام عليه أو أراد الفريقين واقتصر على المتقين، لأنهم الفائزون بمنافع الكتاب، وللإيجاز كما فى قوله تعالى ﴿سرابيل تقيكم الحر..﴾.

٧ ـ قوله تعالى: ﴿هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾﴾ أى يعلمون. واليقين: العلم بعد أن لم يكن، ولهذا لا يقال لعلم الله يقين.

٨ ـ قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ﴿٥﴾﴾.

فإن قلت: لم ذكر ذلك مع قوله قبل ﴿هدى للمتقين﴾؟

قلت: لأنه ذكر هنا مع «هدى» فاعله بخلاف ثم.

٩ ـ قوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ ﴿٦﴾﴾.

فإن قلت: لم حذف الواو هنا، وأثبتت فى «يس»؟

قلت: لأن ما هنا جملة هى خبر عن اسم «ان» وما هناك جملة عطفت على أخرى.

فإن قلت: ما فائدة بعثة الرسل بعد قوله ﴿سواء عليهم﴾ الآية.

قلت: لئلا يكون للناس حجة، أو لأن الآية نزلت فى قوم «لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية» فبعثة الرسل انتفع بها آخرون فآمنوا.

١٠ ـ قوله تعالى: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴿٨﴾﴾.

إن قلت: كيف قاله مع أن المخادعة إنما تتصور فى حق من تخفى عليه الأمور، ليتم الخداع من حيث لا يعلم، ولا يخفى على الله شىء؟

قلت: المراد يخادعون رسول الله إذ معاملة الله معاملة رسوله كعكسه لقوله تعالى ﴿إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله﴾ وقوله ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾ أو سمى نفاقهم خداعًا لشبهه * بفعل المخادع.

(*) فى الأصل المخطوط «الشبهة» وهو تحريف من الناسخ.

١١ ـ قوله تعالى: ﴿أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ ﴿١٢﴾﴾.

إن قلت: كيف خص الفساد بالمنافقين مع أن غيرهم مفسد؟

قلت: المراد بالفساد الفساد بالنفاق، وهم كانوا مختصين به.

١٢ ـ قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴿١٥﴾﴾.

إن قلت: الاستهزاء من باب العبث والسخرية، وذلك قبيح على الله تعالى ومنزه عنه؟

قلت: سمى جزاء الاستهزاء استهزاء مشاكلة كقوله «وجزاء سيئة سيئة مثلها» والمعنى: أن الله يجازيهم جزاء استهزائهم.

١٣ ـ قوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ ﴿١٩﴾﴾.

إن قلت: ما فائدة قوله «من السماء» مع أن الصيب لا يكون إلا منها؟

قلت: فائدته أنه عرف السماء، وأضاف الصيب إليها ليدل على أنه من جميع آفاق السماء، لا من أفق واحد، إذ كل أفق يسمى سماء ونظير ذلك قوله تعالى ﴿وما من دابة فى الأرض﴾.

١٤ ـ قوله تعالى: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم... ﴿١٩﴾﴾.

عبر بالأصابع عن أناملها والمراد بعضها لأنهم إنما جعلوا بعض أناملها.

١٥ ـ قوله تعالى: ﴿فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ أى أنه لا أنداد له.

فإن قلت: المشركون لم يكونوا عالمين بذلك، بل كانوا يعتقدون أن له أندادًا؟

قلت: المراد وأنتم تعلمون أن الأنداد لا تقدر على شىء مما مر قبل ذلك، أو وأنتم تعلمون أنه ليس فى التوراة والإنجيل جواز اتخاذ الأنداد.

١٦ ـ قوله تعالى: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ ﴿٢٣﴾﴾.

إن قلت: لم ذكرت «من» هنا، وحذفت فى سورتى «يونس» و«هود»؟

---

١٦ ـ البرهان ٩، والفتاوى للنووى ١٩.

قلت: لأن «من» هنا للتبعيض أو للتبيين أو زائدة على قول الأخفش، بتقدير رجوع الضمير فى «مثله» إلى «ما» فى قوله: «مما نزلنا» وهو الأوجه. والمعنى على الأخير: فأتوا بسورة مماثلة للقرآن فى البلاغة وحسن النظم، وعلى الأولين: فاتوا بسورة مما هو على صفته فى البلاغة وحسن النظم، وحينئذ فكأنه منه، فحسن الإتيان بـ «من» الدالة على ما ذكر بخلاف ذاك، فإنه قد وصف السور بالافتراء صريحا فى «هود» وإشارة فى «يونس» فلم يحسن الإتيان بـ «من» الدالة على ما ذكر، لأنها حينئذ تشعر بأن ما بعدها من جنس ما قبلها؛ فيلزم أن يكون قرآنا وهو محال.

ويجوز جعل «من» للابتداء، بتقدير رجوع الضمير فى «مثله» إلى عبدنا أى «محمد» والمعنى: فأتوا بسورة مبتداه من شخص مثل محمد.

١٧ ـ قوله تعالى: ﴿من دون الله﴾.

أى من غيره، وهو بهذا المعنى فى جميع ما جاء منه فى القرآن. وقد يستعمل بمعنى «قبل» كقولهم: المدينة دون مكة، ولا أقوم من مجلسى دون أن تجيء، ولا أفارقك دون أن تعطينى حقى.

١٨ ـ قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ ﴿٢٤﴾﴾.

إن قلت: كيف عرف النار هنا، ونكرها فى التحريم؟

قلت: لأن الخطاب فى هذه مع المنافقين، وهم فى أسفل النار المحيطة بهم، فعرفت بلام الاستغراق أو العهد الذهنى وفى تلك مع المؤمنين والذى يعذب من عصاتهم بالنار، يكون فى جزء من أعلاها، فناسب تنكيرها لتقليلها.

وقيل: لأن تلك الآية نزلت قبل هذه بمكة، فلم تكن النار التى وقودها الناس والحجارة معروفة فنكرها ثم، وهذه نزلت بالمدينة فعرفت إشارة إلى ما عرفوه أولاً. ورد هذا بأن «آية التحريم» نزلت بالمدينة بعد الآية هنا.

١٩ ـ قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ.. ﴿٢٥﴾﴾.

إن قلت: كيف شرط فى دخول المؤمن الجنة العمل الصالح مع أن مجرد الإيمان كاف فى دخولها؟

قلت: المراد بالعمل الصالح: الإخلاص فى الإيمان أو الثبات عليه إلى الموت أو المراد بدخول الجنة دخولها مع الفائزين.

٢٠ ـ قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً...(٣٠)﴾.

أى قومًا يخلف بعضهم بعضا. أو «آدم» بمعنى خليفة عنى بأمرى. أو خليفة عن ملائكتى أو عن الجن.

٢١ ـ قوله تعالى: ﴿اسْجُدُوا لآدَمَ..(٣٤)﴾ أى تكرمة لا عبادة.

٢٢ ـ ﴿اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا..(٣٥)﴾.

إن قلت: لم قال هنا «وكلا» بالواو، وفى الأعراف «فكلا» بالفاء؟

قلت: لأن «اسكن» هنا معناه استقر، لكون «آدم» و«حواء» كانا فى الجنة، والأكل يجامع الاستقرار غالبًا، فلهذا عطف الواو الدالة على الجمع. والمعنى: اجمعا بين الاستقرار والأكل. وفى الأعراف: معناه ادخل لكونهما كانا خارجين عنها، والأكل لا يكون مع الدخول عادة بل عقبه، فلهذا عطف بالفاء الدالة على التعقيب.. وقد بسطت الكلام على ذلك فى الفتاوى.

٢٣ ـ قوله تعالى: ﴿اهْبِطُوا مِنْهَا..(٣٨)﴾.

كرر الأمر بالهبوط للتوكيد. أو لأن الهبوط الأول من الجنة والثانى من السماء. أو لأن الأول إلى دار الدنيا يتعادون فيها ولا يخلدون والثانى إليها للتكليف فمن اهتدى نجا، ومن ضل هلك.

٢٤ ـ قوله تعالى: ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ..(٣٨)﴾ وفى «طه» ﴿فمن اتبع هداى..﴾.

---

٢١ ـ انظر البرهان ١٠.

٢٢ ـ انظر فتاوى الإمام النووى مسألة رقم ٢٢ والبرهان ١١.

٢٣ ـ انظر البرهان مسألة رقم ١٢.

٢٤ ـ البرهان ١٣.

إن قلت: لم عبر هنا بـ «تبع» وثم بـ «اتبع» مع أنهما بمعنى؟

قلت: جريًا على الأصل هنا، وموافقة لقوله ﴿يومئذ يتبعون الداعى﴾ ثم طه «١٢٣» ولأن القضية لما بنيت من أول الأمر على التأكيد بقوله تعالى: ﴿ولقد عهدنا إلى آدم من قبل﴾ ناسب اختصاصها بالزيادة المفيدة للتأكيد.

٢٥ ـ قوله تعالى: ﴿وَلا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ .. ﴿٤٢﴾﴾.

إن قلت: لا تغاير بينهما فكيف عطف أحدهما على الآخر؟

قلت: بل هما متغايران لفظًا كما فى قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ .. ﴿١٥٧﴾﴾ أو لفظًا ومعنى، لأن المراد بلبسهم الحق بالباطل كتابتهم فى التوراة ما ليس فيها، وبكتمانهم الحق قولهم: لا نجد فى التوراة صفة محمد.

٢٦ ـ قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿٤٦﴾﴾.

إن قلت: ما فائدة ذكر الثانى مع أن ما قبله يغنى عنه؟

قلت: لا يغنى عنه، لأن المراد بالأول: أنهم ملاقو ثواب ربهم، على الصبر والصلاة.

وبالثانى: أنهم موقنون بالبعث وبحصول الثواب على ما ذكر.

٢٧ ـ قوله تعالى: ﴿ .. وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ .. ﴿٤٨﴾﴾.

فإن قلت: ما الحكمة فى تقديم الشفاعة هنا، وعكسه فيما يأتى؟

قلت: للإشارة هنا إلى من ميله إلى حب نفسه أشد منه إلى حب المال وثم إلى من هو بعكس ذلك.

٢٨ ـ قوله تعالى: ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ .. ﴿٤٩﴾﴾.

فإن قلت: ما الحكمة فى ترك العاطف هنا، وذكره فى سورة إبراهيم؟

---

٢٧ ـ البرهان ١٤ وتفسير الطبرى ١/٣٥ والنووى ٢٦ .

٢٨ ـ انظر النووى ٢٧ والكرمانى فى البرهان ١٥ .

قلت: لأن ما هنا من كلام الله تعالى، فوقع تفسيراً لما قبله. وما هناك من كلام موسى وكان مأموراً بتعداد المحن فى قوله: ﴿وذكرهم بأيام الله﴾ فعدد المحن عليهم، فناسب ذكر العاطف.

٢٩ ـ قوله تعالى: ﴿ ..وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾.

إن قلت: ما الحكمة فى ذكر «كانوا» هنا وفى الأعراف وفى حذفها فى آل عمران؟

قلت: لأن ما فى السورتين إخبار عن قوم ماتوا وانقرضوا فناسب ذكرها وما فى «آل عمران» مثل ضربه تعالى لأعمالهم بقوله ﴿مثل ما ينفقون﴾ إلى آخره.

٣٠ ـ قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا.. ﴿٥٨﴾ ﴾.

فإن قلت: ما الحكمة فى العطف بالفاء هنا، وفى الأعراف بالواو؟

قلت: لأنه عبر هنا بالدخول وهو سريع الانقضاء فلا يناسبه مجامعة الأكل له، وإنما يناسبه تعقيبه له فعطف بالفاء. وغير بالأعراف بالسكون، أى الاستقرار وهو ممتد يجامعه الأكل، فعطف بالواو.

٣١ ـ قوله تعالى: ﴿ .. وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً ..﴿٥٨﴾ ﴾.

إن قلت: لم قدمه على قوله «وقولوا حطة» وعكس فى الأعراف؟

قلت: لأنه هنا وقع بيانًا لكيفية الدخول المذكور قبله، بقوله: ﴿وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية﴾ بخلافه ثم.

٣٢ ـ قوله تعالى: ﴿ ..وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾.

إن قلت: لم ذكر هنا بالواو وفى الأعراف بدونها؟

قلت: لأن اتصاله هنا أشد لإسناد القول فيه إلى الله تعالى فى قوله ﴿وإذ قلنا ادخلوا﴾ بخلافه ثم، فالأليق به حذف الواو ليكون استئنافًا.

---

٢٩ ـ البرهان ١٦ .

٣٠ ـ البرهان ١٧ .

٣٣ ـ قوله تعالى: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ ..(٥٩)﴾.

إن قلت: هم لم يبدلوا غير الذى قيل لهم، وإنما بدلوه نفسه؛ لأنهم قيل لهم: قولوا «حطة» فقالوا: حنطة.

قلت: بل بدلوا غير الذى قيل لهم، لأن معناه: فبدل الذين ظلموا قولاً قيل لهم، فقالوا قولاً غير الذى قيل لهم. وزاد فى الأعراف «منهم» موافقة لقوله قبله ﴿ومن قوم موسى﴾ ولقوله بعده ﴿منهم الصالحون ومنهم دون ذلك﴾.

٣٤ ـ قوله تعالى: ﴿ ..فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا .. (٥٩)﴾ عبر بدله فى الأعراف بقوله: ﴿فأرسلنا﴾ أن لفظ «الرسول» و«الرسالة» كثر ثم فناسب التعبير بأرسلنا.

٣٥ ـ قوله تعالى: ﴿ .. فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا .. (٦٠)﴾ عبر بدله فى الأعراف بقوله ﴿فانبجست﴾ والأول أبلغ لأنه انصباب الماء بكثرة، والانبجاس: ظهور الماء، فناسب ذكر «الانفجار» هنا الجمع قبله بين الأكل والشرب الذى هو أبلغ من الاقتصار على الأكل.

٣٦ ـ قوله تعالى: ﴿ ..وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٦٠)﴾.

إن قلت: العثو: الفساد فيصير المعنى: ولا تفسدوا فى الأرض مفسدين.

قلت: لا محذور فيه غايته أن «مفسدين» حال من فاعل «تعثوا» فهى حال مؤكدة كما فى قوله: ﴿ثم وليتم مدبرين﴾ أو حال مؤسسة إذ «العثو» لكونه التمادى فى الفساد، أخص من الفساد. فالمعنى ـ كما قال الزمخشرى ـ لا تتمادوا فى الفساد فى حال فسادكم.

٣٧ ـ قوله تعالى: ﴿ ..لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ .. (٦١)﴾.

إن قلت: كيف قلوا: ﴿على طعام واحد﴾ وطعامهم كان طعامين: «المن» و«السلوى»؟

---

٣٣ ـ البرهان ١٧ والنووى ٢٨ والقرطبى ٤١١/١ .
٣٤ ـ النووى.

قلت: المراد بالواحد ما لا يختلف ولا يتبدل، أو بالطعامين أنهما ضرب واحد، لأنهما من طعام أهل التلذذ والترف أو أنهما كانا يؤكلان مختلطين.

٣٨ ـ قوله تعالى: ﴿ ..وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ .. ﴿٦١﴾ ﴾.

عرف الحق هنا، ونكره فى «آل عمران» و«النساء»؛ لأن ما هنا لكونه وقع أولاً إشارة إلى «الحق» الذى أذن الله أن يقتل النفس به وهو قوله: ﴿ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق﴾ فكان التعريف أولى هنا وأريد به «بغير حق» فى معتقدهم ودينهم؛ فكان بالتنكير أولى.

فإن قلت: قتل النبيين لا يكون إلا بغير الحق، فما فائدة ذلك؟

قلت: فائدته التصريح بصفة فعلهم القبيح، لأنه أبلغ فى الشناعة.

فإن قلت: لم مكَّن الكافرين من قتل الأنبياء؟

قلت: كرامة لهم، وزيادة فى منازلهم، كمن يقتل فى الجهاد من المؤمنين.

٣٩ ـ قوله تعالى: ﴿ .. وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ .. ﴿٦٢﴾ ﴾.

فإن قلت: لم قدم النصارى على الصابئين هنا، وعكس فى المائدة والحج؟

قلت: لأن النصارى مقدمون على الصابئين فى الرتبة لأنهم أهل كتاب، فقدموا فى «البقرة» لكونها أولاً. والصابئون مقدمون على النصارى فى الزمن، فقدموا فى «الحج» وروعى فى «المائدة» فقدموا فى اللفظ وأخروا فى المعنى إذ التقدير: والصابئون كذلك كما فى قول الشاعر:

فمن يك أمسى فى المدينة رحله   فإنى وقيار بها لغريب

إذ التقدير: فإنى لغريب بها وقيار كذلك.

٤٠ ـ قوله تعالى: ﴿ ..فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾.

فإن قلت: كيف أمروا بذلك مع أنه ليس فى وسعهم؟

قلت: هذا أمر إيجاد، لا أمر إيجاب، كقوله «كن فيكون».

٣٩ ـ البرهان ٢٠ والدر المنثور للسيوطى ١/ ٧٥ .

٤١ ـ قوله تعالى: ﴿ .. عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ ..﴿٦٨﴾ ﴾.

إن قلت: «بين» تقتضى شيئين فأكثر فكيف دخلت على «ذلك» وهو مفرد؟

قلت: «ذلك» يشار به إلى المفرد والمثنى والمجموع، ومنه قوله تعالى: ﴿قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا﴾. وقوله: ﴿وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور﴾.

وقوله: ﴿زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين..﴾ ثم قال: ﴿ذلك متاع الحياة الدنيا﴾. فالمعنى: عوان بين الفارض والبكر.

٤٢ ـ قوله تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ .. ﴿٧٩﴾ ﴾.

فإن قلت: ما فائدة ذكر اليد مع أن الكتابة لا تكون إلا بها؟

قلت: فائدته تحقيق مباشرتهم ما حرفوه بأنفسهم زيادة فى تقبيح فعلهم.

٤٣ ـ قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً .. ﴿٨٠﴾ ﴾.

إن قلت: لم قال هنا «معدودة» وفى آل عمران «معدودات»؟

قلت: إشارة إلى الجمع بين الأصل والفرع إذ الأصل فى الجمع بالألف والتاء إذا كان واحده مذكرًا، أن يقتصر فى الوصف على تأنيثه مفردًا كقوله تعالى: ﴿فيها سرر مرفوعة﴾ وقد يأتى «سرر مرفوعات» على الجمع فهو فرع عن الأول، فذكر فى البقرة على الأصل لكونها أول وفى «آل عمران» على الفرع.

٤٤ ـ قوله تعالى: ﴿ .. ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾.

فإن قلت: التولى والإعراض واحد، فلم جمع بينهما؟

قلت: لا محذور فيه لأن قوله «وأنتم معرضون» حال من فاعل توليتم، فهى حال مؤكدة كما فى قوله تعالى: ﴿ثم وليتم مدبرين﴾ أو مؤسسة إذ المعنى: ثم وليتم عن الوفاء بالعهد، وأنتم معرضون عن النظر والفكر فى عاقبة ذلك.

---

٤٣ ـ البرهان ٢١ والنووى ٣٨.

٤٥ ـ قوله تعالى: ﴿ولن يتمنوه أبدًا بما قدمت أيديهم .. ﴿٩٥﴾﴾.

فإن قلت: لم قال هنا «لن» وفى الجمعة «لا»؟

قلت: لأن «لن» أبلغ فى النفى من «لا» حتى قيل: إنها لتأبيد النفى، ودعواهم فى البقرة بالغة قاطعة، وهى كون الجنة لهم بصفة الخلوص، فناسب ذكر «لن» فيها.

ودعواهم فى «الجمعة» قاصرة مردودة، وهى زعمهم أنهم أولياء الله، فناسب ذكر «لا» فيها.

٤٦ ـ قوله تعالى: ﴿ ..ومن الذين أشركوا .. ﴿٩٦﴾﴾.

فإن قلت: لم خصوا بالذكر مع دخولهم فى الناس فى قوله تعالى: ﴿ولتجدنهم احرص الناس على حياة﴾؟ قلت: لشدة حرصهم على الحياة، لإنكارهم البعث.

٤٧ ـ قوله تعالى: ﴿ .. بل أكثرهم لا يؤمنون ﴿١٠٠﴾﴾.

إن قلت: لم قال هنا «لا يؤمنون» وفى غيره «لا يعقلون»، «لا يعلمون»؟

قلت: لأن الآية هنا نزلت فى كفار نقض بعضهم العهد، وجحد بعضهم الحق، ولم يجتمع هذان الأمران فى غير هذه السورة.

٤٨ ـ قوله تعالى: ﴿ ..وما أنزل على الملكين .. ﴿١٠٢﴾﴾ أى من السحر، فهو معطوف على السحر قبله وسوغ عليه تغايرهما لفظًا، والملكان أنزلهما الله تعالى لتعليم السحر، ابتلاء منه للناس.

فإن قلت: هذا يدل على جواز تعليم السحر، فلا يكون حرامًا؟

قلت: الحرام تعليمه ليعمل به، لا ليجتنب فإنه جائز كما لو سئل إنسان عن الزنا، لزمه بيانه للسائل ليعرفه فيجتنبه.

٤٩ ـ قوله تعالى: ﴿ ..ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون ﴿١٠٢﴾﴾.

إن قلت: كيف أثبت لهم العلم أولاً مؤكدًا بلام القسم، ونفاه عنهم آخرًا؟

---

٤٧ ـ البرهان ٢٣ .

قلت: المثبت لهم علمهم بأن من اختار السحر، ما له فى الآخرة من نصيب، والمنفى عنهم علمهم بحقيقة ما يصيرون إليه فيها.

أو المثبت لهم العلم مطلقًا والمنفى عنهم العقل لأنه أصل العلم فإذا انتفى انتفى.

٥٠ ـ قوله تعالى: ﴿ ..لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ خَيْرٌ ..(١٠٣)﴾ أى من السحر وهو خبر لمثوبة.

فإن قلت: «خير» افعل تفضيل ولا خير فى السحر؟

قلت: ليس «خير» هنا افعل تفضيل، بل هو لبيان أن المثوبة فاضلة كما فى قوله تعالى: ﴿أفمن يلقى فى النار خير﴾؟ كما يقال: الرجوع إلى الحق خير من التمادى فى الباطل أو هو افعل تفضيل، وخاطبهم الله على اعتقادهم أن تعلم السحر خير، نظرًا منهم إلى حصول مقصودهم الدنيوى به.

٥١ ـ قوله تعالى: ﴿ .. حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم ..(١٠٩)﴾.

ذكر «من عند أنفسهم» تأكيدًا إذ الحسد لا يكون إلا من قبل النفس.

٥٢ ـ قوله تعالى: ﴿ .. قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ ..(١٢٠)﴾ قال ذلك هنا، وقال فى آل عمران: ﴿قل إن الهدى هدى الله﴾ لأن معنى الهدى هنا «القبلة» لأن الآية نزلت فى تحويلها وتقديره: قل إن قبلة الله هى الكعبة. ومعناه ثم «الدين» لقوله تعالى قبل ﴿ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم﴾ وقوله تعالى: ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾.

٥٣ ـ قوله تعالى: ﴿ ..وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ..(١٢٠)﴾.

إن قلت: ما الحكمة فى ذكر «الذى» هنا، وذكر «ما» فى قوله بعد: ﴿من بعد ما جاءك من العلم﴾ وفى الرعد ﴿بعدما جاءك من العلم﴾؟

قلت: المراد بالعلم فى الآية الأولى «العلم الكامل» وهو العلم بالله وصفاته، وبأن الهدى هدى الله فكان الأنسب ذكر «الذى» لكونه فى التعريف أبلغ من «ما».

٥٣ ـ انظر البرهان ٢٤ والنووى ٤١ .

والمراد بالعلم فى الثانية والثالثة «العلم بنوع» وهو فى الثانية العلم بأن قبلة الله هى الكعبة وفى الثانية الحكم العربى فكان الأنسب ذكر «ما» ولقلة النوع فى الثانية بالنسبة إليه فى الثالثة، زيد قبل «ما» فى الثانية «من» الدالة على التبعيض.

٥٤ ـ قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا.. ﴿١٢٣﴾﴾. تكرار مع نظيره قيل مبالغة فى النصح.

٥٥ ـ قوله تعالى: ﴿..أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ.. ﴿١٢٥﴾﴾ قاله هنا بلفظ «والعاكفين» وفى الحج بلفظ «والقائمين» والمراد منها المقيمون وغاير بينهما لفظا، جريًا على عادة العرب من تفننهم فى الكلام.

٥٦ ـ قوله تعالى: ﴿..رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا..﴿١٢٦﴾﴾.

فإن قلت: لم نكر البلد هنا وعرفه فى إبراهيم؟

قلت: لأن الدعوة هنا، كانت قبل جعل المكان بلدًا دائم الأمن فى الأول، وبلدًا آمنا فى الثانى.

٥٧ ـ قوله تعالى: ﴿..وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ..﴿١٢٩﴾﴾. ذكره هنا وفى «الجمعة» بترك الأنفس إيجازًا وذكرها فى «آل عمران» فى قوله: ﴿إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم﴾ لأن الله تعالى منّ على المؤمنين فيها، فجعله من أنفسهم ليكون موجب الجنة أظهر.

ونظيره ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم﴾ لما وصفه بقوله ﴿عزيز عليه ما عنتم﴾ الآية جعله من أنفسهم ليكون موجب الإجابة والإيمان به أظهر.

٥٨ ـ قوله تعالى: ﴿.. فَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾.

إن قلت: إن الموت ليس فى قدرة الإنسان حتى ينهى عنه؟

قلت: النهى فى الحقيقة إنما هو عن عدم إسلامهم حال موتهم، كقوله: لا تصل إلا وأنت خاشع إذ النهى فيه إنما هو عن ترك الخشوع حال صلاته، لا عن الصلاة.

---

٥٦ ـ البرهان ٢٦ والنووى ٤٢.

والنكتة فى التعبير بذلك، إظهار أن موتهم لا على الإسلام موت لا خير فيه، وأن الصلاة التى لاخشوع فيها كـ «لا صلاة».

٥٩ ـ قوله تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا .. ﴿١٣٦﴾﴾.

إن قلت: لم قال هنا «قولوا» و«إلينا» وفى آل عمران «قل» و«علينا»؟

قلت: لأن «إلى» للانتهاء وهو لا يختص بجهة والكتب منتهية إلى المؤمنين بعد نزولها على الأنبياء والخطاب هنا للمؤمنين لقوله: ﴿قولوا آمنا بالله﴾ و«على» للاستعلاء وهو مختص بالأنبياء وأفضلهم نبينا وهو المخاطب ثم بقوله ﴿قل آمنا بالله﴾ فكان الأنسب هنا وثم ما ذكر. وكرر «وما أنزل» لاختلاف المنزل إلينا، والمنزل على إبراهيم وما عطف عليه.

٦٠ ـ قوله تعالى: ﴿ ..وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ .. ﴿١٣٦﴾﴾ ذكر «ما أوتى» هنا، وحذفه فى «آل عمران» اختصار كما هو الأنسب بالآخر. أو لأن الخطاب هنا عام، وثم خاص كما مر فكان الأنسب ذكره فى الأول وحذفه فى الثانى.

فإن قلت: لم قال هنا ﴿وما أوتى موسى﴾، ولم يقل «وما أنزل إلى موسى» كما قال قبل ﴿وما أنزل إلى إبراهيم﴾؟ قلت: للاحتراز عن كثرة التكرار.

فإن قلت: لم كرر «وما أوتى» هنا، وحذفه فى آل عمران؟

قلت: إنما حذفه ثم للاغتناء عنه بقوله قبله ﴿لما أتيتكم من كتاب وحكمة﴾.

٦١ ـ قوله تعالى: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ .. ﴿١٣٧﴾﴾.

فإن قلت: أن أريد بـ «ما آمنتم به» الله تعالى، فالله لا مثل له أو دين الإسلام فكذلك؟

قلت: القصد بالآية إنما هو التعجيز كما فى قوله تعالى: ﴿فأتوا بسورة من مثله﴾ أو كلمة «مثل» زائدة للتوكيد كما فى قوله: ﴿جزاء سيئة بمثلها﴾ أو

---

٥٩ ـ البرهان ٢٧ والنووى ٤٥ .

٦٠ ـ البرهان ٢٧ ، وفتاوى النووى ٤٥ .

الباء زائدة كما فى قوله ﴿وهزى إليك بجذع النخلة﴾ و«ما» مصدرية والمعنى بمثل إيمان من آمنتم به وهو الله أو دين الإسلام.

٦٢ ـ قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ .. (١٤١) ﴾.

ذكرها مع أن مضمونها معلوم لكل مميز للتنبيه على عظم العصيان واجتنابه، كما أن قوله ﴿لكم دينكم ولى دين﴾ ذكر مع أنه معلوم، للتنبيه على أن الكفر مما يعود بسوء العاقبة عليهم، وكررها مبالغة فى النصح، أو لأن «الأمة» فى الأولى للأنبياء، وفى الثانية لأسلاف اليهود والنصارى. أو لأن الخطاب فى الأولى لهم، وفى الثانية لنا تحذيرًا عن الاقتداء بهم.

٦٣ ـ قوله تعالى: ﴿ ..وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا .. (١٤٣) ﴾ ؟.

إن قلت: كيف قال ﴿إلا لنعلم من يتبع الرسول﴾ وهو لم يزل عالمًا بذلك؟

قلت: هذا ونحوه باعتبار التعلق والمعنى: ليتعلق علمنا به موجودًا، أو المعنى: ليعلم رسولنا والمؤمنون لأنهم أخصاؤه. أو لتميز الثابت عن المتزلزل، كقوله: ﴿ليميز الله الخبيث من الطيب﴾.

٦٤ ـ قوله تعالى: ﴿ ..وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ .. (١٤٣) ﴾.

«كان» للماضى وهو هنا للحال، وتأتى فى القرآن لخمسة معانٍ:

أ ـ للحال ومنه ﴿إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابًا موقوتا﴾ و﴿كان الله بما يعملون بصيرا﴾.

ب ـ وللماضى المنقطع ومنه ﴿وكان فى المدينة تسعة رهط﴾ وهو الأصل فى معانيها.

جـ ـ وللاستقبال ومنه ﴿يخافون يوما كان شره مستطيرا﴾.

د ـ وللدوام ومنه ﴿كان الله عليما حكيما﴾.

هـ ـ وبمعنى صار ومنه ﴿كان من الكافرين﴾.

٦٥ ـ قوله تعالى: ﴿ ..فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ..(١٤٤)﴾.

فإن قلت: هذا يقتضى عدم رضا النبى ﷺ بالتوجه إلى بيت المقدس مع أن التوجه إليه كان بأمر الله؟

قلت: المراد بالرضا هنا رضا المحبة بالطبع، لا رضا التسليم والانقياد لأمر الله.

٦٦ ـ قوله تعالى: ﴿ ..فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ..(١٤٤)﴾ كرر ثلاث مرات، لأن الأول فى المسجد الحرام، والثانى خارجه، والثالث خارج البلد، وعليها ينزل قوله قبل كل منها، ﴿ومن حيث خرجت﴾.

٦٧ ـ قوله تعالى: ﴿ ..وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ..(١٤٥)﴾ أى اليهود والنصارى، ولكل منهما قبلة، لكن لما كانت القبلتان باطلتين، كانتا فى حكم البطلان واحدة، فلهذا قال «قبلتهم».

٦٨ ـ قوله تعالى: ﴿ ..فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (١٤٧)﴾ قال فى الأنعام مثله ﴿فلا تكونن من الممترين﴾ وفى آل عمران ﴿فلا تكن من الممترين﴾ بغير نون التوكيد. لأن ما فى «آل عمران» جاء على الأصل ولم يكن فيها ما اقتضى ادخال نون التوكيد. بخلاف ما هنا، فإن قبله التوكيد بأن فى قوله ﴿انه الحق من ربهم﴾.

وفى الأنعام ﴿يعلمون أنه منزل من رب بالحق﴾ فناسب التوكيد فيهما بالنون.

٦٩ ـ قوله تعالى: ﴿ ..لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ..(١٥٠)﴾.

إن قلت: كيف يكون للظالمين من اليهود حجة على المؤمنين؟

قلت: حجتهم قولهم: ما تحول محمد عن الكعبة إلا أنه بدا له الرجوع إلى قبله آبائه، ويوشك أن يرجع إلى دينهم.. وهذا باطل وإنما سمى حجة كقوله «حجتهم داحضة» لشبهه لها صورة، فالمعنى إلا أن يقولوا ظلمًا وباطلاً كقولك لرجل: ما لك عندى حق إلا أن تظلم أى إلا أن تقول الباطل.

٧٠ ـ قوله تعالى: ﴿ ..ولأُتمَّ نعْمَتِي عَلَيْكُمْ .. ﴿١٥٠﴾ ﴾ عطف على قوله ﴿لئلا يكون للناس عليكم حجة﴾.

٧١ ـ قوله تعالى: ﴿ .. وَاشْكُرُوا لِي وَلا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ ﴾.

إن قلت: ما فائدة ذكر الثانى مع أن الأول يقتضيه؟

قلت: لا نسلم أنه يقتضيه لأن المراد بالكفر ستر النعمة والشكر لا يقتضى عدمه.

٧٢ ـ قوله تعالى: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا.. ﴿١٦٠﴾ ﴾ ترك «من بعد ذلك» هنا وذكره فى «آل عمران» لأنه لو ذكره هنا مع قوله قبله ﴿من بعد ما بيناه للناس﴾ لالتبس أو لتكرر.

٧٣ ـ قوله تعالى: ﴿ ..أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ ﴾.

إن قلت: كيف قال: «والناس أجمعين» وأهل دين من مات كافرًا لا يلعنونه؟

قلت: المراد بالناس المؤمنون، أو هم وغيرهم. وأهل دينه يلعنونه فى الآخرة، قال تعالى: ﴿ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا..﴾ وقال ﴿كلما دخلت أمة لعنت أختها﴾.

٧٤ ـ قوله تعالى: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ ..﴿١٦٣﴾ ﴾.

إن قلت: ما فائدة ذكر «إله» مع أن «واحد» يغنى عنه؟

قلت: فائدته التصريح بالإلهية المقصودة وإن تضمنه قوله «واحد» كما تضمن انفراده بالقدم وبصفات ذاته وبعدم التركيب.

٧٥ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ..﴿١٦٤﴾ ﴾ خصهما بالذكر لأنهما أعظم المخلوقات وجمع السماء دون الأرض، للانتفاع بجميع أحادها باعتبار ما فيها من نور كواكبها وغيره، بخلاف الأرض إنما ينتفع بواحدة من أحادها وهى ما نشاهدها منها.

٧٢ ـ انظر البرهان ٢٩ والنووى.

٧٦ ـ قوله تعالى: ﴿ ..بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ..(١٧٠) ﴾ عبر هنا بـ «ما الفينا» وفى «المائدة» وفى «لقمان» بـ ﴿ما وجدنا﴾ لأن «ألفى» يتعدى إلى مفعولين دائمًا، و«وجد» يتعدى إليهما تارة، وإلى واحد أخرى كقولك: وجدت الضالة فهو مشترك وألفى خاص، فكان الموضع الأول أنسب به.

٧٧ ـ قوله تعالى: ﴿ ..أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلا يَهْتَدُونَ (١٧٠) ﴾.

إن قلت: لم قال هنا «لا يعقلون» وفى «المائدة» «لا يعلمون»؟

قلت: لأن العلم أبلغ درجة من العقل، بدليل وصف الله به دون العقل، ودعواهم ثم أبلغ من ههنا، لقولهم ثم ﴿حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا﴾ وههنا ﴿بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا﴾ فكان الأنسب نفى كل بما يناسبه.

٧٨ ـ قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ ..(١٧١) ﴾ ظاهره تشبيه الكفار بالراعى وليس مرادا. فإن قلت: فما وجهه؟

قلت: فيه إضمار تقديره: ومثل واعظ الذين كفروا كمثل الراعى. أو للأنعام: أو ومثل الذين كفروا كمثل بهائم الراعى. أو مثل الذين كفروا فى دعائهم الأصنام كمثل الراعى.

٧٩ ـ قوله تعالى: ﴿ ..وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ ..(١٧٣) ﴾ قدم «به» هنا وأخره فى المائدة والأنعام والنحل؛ لأن الباء للتعدية كالهمزة والتشديد فهى كالجزء من الفعل؛ فكان الموضع الأول أولى بها وبدخولها. وآخر فى بقية المواضع نظرًا للمقصود فيها من ذكر المستنكر وهو الذبح لغير الله، والحصر بـ«إنما» فى المحرمات هنا متروك الظاهر، لما زاد فى المائدة من «المنخنقة» والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع.

٨٠ ـ قوله تعالى: ﴿ ..فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ.. (١٧٣) ﴾ ذكره هنا، وتركه فى المواضع الثلاثة المذكورة آنفًا اقتصارًا كما هو الأنسب بالآخر.

---

٧٧ ـ البرهان مسألة رقم ٣١ .
٧٩ ـ البرهان ٣٣ والنووى ٤٩ .

٨١ ـ قوله تعالى: ﴿ ..إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾ ﴾ قاله هنا، وقال فى الأنعام ﴿فإن ربك غفور رحيم﴾ لأن لفظ الرب تكرر ثم مرات، مع ذكر ما يحتاج إلى التربية من الثمار، والحبوب والحيوان من «الضأن والمعز والإبل والبقر» فى قوله ﴿وهو الذى أنشأ جنات﴾ الخ فكان ذكر الرب ثم أنسب.

٨٢ ـ قوله تعالى: ﴿ ..وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .. ﴿١٧٤﴾ ﴾.

إن قلت: كيف نفى عنهم الكلام هنا وأثبته لهم فى قوله ﴿فوربك لنسألنهم﴾؟

قلت: المنفى هنا الكلام بلطف وإكرام، والمثبت ثم سؤال توبيخ وإهانة، أو فى القيامة مواقف: ففى موقف لا يكلمهم وفى موقف يكلمهم. ومن ذلك آية النفى المذكورة، مع قوله تعالى: ﴿ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون﴾.

٨٣ ـ قوله تعالى: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ ..﴿١٨٠﴾ ﴾ فيه عطف الخاص على العام، ونسخ ما كانوا يفعلونه من الوصية للأبعد دون الأقرب طلبًا للفخر والشرف.

٨٤ ـ قوله تعالى: ﴿ .. إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾ ﴾.

إن قلت: لم خص السميع بالذكر هنا، والغفران فيما بعده؟

قلت: لقوله هنا، «بعد ما سمعته» وثم «فلا إثم عليه».

٨٥ ـ قوله تعالى: ﴿ ..كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ..﴿١٨٣﴾ ﴾ التشبيه فى أصل الصوم لا فى كيفيته إذ الإفطار منه كان مباحًا من الغروب إلى وقت النوم فقط، ثم نسخ بقوله تعالى: ﴿وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر﴾.

٨٦ ـ قوله تعالى: ﴿ ..فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ ..﴿١٨٤﴾ ﴾.

---

٨٢ ـ البرهان ٣٦ والنووى ٥١ .

٨٤ ـ البرهان ٣٧ .

٨٦ - البرهان ٣٨.

قيد بـ «منكم» هنا، وفى قوله ﴿فمن كان منكم مريضًا أو به أذى من رأسه﴾ وتركه فى قوله ﴿ومن كان مريضا أو على سفر﴾ اكتفاء بقوله قبله ﴿فمن شهد منكم الشهر فليصمه﴾.

فإن قلت: ما فائدة ذكر إعادة المريض والمسافر بعد؟

قلت: رفع توهم نسخ التخيير بين الصوم والفدية بعموم قوله ﴿فمن شهد منكم الشهر فليصمه﴾ أو أن آيتها الأولى نزلت فى تخييرهما بين الصوم والفدية والثانية فى تخييرهما بين الصوم والإفطار والقضاء.

٨٧ ـ قوله تعالى: ﴿ ..مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ..(١٨٥) ﴾ صفة لهدى وبينات قبله، ومتعلق بمحذوف أى كون القرآن هدى وبينات من جملة هدى الله وبيناته لكن عبر عن البينات بالفرقان لأن فيه زيادة معنى لازم للبينات وهو كونه يفرق بين الحق والباطل، ولأن فى لفظ الفرقان تواخى الفواصل.

٨٨ ـ قوله تعالى: ﴿ ..أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ .. (١٨٦) ﴾.

إن قلت: نجد كثيرًا من الداعين لا يستجاب لهم؟

قلت: إنما لم يستجب لهم لانتفاء شرط الإجابة، إذ شرطها طاعة الله، وأكل الحلال، وحضور القلب أو لأن الداعى قد يعتقد مصلحته فى إجابة دعوته، والله يعلم أن المصلحة فى تأخيرها. أو يعطيه بدلها فقد روى الحاكم خبر «ما من مسلم يدعو الله تعالى بدعوة إلا أتاه الله إياها أو صرف عنه من السوء مثلها، أو ادخر له من الأجر مثلها، ما لم يدع بإثم».

٨٩ ـ قوله تعالى: ﴿ ..تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا .. (١٨٧) ﴾.

إن قلت: لم قال هنا ﴿فلا تقربوها﴾ وقال فى التى بعدها ﴿فلا تعتدوها﴾؟ «البقرة: ٢٢٩».

قلت: لأن الحد هنا نهى وهو قوله ﴿ولا تباشروهن﴾ وما كان من الحدود نهيا نهى فيه عن المقاربة. والحد فيما يعد أمر وهو بيان عدد الطلاق بقوله «الطلاق مرتان» الآية، وما كان أمرًا نهى عنه عن الاعتداء وهو مجاوزة الحد.

---

٨٩ ـ البرهان ٣٩ والنووى ٥٢ .

٩٠ ـ قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ..(١٨٩)﴾.

كل ما جاء من السؤال فى القرآن أجيب عنه بـ «قل» بلاغًا إلا فى قوله فى «طه» ﴿ويسألونك عن الجبال فقل..﴾ الآية فبالفاء لأن الجواب فى الجميع كان بعد وقوع السؤال. وفى طه قبله إذ تقديره: إن سئلت عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفا.

٩١ ـ قوله تعالى: ﴿..وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّه ..(١٩٣)﴾.

ترك «كله» هنا وذكره فى الأنفال لأن القتال هنا مع أهل ملة فقط، وثم مع جميع الكفار، فناسب ذكره ثم.

٩٢ ـ قوله تعالى: ﴿..تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ..(١٩٦)﴾.

إن قلت: ما فائدة ذكره بعد الثلاثة والسبعة وذكر «كاملة» بعد قوله (تلك عشرة)؟

قلت: فائدة الأول دفع تصحيف سبعة بـ «تسعة» وتأكيد العلم بالعدد تفصيلاً وإجمالاً.

وفائدة الثانى التأكد كما فى «حولين كاملين». أو معناه كاملة فى الثواب مع كونها متفرقة. أو واقعة بدلاً عن الهدى.

٩٣ ـ قوله تعالى: ﴿..فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ ..(١٩٨)﴾.

إن قلت: ما فائدة تكرار الذكر؟

قلت: فائدته التنبيه على إرادة الذكر، وزيادة فائدة أخرى فى الثانى وهى «كما هداكم» بمعنى اذكروه بتوحيده كما ذكركم بهدايته أو الإشارة بالأول إلى الذكر باللفظ، وبالثانى إلى الذكر بالقلب.

٩٤ ـ قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ ..(١٩٩)﴾.

---

٩١ ـ فى البرهان: «ملة» بدلاً من «مكة» مسألة ٤١.

إن قلت: كيف عطف الإفاضة مع أنها الإفاضة من عرفات؟

قلت: ثم للترتيب الإخبارى لا الزمانى. أو المراد بالإفاضة الثانية، الإفاضة من مزدلفة إلى منى لا من عرفات.

٩٥ ـ قوله تعالى: ﴿ .. فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ .. ﴿٢٠٣﴾ ﴾.

إن قلت: ما فائدة قوله فيها ﴿ومن تأخر فلا إثم عليه﴾ مع أنه معلوم بالأولى مما قبله؟

قلت: فائدته رفع ما كان عليه الجاهلية من أن بعضهم قائل بإثم المتعجل، وبعضهم بإثم التأخر. أو المعنى: لا إثم على المتأخر فى ترك الأخذ بالرخصة، مع أن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه.

فإن قلت: التعجيل فى اليوم الثانى لا فيه وفى اليوم الأول فكيف قال «فى يومين»؟

قلت: المعنى فى مجموع اليومين الصادق بأحدهما وهو الثانى كما فى قوله تعالى: «يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان» وهما لا يخرجان إلا من الملح لا من العذب.

٩٦ ـ قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم .. ﴿٢١٤﴾ ﴾.

قال ذلك هنا، وقال فى آل عمران ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم﴾ الآية.

وفى التوبة ﴿أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم﴾ الآية. غاير بما ذكر فى الثالثة لأن الخطاب فى الأولى للنبى والمؤمنين وفى الثانية للمجاهدين، وفى الثالثة للمؤمنين.

٩٧ ـ قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ .. ﴿٢١٥﴾ ﴾.

إن قلت: كيف طابق الجواب السؤال لأنهم سالوا عن المنفق، فأجيبوا ببيان المصرف؟

---

٩٦ ـ البرهان ٤٢ .

قلت: بل طابقه بقوله «من خير» وزاد عليه بيان المصرف بما بعده، فالجواب أعم ونظيره قوله ﷺ وقد سئل عن الوضوء بماء البحر: «هو الطهور ماؤه، الحل ميتته».

٩٨ ـ قوله تعالى: ﴿ .. لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ .. ﴿٢٢٠﴾ ﴾.

ذكر «فى الدنيا والآخرة» هنا وتركه فى آخر السورة وفى الأنعام اختصاراً للعلم به مما هنا.

٩٩ ـ قوله تعالى: ﴿وَلا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ .. ﴿٢٢١﴾ ﴾.

بفتح التاء هنا، وبضمها فى قوله ﴿ولا تُنكحوا المشركين﴾. لأن الأول من «نكح» وهو يتعدى إلى مفعول واحد، والثانى من «أنكح» وهو يتعدى إلى اثنين، الأول فى الآية «المشركين» والثانى محذوف وهو «المؤمنات».

١٠٠ ـ قوله تعالى: ﴿ .. وَلا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا .. ﴿٢٣١﴾ ﴾.

هو هنا بالتخفيف من «أمسك» وفى الممتحنة بالتخفيف والتشديد، لمناسبة تخفف لما هنا ما قبله من قوله ﴿فإمساك بمعروف﴾ وقوله ﴿فأمسكوهن﴾.

ومناسبة تخفيف وتشديد ما هناك ما قبله من قوله ﴿لم يُخرجوكم﴾ وقوله ﴿أن تبروهم﴾ وخفف فى الطلاق قوله ﴿فامسكوهن بمعروف﴾ لمناسبة تخفيفه ما قبله من قوله ﴿لا تُخرجوهن من بيوتهن﴾.

١٠١ ـ قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾ ﴾.

فإن قلت: عزمهم الطلاق مما يعلم لا مما يسمع فكيف قال «إن الله سميع»؟

قلت: العازم على الشيء يحدث به نفسه وحديث النفس مما يسمعه الله ووسوسة الشيطان مع أن الغالب فى عزم الطلاق المقاولة مع الزوجة.

١٠٢ ـ قوله تعالى: ﴿ .. وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ .. ﴿٢٢٨﴾ ﴾.

افعل ههنا بمعنى فاعل.

---

٩٩ ـ البرهان ٤٤ . ١٠٠ ـ البرهان ٤٥ .

١٠٣ ـ قوله تعالى: ﴿ .. ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ .. ﴿٢٣٢﴾ ﴾.

قال «ذلك» هنا، وقال فى الطلاق ﴿ذلكم يوعظ به من كان يؤمن﴾ لما كانت كاف «ذلك» لمجرد الخطاب لا محل لها من الإعراب جاز الاقتصار على الواحد كما هنا، وكما فى قوله تعالى: ﴿ثم عفونا عنكم من بعد ذلك﴾ وجاز الجمع نظرًا للمخاطبين كما فى الطلاق.

فإن قلت: لم ذكر «منكم» هنا، وترك ثم؟

قلت: لترك ذكر المخاطبين هنا فى قوله ذلك، واكتفى بذكرهم ثم فيه.

١٠٤ ـ قوله تعالى: ﴿فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ .. ﴿٢٣٤﴾ ﴾.

قال فى هذه الآية «بالمعروف» وقال فى الآية الأخرى «من معروف» لأن التقدير فى هذه: فيما فعلن فى أنفسهن بأمر الله المعروف من الشرع.

وفى تلك: فيما فعلن فى أنفسهن من فعل من أفعالهن معروف جوازه شرعًا.

١٠٥ ـ قوله تعالى: ﴿ .. فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ .. ﴿٢٤٣﴾ ﴾.

إن قلت: هذا يقتضى موتهم مرتين وهو مناف للمعروف أن موت الخلق مرة واحدة؟

قلت: لا منافاة إذ الموت هنا عقوبة مع بقاء الأجل، كما فى قوله تعالى فى قصة موسى ﴿ثم بعثناكم من بعد موتكم﴾.

وثم موت بانتهاء الأجل، ولأن الموت هنا خاص بقوم، وثم عام فى الخلق كلهم، فيكون ما هنا مستثنى إظهارًا للمعجزة.

١٠٦ ـ قوله تعالى: ﴿ .. وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ ﴾.

إنما ذكر لفظ الناس هنا وفى «يوسف» و«المؤمنين» وتركه فى «يونس» و«النمل».

---

١٠٣ ـ البرهان ٤٦ .

لأن ما فى الثلاثة الأولى، لم يتقدمه كثرة تكرر لفظ «الناس» فناسب الإظهار، وما فى «يونس» تقدمه ذلك فناسب الإضمار لئلا تزيد كثرة التكرار، وما فى «النمل» تقدمه إضمار الموحى إليه ومخاطبته فناسب الإضمار، وبعضهم أجاب بما فيه نظر فتركه.

١٠٧ ـ قوله تعالى: ﴿ ..وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِم .. (٢٥٣) ﴾.

كرره بقوله: ﴿ولو شاء الله ما اقتتلوا﴾ تأكيدًا وتكذيبًا لمن زعم أن ذلك لم يكن بمشيئة الله.

١٠٨ ـ قوله تعالى: ﴿ .. مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلا خُلَّةٌ وَلا شَفَاعَةٌ .. (٢٥٤) ﴾.

أى بغير إذن الله لقوله تعالى: ﴿من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه﴾؟

وقوله: ﴿ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له﴾.

أو لا شفاعة من الأصنام والكواكب التى يعتقدها الكفار.

١٠٩ ـ قوله تعالى: ﴿ .. وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٢٥٤) ﴾ حصر الظلم فى الكافرين، لأن ظلمهم أشد، فهو حصر إضافى كما فى قوله تعالى: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾.

١١٠ ـ قوله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ.. (٢٥٧) ﴾؟ عبر فيها بالمضارع لا بالماضى مع أن الإخراج قد وجد.. لمناسبة التعبير به قبله فى قوله: ﴿فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله﴾ ولأن المضارع يدل على الاستمرار، فيدل هنا على استمرار ما ضمته الإخراج من الله تعالى فى الزمن المستقبل فى حق من ذكر.

فإن قلت: كيف يخرج الكفار من النور، مع أنهم لم يكونوا فى نور؟

قلت: لمقابلة ما ذكر قبله فى المؤمنين ولأن الكفار هنا هم «اليهود» وقد كانوا مؤمنين بمحمد ﷺ لما يجدونه من نعمته فى كتبهم فلما بعث كفروا به.

١١١ ـ قوله تعالى: ﴿ .. قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن .. ﴿٢٦٠﴾ ﴾ أى بقدرتى على الإحياء، قال له ذلك مع علمه بإيمانه بذلك؛ ليجيب بما أجاب فيعلم السامعون غرضه من طلبه لإحياء الموتى.

١١٢ ـ قوله تعالى: ﴿ .. وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي .. ﴿٢٦٠﴾ ﴾.

قاله مع أن قلبه مطمئن بقدرة الله تعالى على الإحياء، ليطمئن قلبه بعلم ذلك عيانًا كما اطمأن به برهانًا. أو ليطمئن بأنه اتخذه خليلاً، أو بأنه مستجاب الدعوة.

١١٣ ـ قوله تعالى: ﴿ .. قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ .. ﴿٢٦٠﴾ ﴾.

خص الطير بالذكر من سائر الحيوان لزيادته عليه بطيرانه.

قيل: وكانت الأربعة: ديكًا وطاووسًا ونسرًا وغرابًا.

وفائدة التقييد بالأربعة فى الطير وفى الأجبل بعده، الجمع بين الطبائع الأربع فى الطير بين مهاب الرياح من الجهات الأربع فى الأجبل.

١١٤ ـ قوله تعالى: ﴿ .. ثُمَّ لا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلا أَذًى .. ﴿٢٦٢﴾ ﴾.

إن قلت: كيف مدح المنفقين بترك المن، وقد وصف نفسه بالمن، كما فى قوله تعالى ﴿لقد من الله على المؤمنين﴾؟

قلت: المن يقال للإعطاء وللاعتداد بالنعمة واستعظامها. والمراد فى الآية المعنى الثانى.

فإن قلت: من المعنى الثانى ﴿بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان﴾.

قلت: ذلك اعتداد نعمة الإيمان فلا يكون قبيحًا، بخلاف نعمة المال. على أنه يجوز أن يكون من صفات الله تعالى، ما هو مدح فى حقه، ذم فى حق العبد، كالجبار والمتكبر والمنتقم.

١١٥ ـ قوله تعالى: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ.. ﴿٢٦٦﴾ ﴾.

فإن قلت: لم خص النخيل والأعناب بالذكر، مع قوله بعد ﴿له فيها من كل الثمرات﴾؟

قلت: لأن النخيل والأعناب أكرم الشجر، وأكثرها منافع.

١١٦ ـ قوله تعالى: ﴿ .. وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ .. ﴿٢٧١﴾ ﴾.

ذكر «من» هنا خاصة موافقة لما بعدها فى ثلاث آيات، ولأن الصدقات لا تكفر جميع السيئات.

١١٧ ـ قوله تعالى: ﴿ .. لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا .. ﴿٢٧٣﴾ ﴾.

فإن قلت: هذا يفهم أنهم كانوا يسألون برفق مع أنه قال: ﴿يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف﴾؟

قلت: المراد نفى المقيد والقيد جميعا كما فى قوله تعالى: ﴿لا ذلول تثير الأرض﴾ وقوله ﴿الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها﴾.

١١٨ ـ قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا .. ﴿٢٧٥﴾ ﴾.

خص الأكل بالذكر مع أن غيره كاللبس والادخار والهبة كذلك لأنه أكثر وأهم انتفاعًا بالمال إذ لا بد منه. أو أريد بالأكل الانتفاع كما يقال: فلان أكل ماله، إذ انتفع به فى الأكل وغيره.

١١٩ ـ قوله تعالى: ﴿ .. ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا .. ﴿٢٧٥﴾ ﴾.

فإن قلت: كيف قالوا ذلك مع أن مقصودهم تشبيه الربا بالبيع المتفق على حله؟

قلت: جاء ذلك على طريق المبالغة، لأنه أبلغ من اعتقادهم أن الربا حلال كالبيع، كالتشبيه فى قولهم: القمر وجه زيد، والبحر ككفه، إذا أرادوا المبالغة.

أو أن مقصودهم أن البيع والربا يتماثلان من جميع الوجوه فساغ قياس البيع على الربا كعكسه.

---

١١٦ ـ البرهان ٤٩ .

١٢٠ ـ قوله تعالى: ﴿.. وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴿٢٧٥﴾﴾.

إن قلت: كيف قال ذلك، مع أن مرتكب الكبيرة كآكل الربا لا يخلد فى النار؟

قلت: الخلود يقال لطول البقاء، وإن لم يكن بصيغة التأبيد، كما يقال: خلد الأمير فلانًا فى الحبس إذا أطال حبسه.

أو المراد بقوله «ومن عاد» العائد إلى استحلال أكل الربا، وهو بذلك كافر، والكافر مخلد فى النار على التأبيد.

١٢١ ـ قوله تعالى: ﴿.. وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴿٢٨٠﴾﴾.

«خير لكم» أى من إنظار المعسر.

فإن قلت: إنظار المعسر واجب، والتصدق عليه تطوع فكيف يكون خيرًا من الواجب؟

قلت: التطوع المحصل للواجب لما اشتمل عليه من الزيادة كما هنا أفضل من الواجب كما أن الزهد فى الحرام واجب، وفى الحلال تطوع، والزهد فى الحلال أفضل.

١٢٢ ـ قوله تعالى: ﴿.. ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴿٢٨١﴾﴾.

قال فيه وفى (الجاثية:٢٢) بـ «ما كسبت» وقال فى آخر النحل ﴿وتوفى كل نفس ما عملت﴾ وفى آخر (الزمر: ٧٠) ﴿ووفيت كل نفس ما عملت﴾. موافقة لما قبل كل منها أو بعده أو قبله وبعده إذ ما هنا قبله ﴿انفقوا من طيبات ما كسبتم﴾ وبعدها ﴿لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت﴾ وقبله فى آخر النحل ﴿من عمل صالحًا .. ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾.

وبعده ﴿ثم إن ربك للذين عملوا السوء﴾ وقبل ما فى الجاثية ﴿ولا يغنى عنهم ما كسبوا شيئا﴾. وبعدها فى الزمر ﴿فنعم أجر العاملين﴾.

١٢٣ ـ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ .. ﴿٢٨٢﴾﴾.

فإن قلت: ما فائدة قوله (بدين) مع أنه معلوم من (تداينتم).

قلت: فائدته الاحتراز عن «الدين» بمعنى المجازاة يقال: داينت فلانًا بالمودة أى جازيته بها وهو بهذا المعنى لا كتابة فيه ولا اشهاد.

وقيل: فائدته رجوع الضمير إليه فى قوله «فاكتبوه» إذ لو لم يذكره لقال: فاكتبوا الذين والأول أحسن نظمًا.

١٢٤ ـ قوله تعالى: ﴿ .. أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَىٰ .. ﴿٢٨٢﴾﴾.

قرىء «تذكر» بالتخفيف والتشديد.

فإن قلت: كيف جعل «أن تضل» علة لاستشهاد المرأتين بدل رجل، مع أن علته إنما هو التذكير.

قلت: بل علته «أن تضل» لأن الضلال من إحداهما يكثر وقوعه فصلح أن يكون علة لاستشهادهما وبتقدير عدم صلوحه فالتعليل «بأن تضل» فى الحقيقة إنما هو للتذكير ومن شأن العرب إذا كانت للعلة علة قدموا ذكر علة العلة، وجعلوا العلة معطوفة عليها بالفاء لتحصل الدلالتان معًا بعبارة واحدة، كقولك: أعددت الخشبة أن يميل الجدار فأدعمته بها، فالإدعام علة فى إعداد الخشبة، والميل علة الإدعام.

١٢٥ ـ قوله تعالى: وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ .. ﴿٢٨٣﴾﴾.

فإن قلت: كيف شرط السفر فى الارتهان مع أنه ليس بشرط فيه؟

قلت: لم يذكره لتخصيص الحكم به، بل لكونه مظنة عوز الكاتب، والشاهد، الموثوق بهما.

١٢٦ ـ قوله تعالى: ﴿ ..وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ .. ﴿٢٨٣﴾﴾.

فإن قلت: ما فائدة ذكر القلب، مع أن الجملة موصوفة بالإثم؟

قلت: لما كان كتمان الشهادة هو إضمارها فى القلب، وإثمه مكتسبًا بالقلب وبه، أسند الإثم إليه لأن إسناد الفعل إلى الجارحة التى يعمل بها أبلغ كما يقال: هذا مما أبصرته عيناى وسمعته أذناى وعلمه قلبى.

١٢٧ ـ قوله تعالى: ﴿ .. وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ .. ﴿٢٨٤﴾ ﴾.

إن قلت: كيف قال فى الإخفاء «يحاسبكم به الله» مع أن حديث النفس لا إثم فيه، للحديث المشهور فيه، ولأنه لا يمكن الاحتراز منه؟

قلت: ذلك منسوخ بقوله ﴿لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها﴾.

أو المراد بالإخفاء: العزم القاطع والاعتقاد الجازم.

أو ذلك إخبارًا بالمحاسبة لا بالمعاقبة فهو تعالى يخبر العباد بما أخفوا وأظهروا ليعلموا إحاطة علمه، ثم يغفر أو يعذب فضلاً وعدلاً.

١٢٨ ـ قوله تعالى: ﴿ .. فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ .. ﴿٢٨٤﴾ ﴾.

قدم المغفرة فى هذه السورة وغيرها إلا فى «المائدة» فقدم العذاب (المائدة: ٤٠) لأنها فى المائدة نزلت فى حق السارق والسارقة وعذابهما يقع فى الدنيا فقدم العذاب، وفى غيرها قدمت المغفرة رحمة منه للعباد، وترغيبًا لهم إلى المسارعة إلى موجباتها.

١٢٩ ـ قوله تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ .. ﴿٢٨٥﴾ ﴾.

إن قلت: أى فائدة فى هذا الاخبار مع أن الأنبياء فى أعلى درجات الإيمان؟

قلت: فائدته أن يبين للمؤمنين زيادة شرف الإيمان، حيث مدح به خواصه ورسله، ونظيره فى «الصافات» أنه ذكر فى نبى ﴿إنه من عبادنا المؤمنين﴾.

١٣٠ ـ قوله تعالى: ﴿ .. لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ .. ﴿٢٨٥﴾ ﴾.

فإن قلت: كيف قال ذلك مع أن «بين» لا تضاف إلا إلى اثنين فأكثر؟

قلت: «أحد» هنا بمعنى الجمع الذى هو «أحاد» كما فى قوله تعالى ﴿فما منكم من أحد عنه حاجزين﴾ فكأنه قال: لا نفرق بين أحاد من رسله.

١٣١ ـ قوله تعالى: ﴿ .. لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ .. ﴿٢٨٦﴾ ﴾.

«لها ما كسبت» أى فى الخير «وعليها ما اكتسبت» أى فى الشر.

فإن قلت: ما الدليل على أن الأول فى الخير، والثانى فى الشر.

قلت: «اللام» فى الأول و«على» فى الثانى، لأنهما يستعملان فى ذلك عند تقارنهما، كما فى هذه الآية، وكما فى قوله ﴿من عمل صالحًا فلنفسه ومن أساء فعليها﴾.

وقولهم: الدهر يومان: يوم لك، ويوم عليك.

وقول الشاعر:

على أننى راضٍ بأن أحمل الهوى وأخلص منه لا علىَّ ولا ليا

فإن قلت: لم خص الكسب بالخير، والاكتساب بالشر؟

قلت: لأن الاكتساب فيه أعمال والشر تشتهيه النفس، وتنجذب فكانت أجد فى تحصيله بخلاف الخير، ولأن فى ذلك إشارة إلى إكرامه تعالى وتفضله على الخلق حيث أثابهم على فعل الخير من غير جد واعتمال، ولم يؤاخذهم على فعل الشر إلا بالجد والاعتمال.

« تمت سورة البقرة »

****

سورة آل عمران

١٣٢ ـ قوله تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ .. ﴿٣﴾﴾.

إن قلت: كيف قال هنا، «نزل» ثم قال «وانزل» مرتين؟

قلت: للاحتراز عن كثرة التكرار. وخص المشدد بالأول لمناسبته ﴿مصدقًا﴾.

وقيل: لأن القرآن نزل منجمًا، والتوراة والإنجيل نزلا جملة واحدة فحيث عبر فيه بـ ﴿نزل﴾ أريد الأول أو ﴿انزل﴾ أريد الثانى.

ورد الأول بقوله: ﴿وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة﴾.

والثانى بقوله: ﴿وانزل الفرقان﴾ أن أريد به القرآن.

وبقوله: ﴿هو الذى أنزل عليك الكتاب﴾.

وبقوله: ﴿والذين يؤمنون بما أنزل إليك﴾ «البقرة: ٤».

١٣٣ ـ قوله تعالى: ﴿.. مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ .. ﴿٣﴾﴾.

سمى ما مضى بأنه «بين يديه» لغاية ظهور أمره.

١٣٤ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ ﴿٥﴾﴾.

قدم الأرض على السماء هنا، وفى موضع من «يونس: ٦١» و«إبراهيم» و«طه»، و«العنكبوت» عكس الغالب فى سائر الآيات، لأن المخاطبين فى الخمس كائنون فى الأرض فقط، بخلافهم فى غيرها كذا قيد.

١٣٥ ـ قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ .. ﴿٧﴾﴾.

إن قلت: كيف قال ذلك و«من» للتبعيض وقال فى هود ﴿كتاب أحكمت آياته﴾ وهو يقتضى إحكام آياته كلها؟

قلت: المراد بـ «المحكمات» هنا الناسخات أو العقليات، أو ما ظهر معناه.

كما أن المراد بـ «المتشابهات» المنسوخات، أو الشرعيات، أو ما كان فى معناها غموض ودقة.

والمراد بقوله ﴿أحكمت آياته﴾ أن جميع القرآن صحيح ثابت مصون عن الخلل والزلل.

ولا تنافى بين «متشابهات» وقوله ﴿كتابا متشابها﴾ إذ المراد بـ «متشابهات» ما مر.. وبـ «متشابها» أنه يشبه بعضه بعضا فى الصحة وعدم التناقض وتأييد بعضه لبعض.

١٣٦ ـ قوله تعالى: ﴿.. إِنَّ اللَّهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿٩﴾﴾.

قاله بلفظ الغيبة، وقال فى آخر السورة ﴿إنك لا تخلف الميعاد﴾ بلفظ الخطاب. لأن ما هنا متصل بما قبله وهو قوله تعالى: ﴿ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه﴾ اتصالاً لفظيًا فقط.

وما فى آخرها متصل بما قبله وهو قوله: ﴿ربنا وآتنا ما وعدتنا به على رسلك﴾ اتصالاً لفظيًا ومعنويًا؛ لتقدم لفظ الوعد.

١٣٧ ـ قوله تعالى: ﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا.. ﴿١١﴾﴾.

قال هنا وفى موضع من (الأنفال: ٥٢) ﴿كذبوا﴾ وفى آخر منها ﴿كفروا﴾ «٥٤» تفننًا، جريًا على عادة العرب فى تفننهم فى الكلام.

١٣٨ ـ قوله تعالى: ﴿.. يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ.. ﴿١٣﴾﴾.

أى ترى الفئة الكافرة المسلمة بمثلى عدد نفسها، أو بالعكس على الخلاف.

---

١٣٦ ـ البرهان ٥١ .

١٣٧ ـ انظر البرهان ٥٢ والنووى ٦٨ .

إن قلت: هذا ينافى قوله فى الأنفال ﴿وإذ يريكموهم إذ التقيتم فى أعينكم قليلا ويقللكم فى أعينهم﴾ إذ قضيته أن كلاً منهما ترى الأخرى قليلة؟

قلت: التقليل والتكثير فى حالين:

قلل الله المشركين فى نظر المؤمنين، وعكسه أولاً، حتى اجترأت كل منهما على قتال الأخرى، ثم كثر الله المؤمنين فى نظر المشركين لما التقتا حتى جبنوا وفشلوا.

وكثر الله المشركين فى نظر المؤمنين وأراهم إياهم على ما هم عليه - وكانوا فى الحقيقة أكثر من المؤمنين - ليعلموا صدق وعد الله فى قوله ﴿فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين﴾ فإن المؤمنين غلبوهم فى هذه الغزاة وهى «غزاة بدر» مع انهم كانوا أضعاف عدد المؤمنين.

١٣٩ - قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ .. (١٨)﴾.

كرر فيها ﴿لا إله إلا الله﴾ لأن الأول قول الله، والثانى حكاية قول الملائكة وأولى العلم.

أو لأن الأول جرى مجرى الشهادة، والثانى مجرى الحكم بصحة ما شهدته الشهود.

وقال جعفر الصادق: الأول وصف، والثانى تعليم أى قولوا واشهدوا كما شهدت.

١٤٠ - قوله تعالى: ﴿.. ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ (٢٣)﴾.

إن قلت: التولى والإعراض واحد - كما مر فى البقرة - فلم جمع بينهما؟

قلت: لأن المعنى يتولون عن الداعى، ويعرضون عما دعاهم إليه وهو كتاب الله. أو يتولون بإيذائهم ويعرضون عن الحق بقلوبهم. أو كأن الذى تولى علماؤهم، والذى أعرض اتباعهم.

١٤١ ـ قوله تعالى: ﴿ .. بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ ﴾.

خص الخير بالذكر ـ وإن كان بيده الشر أيضًا ـ لأن الكلام إنما ورد فيه ردًا على المشركين فيما أنكروه ووعد الله به نبيه ﷺ ووعد النبى ﷺ به الصحابة رضى الله عنهم.

أو أراد الخير والشر، واكتفى بأحدهما لدلالته على الآخر، كما فى قوله تعالى: ﴿سرابيل تقيكم الحر..﴾ «النحل:١٨» وإنما خص الخير بالذكر لأنه هو المرغوب فيه.

١٤٢ ـ قوله تعالى: ﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ .. ﴿٢٧﴾ ﴾.

أى تدخله فيه بأن يزيد كل منهما ما نقص من الآخر.

١٤٣ ـ قوله تعالى: ﴿ .. وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ ﴾.

كرره، توكيدًا للوعيد.

والأحسن ـ كما قال التفتازانى ـ ما قيل: أنه ذكره أولاً للمنع من موالاة الكافرين، وثانيًا للحث على عمل الخير، والمنع من عمل الشر.

١٤٤ ـ قوله تعالى: ﴿ .. وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَىٰ .. ﴿٣٦﴾ ﴾.

إن قلت: ما فائدة ذكره مع أنه معلوم؟

قلت: فائدته اعتذارها عما قالته ظنًا، فإنها ظنت ما فى بطنها ذكرًا، فنذرت أن تجعله خادمًا لبيت المقدس، وكان من شريعتهم صحة هذا النذر فى الذكور خاصة، فلما خاب ظنها استحيت حيث لم يقبل نذرها فقالت ذلك، معتذرة أنها لا تصلح لما يصلح له الذكر من خدمة المسجد، فمنّ الله عليها بتخصيص «مريم» بقبولها فى النذر، دون غيرها من الإناث، فقال: ﴿فتقبلها ربها بقبول حسن﴾.

١٤٥ ـ قوله تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ .. ﴿٣٩﴾ ﴾.

إن قلت: كيف نادت الملائكة زكريا وهو قائم يصلى وأجابها وهو فى الصلاة؟

قلت: المراد بالصلاة هنا الدعاء كقوله تعالى: ﴿ولا تجهر بصلاتك﴾.

فإن قلت: لم خص «يحيى» عليه السلام بقوله ﴿مصدقًا بكلمة من الله﴾ مع أن كل واحد من المؤمنين مصدق بجميع كلمات الله تعالى؟

قلت: لأن معناه مصدقًا بـ «عيسى» الذى كان وجوده بكلمة من الله تعالى وهو قوله: كن من غير أب فى الوجود أو المرتبة، وكان تصديق يحيى لعيسى أصدق من تصديق كل أحد به.

١٤٦ ـ قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ.. ﴿٤٠﴾﴾.

قدم هنا ذكر «الكبير» على ذكر المرأة وعكس فى «مريم:٨» لأن الذكر مقدم على الأنثى فقدم كبره هنا وأخر، ثم لتتوافق الفواصل فى «عتيا، وسويا، وعشيا، وصبيا» وغيرها.

فإن قلت: كيف استبعد زكريا ذلك، ولم يكن شاكًا فى قدرة الله تعالى عليه؟

قلت: إنما قال ذلك تعجبًا من قدرة الله تعالى، لا استبعادًا.

١٤٧ ـ قوله تعالى: ﴿.. قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٤٠﴾﴾ قال فى حق زكريا «يفعل» وفى حق مريم بعد «يخلق» مع اشتراكهما فى بشارتهما بولد.

لأن استبعاد زكريا لم يكن لأمر خارق، بل نادر بعيد فحسن التعبير بـ«يفعل».

واستبعاد مريم كان لأمر خارق فكان ذكر «الخلق» أنسب.

إن قلت: ما الجمع بين قوله هنا «ثلاثة أيام» وقوله فى مريم «ثلاث ليال»؟

قلت: كل منهما مقيد بالآخر، فلا بد من الجمع بينهما.

---

١٤٧ ـ انظر البرهان ٥٥ .

١٤٨ ـ قوله تعالى: ﴿ .. إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ .. ﴿٤٢﴾ ﴾.

كرر ﴿اصطفاك﴾ لأن الاصطفاء الأول للعبادة التى هى خدمة «بيت المقدس» وتخصيص مريم بقبولها فى النذر مع كونها أنثى، والاصطفاء الثانى لولادة عيسى.

١٤٩ ـ قوله تعالى: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ .. ﴿٤٧﴾ ﴾.

قال هنا ﴿ولد﴾ وفى مريم ﴿غلام﴾.

لأن ذكر المسيح تقدم هنا وهو ولدها، وفى مريم تقدم ذكر الغلام.

قوله تعالى: ﴿ ..وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ ..﴿٤٤﴾ ﴾.

إن قلت: كيف نفى وجود النبى ﷺ فى زمن مريم، مع أنه معلوم عندهم، وترك ما كانوا يتوهمونه من استماعه ذلك الخبر من حفاظه؟

قلت: لأنهم يعلمون أنه ﷺ أمىّ لا يقرأ ولا يكتب وإنما كانوا منكرين للوحى، فنفى الله الوجود الذى هو فى غاية الاستحالة على وجه التهكم بالمنكرين للوحى، مع علمهم أنه لا قراءة له ولا رواية.

١٥٠ ـ قوله تعالى: ﴿ .. اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ .. ﴿٤٥﴾ ﴾.

فيه التفات إذ القياس «ابنك».

فإن قلت: كيف قال ﴿ابن مريم﴾ والخطاب معها وهى تعلم أن الولد الذى بشرت به يكون ابنها؟

قلت: لأن الناس ينسبون إلى الآباء لا إلى الأمهات فأعلمت بنسبته إليها أن يولد من غير أب فلا ينسب إلا إلى أمه.

١٥١ ـ قوله تعالى: ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾.

إن قلت: أى معجزة لعيسى عليه السلام فى تكليمه الناس كهلاً؟

قلت: معناه تكلمه فى الحالتين بكلام الأنبياء من غير تفاوت بين الطفولة والكهولة، التى يستحكم فيها العقل وتنبأ فيها الأنبياء.

وقال الزجاج: هذا أخرج مخرج البشارة لمريم، ببقاء «عيسى» إلى وقت الكهولة.

١٥٢ ـ قوله تعالى: ﴿ .. أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ .. ﴿٤٩﴾ ﴾ .

نسبة هذه الأفعال إلى عيسى، لكونه سببًا فيها ومعنى ﴿بإذن الله﴾ بإرادته، وقال هنا ﴿فأنفخ فيه﴾ وفى (المائدة: ١١٠) «فتنفخ فيها» بإعادة الضمير هنا إلى الطير أو الطين وفى المائدة إلى هيئة الطير، تفننًا جريًا على عادة العرب فى تفننهم فى الكلام. وخص ما هنا بتوحيد الضمير مذكرًا، وما فى المائدة بجمعه مؤنثًا.

قيل: لأن ما هنا اخبار من عيسى قبل الفعل فوحده، وما فى المائدة خطاب من الله له فى القيامة وقد سبق من عيسى الفعل مرات فجمعه.

١٥٣ ـ قوله تعالى: ﴿ .. بِإِذْنِ اللَّهِ .. ﴿٤٩﴾ ﴾.

ذكر هنا مرتين بهذا اللفظ وفى المائدة أربعًا بلفظ ﴿باذنى﴾ لأنه هنا من كلام عيسى، وثم من كلام الله.

١٥٤ ـ قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾ .

هو كقوله فى مريم ﴿وإن الله ربى وربكم﴾ وقال فى الزخرف ﴿وأن الله هو ربى وربكم﴾ بضمير الفعل الدال على حصر المبتدأ فى الخبر، بمعنى أن الله ربى لا أب كما زعمت النصارى ولم يتقدم ذلك ما يغنى عن الحصر، فحسن ذكر «هو» بخلافه فى الآخرين، فإنه ذكر فى آل عمران عشر آيات من قصة مريم وعيسى، وفى مريم عشرون آية منها، فأغنى ذلك فيهما عن ذكر «هو».

١٥٥ ـ قوله تعالى: ﴿ .. وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾.

قال هنا بـ ﴿أنا﴾ وفى المائدة بـ ﴿اننا﴾ لأن ما فيها أول كلام الحواريين،

---

١٥٢ ـ انظر البرهان ٥٨ والنووى ٧٥ .

١٥٥ ـ البرهان مسألة رقم ٦٠ والنووى ٧٦ .

فجاء على الأصل، وما هنا تكرار له بالمعنى فناسب فيه التخفيف لأن كلاً من التخفيف والتكرار فرع، والفرع بالفرع أولى.

١٥٦ ـ قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ..﴿٥٥﴾﴾.

إن قلت: كيف قاله والله رفعه ولم يتوفه؟

قلت: لما هدده اليهود بالقتل، بشره الله بأنه لا يقبض روحه، إلا بالوفاة لا بالقتل والواو تقتضى الترتيب. أو انى متوفى نفسك بالنوم من قوله تعالى ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها..﴾ (الزمر:٤٢) ورافعك وأنت نائم لئلا تخاف، بل تستيقظ وأنت فى السماء آمن مقرب.

١٥٧ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ..﴿٥٩﴾﴾.

إن قلت: كيف قاله وآدم خلق من التراب وعيسى من الهواء وآدم خلق من غير أب وأم، وعيسى خلق من أم؟

قلت: المراد تشبيهه به فى الوجود بغير أب، والتشبيه لا يقتضى المماثلة من جميع الوجوه.

١٥٨ ـ قوله تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ..﴿٧٥﴾﴾.

إن قلت: لم خص أهل الكتاب بذلك، مع أن غيرهم منهم الأمين والخائن؟

قلت: إنما خصهم باعتبار واقعة الحال، إذ سبب نزول الآية أن «عبدالله ابن سلام» أودع ألفًا ومائتى أوقية من الذهب، فأدى الأمانة فيها، و«فنحاص ابن عازوراء» أودع دينار فخانه. ولأن خيانة أهل الكتاب المسلمين تكون عن استحلال بدليل آخر الآية، بخلاف خيانة المسلم المسلم.

١٥٩ ـ قوله تعالى: ﴿.. وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي ..﴿٨١﴾﴾ أى: عهدى.

١٦٠ ـ قوله تعالى: ﴿.. وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا..(٨٣)﴾.

إن قلت: كيف قال ذلك مع أن أكثر الإنس والجن كفرة؟

قلت: المراد بهذا الاستسلام والانقياد لما قدره عليهم من الحياة والموت، والمرض والصحة، والشقاء والسعادة ونحوها.

١٦١ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ ..(٩٠)﴾.

إن قلت: كيف قال ذلك، مع أن المرتد وإن ازداد ارتداده مقبول التوبة؟

قلت: الآية نزلت فى قوم ارتدوا ثم أظهروا التوبة بالقول لستر أحوالهم، والكفر فى ضمائرهم.

١٦٢ ـ قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا ..(٩٩)﴾.

قال ذلك هنا، وقال فى «الأعراف:٨٦» ﴿من آمن به وتبغونها عوجا..﴾ بزيادة «به» و«الواو» جريًا هناك على الأصل فى ذكر «به» لكونه معمولاً وذكر «واو العطف» إذ مدخولها معطوف على «توعدون» المعطوف عليه «تصدون» وجريًا هنا على موافقة «ومن كفر» فى عدم ذكر «به».

وإنما لم يذكر الواو هنا لأن «تبغونها» وقع حالاً والواو لا تزاد مع الفعل إذا وقع حالاً، كما فى قوله تعالى ﴿ولا تمنن تستكثر﴾.

١٦٣ ـ قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ..(١١٠)﴾.

إن قلت: كيف قال ذلك، ولم يقل: أنتم خير أمة؟

قلت: لأن معناه: كنتم فى سابق علم الله، أو فى يوم أخذ الميثاق على الذرية. فاعلم بذلك أن كونهم خير أمة، صفة أصيلة فيهم لا عارضة متجددة، أو معنى ﴿كنتم﴾ وجدتم بجعل «كان» تامة.

١٦٤ ـ قوله تعالى: ﴿ .. وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم .. ﴿١١٠﴾ ﴾.

إن قلت: كيف قال ذلك، مع أن غير الإيمان لا خير فيه، حتى يقال أن الإيمان خير منه؟

قلت: ليس «خير» هنا أفعل تفضيل، بل هو خير، أو هو أفعل تفضيل، وإيمانهم بمحمد ﷺ مع إيمانهم بموسى وعيسى، خير من إيمانهم بموسى وعيسى فقط.

١٦٥ ـ قوله تعالى: ﴿ .. كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ .. ﴿١١٧﴾ ﴾ أي حر أو برد شديد.

١٦٦ ـ قوله تعالى: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا.. ﴿١٢٠﴾ ﴾.

وصف «الحسنة» بالمس و«السيئة» بالإصابة توسعة في العبارة وإلا فهما بمعنى واحد في الأمرين قال تعالى: ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ .. ﴾. [التوبة: ٥٠].

وقال تعالى: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ.. ﴾ [النساء: ٧٩].

وقال تعالى: ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ ﴾ [المعارج: ٢٠، ٢١].

١٦٧ ـ قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ..﴿١٢٦﴾ ﴾ هذه تخالف آية «الأنفال: ١٠» في ثلاثة أمور:

أ ـ لأنه ذكر في هذه ﴿لكم﴾ لتمام القصة قبلها، وتركها ثم إيجازًا أو اكتفاء بذكره له قبل في قوله ﴿فاستجاب لكم﴾.

ب ـ وقدم ﴿قلوبكم﴾ على ﴿به﴾ هنا وعكس في الأنفال ليزاوج بين الخطابين هنا في ﴿لكم﴾ و﴿قلوبكم﴾.

---

١٦٧ ـ البرهان ٦٤ والنووي ٨٠ .

جـ ـ وذكر هنا وصفى ﴿العزيز﴾ و﴿الحكيم﴾ تابعين بقوله ﴿العزيز الحكيم﴾ وثم ذكرهما فى جملة مستأنفة بقوله ﴿إن الله عزيز حكيم﴾ لأنه لما خاطبهم هنا، حسن تعجيل بشارتهم بأن ناصرهم عزيز حكيم. ولأن ما هناك قصة «بدر» وهى سابقة على ما هنا فإنها فى قصة «أحد» فأخبر هناك بأنه «عزيز حكيم» وجعل ذلك هنا صفة لأن الخبر قد سبق.

١٦٨ ـ قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ .. ﴿١٣٣﴾﴾ أى إلى أسبابها كالتوبة.

إن قلت: كيف قال ذلك وقد روى عن النبى ﷺ أنه قال: «العجلة من الشيطان، والتأنى من الرحمن»؟

قلت: استثنى منه ـ بتقدير صحته ـ التوبة وقضاء الدين الحال وتزويج البكر البالغ، ودفن الميت وإكرام الضيف.

١٦٩ ـ قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ .. ﴿١٣٥﴾﴾ صرح بذكر الفاحشة مع دخولها فى ظلم النفس، لأن المراد بها نوع من أنواع الظلم وهو الزنى، أو كل كبيرة وخص بهذا الاسم تنبيها على زيادة قبحه.

١٧٠ ـ قوله تعالى: ﴿ .. وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ .. ﴿١٣٥﴾﴾ أى يسترها.

فإن قلت: كيف قال ذلك مع أنه قال: ﴿ .. وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الشورى: ٣٧].

وقال: ﴿قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ .. ﴾ [الجاثية: ١٤].

قلت: معناه: ومن يغفر الذنوب من جميع الوجوه إلا الله؟ وهذا لا يوجد من غيره.

١٧١ ـ قوله تعالى: ﴿ .. وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ ذكره بواو العطف هنا، وتركها فى «العنكبوت: ٥٨» لوقوع مدلولها هنا بعد خبرين متعاطفين بالواو فناسب عطفه بها ربطًا، بخلاف ما فى العنكبوت إذ لم يقل قبل ذلك إلا خبر واحد. كنظيره فى الأنفال فى قوله: ﴿ .. نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٤٠﴾﴾ [الأنفال: ٤٠].

ونظير الأول قوله فى الحج ﴿فنعم المولى﴾ وإن كان العطف فيه بالفاء.

١٧٢ ـ قوله تعالى: ﴿ .. وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا .. (١٤٠) ﴾ معطوف على مقدر، والتقدير وتلك الأيام نداولها بين الناس ليتعظوا وليعلم الله الذين آمنوا.

١٧٣ ـ قوله تعالى: ﴿ .. وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .. (١٦١) ﴾.

إن قلت: كيف قال ذلك، وقد قال: ﴿ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة﴾؟

قلت: معناه يأتى به مكتوبًا فى ديوانه أو يأتى به حاملاً إثمه.

ومعنى «فرادى» منفردين عن أهل ومال وشركاء ينتصرون بهم.

١٧٤ ـ قوله تعالى: ﴿ هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (١٦٣) ﴾ أى ذوو درجات.

فإن قلت: الضمير فى «هم» يعود على الفريقين وأهل النار لهم دركات لا درجات؟

قلت: الدرجات تستعمل فى الفريقين، قال تعالى: ﴿**ولكل درجات مما عملوا**﴾ [الأنعام: ٦].

وان افترقتا عند المقابلة فى قولهم: المؤمنون فى درجات والكفار فى دركات.

١٧٥ ـ قوله تعالى: ﴿ .. سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ .. (١٨١) ﴾.

قال ذلك مع أنهم كانوا فى زمن النبى ﷺ وما قتلوا أنبياء قط، لكنهم لما رضوا بقتل أسلافهم أنبياءهم، نسب الفعل إليهم.

١٧٦ ـ قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ (١٨٢) ﴾.

قاله هنا.. بجمع اليد، لأنه نزل فى قوم تقدم ذكرهم، وقاله فى «الحج: ١٠» بتثنيتها لأنه نزل فى «النضر بن الحارث» أو فى «أبى جهل» والواحد ليس له إلا يدان.

١٧٧ ـ قوله تعالى: ﴿ .. وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾ ﴾.

فإن قلت: «ظلام» صيغة مبالغة من الظلم، ولا يلزم من نفيها نفيه مع أنه منفى عنه قال تعالى: ﴿ولا يظلم ربك أحدا﴾؟

قلت: صيغة المبالغة هنا لكثرة العبيد لا لكثرة الظلم، كما فى قوله تعالى: ﴿محلقين رؤوسكم﴾ إذ التشديد فيه لكثرة الفاعلين، لا لتكرار الفعل.

أو الصيغة هنا للنسبة أى لا ينسبه إليه ظلم فالمعنى ليس بذى ظلم.

١٧٨ ـ قوله تعالى: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ .. ﴿١٨٤﴾ ﴾.

جواب الشرط محذوف، إذا لا يصلح قوله ﴿فقد كذب رسل من قبلك﴾ جوابًا له، لأنه سابق عليه.

والتقدير: فإن كذبوك فتأس بمن كذب من الرسل قبلك، فهو من إقامة السبب مقام المسبب.

١٧٩ ـ قوله تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ .. ﴿١٨٥﴾ ﴾ أى أجسادها إذ النفس لا تموت، ولو ماتت لما ذاقت الموت فى حال موتها، لأن الحياة شرط فى الذوق وسائر الإدراكات وقوله تعالى: ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها﴾ معناه حين موت أجسادها.

١٨٠ ـ قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ .. ﴿١٨٧﴾ ﴾.

إن قلت: ما فائدة ﴿ولا تكتمونه﴾ بعد «لتبيننه للناس» مع أنه معلوم منه؟

---

١٧٨ ـ البرهان ٦٧ والنووى ٨٣ وتفسير القرطبى ٢٩٦/٤ .

قلت: فائدته التأكيد أو المعنى لتبينه فى الحال، ولا تكتمونه فى المستقبل.

١٨١ ـ قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ ..﴿١٩٢﴾ ﴾.

إن قلت: هذا يقتضى خزى كل من يدخلها، وقوله ﴿يوم لا يخزى الله النبى والذين آمنوا معه﴾ يقتضى انتفاء الخزى عن المؤمنين فلا يدخلون النار؟

قلت: «اخزى» فى الأول من «الخزى» وهو الإذلال والإهانة وفى الثانى من «الخزاية» وهى النكال والفضيحة وكل من يدخل النار يذل وليس كل من يدخلها ينكل به.

فالمراد بالخزى فى الأول الخلود.. وفى الثانى تحلة القسم أو التطهير بقدر ذنوب الداخل.

١٨٢ ـ قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ ..﴿١٩٣﴾ ﴾.

إن قلت: المسموع النداء لا المنادى؟ قلت: لما قال ﴿مناديا ينادى﴾ صار معناه: نداء مناد كما يقال سمعت زيدًا يقول كذا أى سمعت قوله فمناديًا مفعول سمع. و﴿ينادى﴾ حال دالة على محذوف مضاف للمفعول.

١٨٣ ـ قوله تعالى: ﴿ .. رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ﴿١٩٣﴾ ﴾.

فإن قلت: كيف قال الثانى مع أنه معلوم من الأول؟ قلت: المعنى مختلف، لأن الغفران مجرد فضل والتكفير محو السيئات بالحسنات.

١٨٤ ـ قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ ..﴿١٩٤﴾﴾ أى على ألسنتهم.

فإن قلت: ما فائدة الدعاء مع علمهم أن الله لا يخلف الميعاد؟

قلت: فائدته العبادة لأن الدعاء عبادة مع أن الوعد من الله للمؤمنين عام يجوز أن يراد به الخصوص فسألوا الله أن يجعلهم ممن أرادهم بالوعد.

١٨٥ ـ قوله تعالى: ﴿لا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلادِ ﴿١٩٦﴾﴾ النهى فى اللفظ «للتقلب» وفى الحقيقة «للنبى» والمراد أمته. والقصد بذلك النهى عن الاغترار بالتقلب، ففى ذكر الغرور تنزيل السبب منزلة المسبب، والمنع عن السبب وهو غرور تقلبهم له ـ منع للمسبب وهو الاغترار بتقلبهم. والمراد بتقلبهم: تصرفهم فى التجارات والأموال والانتقال بها فى البلاد متنعمين والفقير إنما يتألم وينكسر قلبه إذا رأى الغنى يتقلب ويتمتع بها، فلذلك ذكر التقلب.

«إنتهت سورة آل عمران»

****

سورة النساء

١٨٦ ـ قوله تعالى: ﴿ .. خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا .. ﴿١﴾ ﴾ أى حواء.

فإن قلت: إذا كانت مخلوقة من «آدم» ونحن مخلوقون منه أيضًا، تكون نسبتها إليه نسبة الولد، فتكون أختًا لنا، لا أمًا؟

قلت: خلقها من آدم لم يكن بتوليد، كخلق الأولاد من الآباء فلا يلزم منه ثبوت حكم «البنتية» و«الأختية» فيها.

١٨٧ ـ قوله تعالى: ﴿وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ .. ﴿٢﴾ ﴾ أى إذا بلغوا وإن لم يسموا أيتامًا بعد البلوغ وإنما سموا أيتامًا هنا لقرب عهدهم بالبلوغ، ففيه مجاز الكون.

١٨٨ ـ قوله تعالى: ﴿ .. وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾ ﴾ أى مضمومة إليها.

إن قلت: أكل مال اليتيم حرام وإن لم يضم إلى مال الموصى فلم خص النهى بالمضموم؟

قلت: لأن أكل مال اليتيم مع الاغتناء عنه أقبح فلذلك خص النهى به، ولأنهم كانوا يأكلونه مع الاغتناء عنه، فجاء النهى على ما وقع منهم.

١٨٩ ـ قوله تعالى: ﴿ .. وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ .. ﴿١١﴾ ﴾ أى سواء أكان الولد ذكرًا أو أنثى.

وما يأخذه الأب فيما إذا كان الولد «أنثى» من الزائد على السدس إنما يأخذه تعصيبًا، والآية إنما وردت لبيان الفرض.

١٩٠ ـ قوله تعالى: ﴿ .. وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ ﴾.

ذكر «الواو» فيه هنا، وتركها فى «التوبة:٧٢» موافقة لذكرها هنا قبله وفى قوله تعالى: ﴿ومن يطع الله﴾ وبعده فى قوله تعالى ﴿ومن يعص الله﴾ وقوله تعالى: ﴿وله عذاب مهين﴾ بخلاف ذلك.

١٩١ ـ قوله تعالى: ﴿ .. فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ .. ﴿١٥﴾ ﴾.

أى ملك الموت، إذ المتوفى هو الموت، ولا يصح به المعنى بغير إضمار، إذ يصير المعنى حتى يميتهن الموت.

١٩٢ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ .. ﴿١٧﴾ ﴾ أى إنما قبولها عليه لا وجوبها إذ وجوبها إنما هو على العبد، وتوبة الله رجوعه على العبد بالمغفرة والرحمة.

فإن قلت: لم قيد «بجهالة» مع أن من عمل سوء بغير جهالة ثم تاب قبلت توبته؟

قلت: المراد «بالجهالة» الجهالة بقدر قبح المعصية وسوء عاقبتها لا بكونها «معصية» و«ذمًا».

وكل عاص جاهل بذلك حال معصيته لأنه حال المعصية مسلوب كمال العلم به بسبب غلبة الهوى.

١٩٣ ـ قوله تعالى: ﴿ .. ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ .. ﴿١٧﴾ ﴾.

ليس المراد بـ «القريب» مقابلة البعيد إذ حكمهما هنا واحد. بل المراد من قوله ﴿من قريب﴾ من قبل معاينة سبب الموت، بقرينة قوله تعالى: ﴿ .. حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ .. ﴿١٨﴾ ﴾.

١٩٤ ـ قوله تعالى: ﴿ .. وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا .. ﴿٢٠﴾ ﴾.

---

١٩٠ ـ البرهان ٧٠ وانظر التفسير الكبير للفخر الرازى ١٦/١٥٨ .

إن قلت: حرمة الأخذ ثابتة، وإن لم يكن قد أتاها المسمى، بل كان فى ذمته أو فى يده؟

قلت: المراد بالإيتاء: الالتزام والضمان كما فى قوله تعالى: ﴿إذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف﴾ [البقرة:٢٣٣] أى التزمتم وضمنتم.

١٩٥ ـ قوله تعالى: ﴿ .. أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ ﴾.

إن قلت: كيف قال ذلك مع أن «البهتان» الكذب مكابرة وأخذ مهر المراة قهرًا ظلم لا بهتان؟

قلت: المراد بالبهتان هنا الظلم تجوزًا، كما قال به ابن عباس وغيره.

وقيل: المراد أنه يرمى امرأته بتهمة، ليتوصل إلى أخذ المهر.

١٩٦ ـ قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ .. ﴿٢٢﴾ ﴾.

إن قلت: المستثنى منه مستقبل والمستثنى ماض فكيف صح استثناؤه من المستقبل؟

قلت: ﴿إلا﴾ بمعنى «بعد» أو «لكن» كما قيل فى قوله تعالى: ﴿لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى) [الدخان:٥٦] والاستثناء هنا كهو فى قوله:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم   بهن فلول من قراع الكتائب

والمعنى: إن أمكن كون فلول السيف من الكتائب عيبًا فهو عيب فيهم، فهو من باب التعليق بالمستحيل.

١٩٧ ـ قوله تعالى: ﴿ .. إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾ ﴾.

إن قلت: كيف جاء بلفظ الماضى مع أن نكاح منكوحة الأب، فاحشة فى الحال والاستقبال؟

قلت: ﴿كان﴾ تستعمل تارة للماضى المنقطع نحو: كان زيد غنيا. وتارة

للماضى المتصل بالحال نحو ﴿وكان الله غفوراً رحيما..﴾ .. ﴿وكان الله بكل شيء عليما﴾ ومنه ﴿إنه كان فاحشة﴾.

١٩٨ ـ قوله تعالى: ﴿ .. وَرَبَائِبُكُمُ اللاَّتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللاَّتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ .. ﴿٢٣﴾ ﴾.

ذكر «فى حجوركم» جرى على الغالب، فلا مفهوم له، إذ الربيبة التى ليست فى «الحجر» حرام أيضًا بقرينة تركه فى قوله ﴿ .. فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ .. ﴾.

١٩٩ ـ قوله تعالى: ﴿ .. فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ .. ﴿٢٣﴾ ﴾.

إن قلت: ما فائدة ذلك مع أنه مفهوم من قوله ﴿وأحل لكم ما وراء ذلكم﴾ ومن مفهوم قوله ﴿من نسائكم اللاتى دخلتم بهن﴾.

قلت: فائدته رفع توهم أن «قيد الدخول» خرج مخرج الغالب، كما قيل: فى حجوركم.

٢٠٠ ـ قوله تعالى: ﴿ .. أَن تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ .. ﴿٢٤﴾ ﴾.

اقتصر عليه هنا، لأنه فى «الحرائر» المسلمات وهن إلى الخيانة أبعد من بقية النساء. وزاد بعد فى قوله ﴿محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخدان﴿٢٥﴾ ﴾.

لأنه فى «الإماء» وهن إلى الخيانة أقرب من حرائر المسلمات.

وزاد أيضًا فى المائدة فى قوله ﴿محصنين غير مسافحين﴾ قوله: ﴿ولا متخذى أخدان﴾ لأنه فى «الكتابيات» الحرائر وهن إلى الخيانة أقرب من الحرائر المسلمات.

٢٠١ ـ قوله تعالى: ﴿ .. فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ .. ﴿٢٥﴾ ﴾ أى الإماء، ففى ﴿آتوهن﴾ حذف مضاف أى وآتوا مواليهن أجورهن، لأن مهورهن إنما تعطى لمواليهم لا لهن. فإن أعطى لهن بإذن مواليهن فلا حذف.

---

٢٠٠ ـ البرهان ٧١ .

٢٠٢ ـ قوله تعالى: ﴿ .. فَإِذَا أُحْصِنَّ .. (٢٥) ﴾ أى تزوجن.

فإن قلت: الاحصان ليس قيدًا فى وجوب تنصيف الحد على الأمة إذا زنت بل هو عليها أحصنت أو لا؟

قلت: ذكر الإحصان خرج مخرج جواب سؤال فلا مفهوم له، إذ الصحابة عرفوا مقدار حد الأمة التى لم تتزوج دون مقداره من التى تزوجت، فسألوا عنه فنزلت الآية.

٢٠٣ ـ قوله تعالى: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُم.. (٢٦) ﴾ .

اللام فى ﴿ليبين﴾ بمعنى «ان» كما فى قوله تعالى: ﴿وأمرنا لنسلم لرب العالمين﴾ وقوله: ﴿وأمرت لأعدل بينكم﴾ «١٥» وقوله: ﴿يريدون ليطفئوا نور الله﴾ [الصف:٨] وقد قال فى محل آخر ﴿يريدون أن يطفئوا نور الله﴾ [التوبة: ٣٢].

٢٠٤ ـ قوله تعالى: ﴿ .. إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً .. (٢٩) ﴾ أى أموال تجارة.

خص التجارة بالذكر عن غيرها كالهبة والصدقة والوصية لأن غالب التصرف فى الأموال بها، ولأن أسباب الرزق متعلقة بها غالبًا.

٢٠٥ ـ قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الأَرْضُ .. (٤٢) ﴾ أى بأن يكونوا ترابًا مثلها لعظم هوله كما قال فى الآية الأخرى ﴿ويقول الكافر يا ليتنى كنت ترابا﴾ [عم: ٤٠].

٢٠٦ ـ قوله تعالى: ﴿ .. فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ .. (٤٣) ﴾.

زاد فى المائدة عليه ﴿منه﴾ لأن المذكور ثم جميع واجبات الوضوء والتيمم، فحسن البيان والزيادة بخلاف ما هنا فحسن الترك.

٢٠٧ ـ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ .. (٤٧) ﴾.

---

٢٠٦ ـ البرهان ٧٢ .

٢٠٧ ـ انظر البحر المحيط ٣/ ٢٦٥ .

قال ذلك هنا، وقال فى غيره ﴿يا أهل الكتاب﴾ لموافقة التعبير هنا قبله وبعده ﴿بالذين أوتوا﴾ ولأنه تعالى استخف بهم هنا قبل، وختم بعد بالطمس وغيره بخلاف ذلك فى غير هذا الموضع.

٢٠٨ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ .. ﴿٤٨﴾﴾ أى من العالم المتعمد.

٢٠٩ ـ قوله تعالى: ﴿ .. وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾.

ختم الآية مرة بقوله: ﴿فقد افترى إثمًا عظيما﴾.

ومرة بقوله: ﴿فقد ضل ضلالاً بعيدا﴾.

ولا تكرار فيه وإن اشتركا فى الضلال، لأن الأول نزل فى اليهود، والثانى فى كفار لا كتاب لهم وخص ما نزل فى «اليهود» بالافتراء لأنهم حرفوا وكتموا ما فى كتابهم وذلك افتراء، بخلافه فى الكفار الذين لا كتاب لهم.

٢١٠ ـ قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ .. ﴿٤٩﴾﴾

إن قلت: كيف ذمهم على ذلك بما قاله ونهى عنه بقوله: ﴿فلا تزكوا أنفسكم﴾ [يوسف:٥٥] مع قول النبى ﷺ: «والله إنى لأمين فى السماء، أمين فى الأرض»، وقول يوسف عليه السلام: ﴿قال اجعلنى على خزائن الأرض إنى حفيظ عليم﴾؟

قلت: إنما قال النبى ما قاله حين قال المنافقون ﴿اعدل فى القسمة﴾ تكذيبًا لهم، حيث وصفوه بخلاف ما كان عليه من العدل والأمانة. وإنما قال «يوسف» ما قاله ليتوصل إلى ما هو وظيفة الأنبياء، وهو إقامة العدل وبسط الحق. ولأنه علم أنه لا أحد فى زمنه أقوم منه بذلك العمل، فكان متعينا عليه.

٢١١ ـ قوله تعالى: ﴿ ..كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا..﴿٥٦﴾﴾ أى بأن تعاد إلى حالها الأول غير منضجة أى متحرقة فالمراد

---

٢٠٨ ـ البرهان مسألة رقم ٧٣ .

تبدل الصفة لا الذات، كما فى قوله تعالى ﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات﴾ [إبراهيم:٤٨].

٢١٢ ـ قوله تعالى: ﴿ .. وَنُدْخِلُهُمْ ظِلاً ظَلِيلاً ﴿٥٧﴾ ﴾.

هو عبارة عن المستلذ المستطيب كقوله تعالى: ﴿ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا﴾ جريًا على المتعارف بين الناس، وإلا فلا شمس فى الجنة طالعة ولا غاربة كما أنه لا بكرة فيها ولا عشية.

٢١٣ ـ قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ .. ﴿٦٩﴾ ﴾.

إن قلت: هذا مدح لمن يطيع الله والرسول وعادة العرب فى صفات المدح الترقى من الأدنى إلى الأعلى وهذا عكسه؟

قلت: ليس هو من ذاك الباب بل المقصود منه الإخبار إجمالاً عن كون المطيعين لله ولرسوله يكونون يوم القيامة مع الأشراف وقد تم الكلام عنه قوله ﴿أنعم الله عليهم﴾ ثم فصلهم بذكر الأشرف فالأشرف بقوله ﴿من النبيين﴾ إلى آخره جريًا على العادة فى تعديد الأشراف. ومثله ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم﴾ وكذلك ﴿شهد الله أنه لا إلا إلا هو والملائكة وأولو العلم﴾.

٢١٤ ـ قوله تعالى: ﴿ .. إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ ﴾.

إن قلت: كيف وصف فيه كيد الشيطان بالضعف، وفى قوله ﴿إن كيدكن عظيم﴾ [يوسف:٢٨] وصف كيد النساء بالعظم مع أن كيد الشيطان أعظم.

قلت: المراد أن كيد الشيطان ضعيف بالنسبة إلى نصرة الله أولياءه، وكيد النساء عظيم بالنسبة إلى الرجال.

٢١٥ ـ قوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ .. ﴿٧٩﴾ ﴾ جمع بينه وبين قوله تعالى ﴿قل كل من عند الله﴾ الواقع ردًا لقول المشركين ﴿وإن تصيبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله﴾ الآية بأن قوله تعالى ﴿قل كل من عند الله﴾ إى إيجادًا.

وقوله ﴿.. وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ.. (٧٩)﴾ أى كسبًا. كما فى قوله تعالى: ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم﴾ [الشورى: ٣٠] وبأن قوله ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ الآية حكاية قول المشركين والتقدير: فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقون حديثًا فيقولون ما أصابك؟

٢١٦ ـ قوله تعالى: ﴿.. وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا (٨٢)﴾.

يدل بمفهومه على أن فى القرآن اختلافًا قليلاً وإلا لما كان للتقييد بوصف الكثرة فائدة، مع أنه لا اختلاف فيه أصلاً إذ المراد بالاختلاف فيه: التناقض فى معاينة والتباين فى نظمه.

وأجيب بأن التقييد بالكثرة، للمبالغة فى إثبات الملازمة أى لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا، فضلاً عن القليل لكنه من عند الله، فليس فيه اختلاف كثير ولا قليل.

٢١٧ ـ قوله تعالى: ﴿.. وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً (٨٣)﴾.

إن قلت: كيف استثنى القليل بتقدير انتفاء الفضل والرحمة، مع أنه لولاهما لاتبع الكل الشيطان؟

قلت: الاستثناء راجع إلى «أذاعوا به» أو إلى ﴿لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾ أو إلى ﴿لاتبعتم الشيطان﴾ لكن بتقييد الفضل والرحمة بإرسال الرسول، أى لاتبعتم الشيطان فى الكفر والضلال إلا قليلاً منكم كانوا يهتدون بعقولهم، إلى معرفة الله وتوحيده كـ «قس بن ساعدة» و«ورقة بن نوفل» قبل البعثة، والخطاب فى الآية للمؤمنين.

٢١٨ ـ قوله تعالى: ﴿.. كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ .. (٩١)﴾ أى دعوا إليها ﴿اركسوا فيها﴾ أى عادوا إليها وقلبوا فيها أقبح قلب.

٢١٩ ـ قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلاَّ خَطَئًا .. (٩٢)﴾.

فإن قلت: ﴿إلا﴾ هنا فى قوله ﴿إلا خطأ﴾ ما معناها؟

قلت: ﴿إلا﴾ بمعنى «ولا» كما فى قوله تعالى: ﴿إنى لا يخاف لدى المرسلون إلا من ظلم﴾ [النمل: ١٠] وقوله: ﴿لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم﴾.

٢٢٠ ـ قوله تعالى: ﴿ .. فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً .. ﴿٩٥﴾ ﴾.

إن قلت: كيف قال هنا ﴿درجة﴾ وقال فى التى بعدها ﴿درجات﴾؟

قلت: المراد بالأول تفضيلهم على القاعدين بعذر، لأن لهم أجرًا لكونهم من الغزاة بالهمة والقصد، ولهذا قال ﴿وكلاً وعد الله الحسنى﴾ أى الجنة.

والمراد بالثانى تفضيلهم على القاعدين بلا عذر لأنهم مقصّرون ومسيئون، فكان فضل الغزاة عليهم درجات لانتفاء الفضل لهم.

٢٢١ ـ قوله تعالى: ﴿ .. قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ .. ﴿٩٧﴾ ﴾.

إن قلت: هذا الجواب ليس مطابقًا للسؤال بل المطابق له: كنا فى كذا، أو لم نكن فى شىء؟

قلت: المراد بالسؤال توبيخهم بأنهم لم يكونوا على الدين حيث قدروا على الهجرة ولم يهاجروا فصار قول الملائكة ﴿فيم كنتم﴾ مجازًا عن قولهم: لم تركتم الهجرة؟ فقالوا اعتذارًا عما وبخوا به ﴿كنا مستضعفين فى الأرض﴾.

٢٢٢ ـ قوله تعالى: ﴿ .. فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ .. ﴿١٠٠﴾ ﴾ أى ثبت وتحقق، أو وجب بوعد الله بقوله: ﴿إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً﴾.

قوله تعالى: ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَمًا .. ﴿١٠٠﴾ ﴾ أى متحولاً يتحول إليه، من «الرغام» وهو التراب وسميت المهاجرة مراغمة لأن من يهاجر يراغم قومه، لما يجد فى ذلك البلد من النعمة والخير، ما يكون سببًا لرغم أنف أعدائه الذين كانوا معه فى بلده الأصلى، فإنه إذا استقام حاله

فى البلد الأجنبى ووصل خبره إلى أهل بلده، خجلوا من سوء معاملتهم ورغمت أنوفهم بذلك.

٢٢٣ ـ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا .. ﴿١٠١﴾﴾.

تقييد القصر بالخوف جرى على الغالب فلا مفهوم له إذ للمسافر القصر فى الأمن أيضًا.

٢٢٤ ـ قوله تعالى: ﴿ .. وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لا يَرْجُونَ .. ﴿١٠٤﴾﴾.

إن قلت: رجاء الفريقين مشترك إذ الكفار يرجون الثواب فى قتالهم المؤمنين، لاعتقادهم أنه قربة لله، كالمؤمنين فى قتالهم الكفار؟

قلت: ممنوع إذ المراد بالكفار عبدة الأوثان ونحوهم ممن لا يعتقد الجزاء، فاعتقادهم فاسد لبنائه على فاسد فرجاؤهم وهمي فهو كالمعدوم.

٢٢٥ ـ قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ .. ﴿١١٠﴾﴾ المراد بعمل السوء ما دون الشرك، وبظلم النفس الشرك أو بعمل السوء الذنب المتعدى ضرره إلى الغير، وبظلم النفس الذنب القاصر عليها.

٢٢٦ ـ قوله تعالى: ﴿وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ .. ﴿١١٣﴾﴾.

إن قلت: ظاهرة نفى وقوع الهم منهم بإضلاله والمنقول خلافه؟

قلت: المراد بالهم المؤثر أى لهمت هما يؤثر عندك. والمراد بالإضلال الإضلال عن الشريعة أى لهمت أن يضلوك عن دينك وشريعتك، وكل من هذين الهمين لم يقع.

٢٢٧ ـ قوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ .. ﴿١١٥﴾﴾.

قاله هنا بالاظهار «يشاقق» كنظيره فى [الأنفال:١٣] وقاله فى [الحشر:٤] بالادغام، لأن «أل» فى الله لازمة بخلافها فى الرسول. ولأن حركة الحرف الثانى فى ذلك وإن كانت لالتقاء الساكنين كاللازمة لمجاورتها اللازم، فلزم

الادغام فى «الحشر» دون غيرها، وإنما أظهر فى الأنفال مع وجود لفظ «الله» لانضمام الرسول إليه فى العطف، لأن التقدير فيه أن الحرف الثانى اتصل بالمتعاطفين جميعًا، إذ الواو تصيرهما فى حكم شىء واحد.

٢٢٨ ـ قوله تعالى: ﴿ .. مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ .. ﴿١٢٣﴾ ﴾ أى إن مات مصرًا عليه، فإن تاب منه لم يجز به.

٢٢٩ ـ قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ..﴿١٣٥﴾ ﴾ أخر ﴿الله﴾ عن قوله بالقسط هنا، اهتماما بطلب القسط أى العدل، وعكس فى [المائدة:٨] لأن ﴿الله﴾ فيها متعلق قوامين لكون الآية ثم فى الولاة بدليل قوله ﴿ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا﴾ أى كونوا أيها الولاة قوامين فى أحكامكم لله لا للنفع.

٢٣٠ ـ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ .. ﴿١٣٦﴾ ﴾.

الآية، أى داوموا على الإيمان، إذ لو حمل على ظاهره، لكان تحصيلاً للحاصل.

٢٣١ ـ قوله تعالى: ﴿ .. فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ .. ﴿١٤١﴾ ﴾ سمى ظفر المسلمين فتحًا، وظفر الكافرين نصيبًا بعده، تعظيمًا لشأن المسلمين، وتحقيرًا لحظ الكافرين، لتضمن الأول نصرة دين الله وإعلاء كلمته ولهذا أضاف الفتح إليه تعالى وحظ الكافرين فى ظفرهم دنيوى.

٢٣٢ ـ قوله تعالى: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ ﴾.

كرره لتكرار الكفر منهم فإنهم كفروا بموسى وعيسى وبمحمد ﷺ.

٢٣٣ ـ قوله تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ..﴿١٥٧﴾ ﴾.

إن قلت: اليهود الداخلون تحت أهل الكتاب، كانوا كافرين بعيسى فكيف أقروا بأنه رسول الله.

٢٢٩ ـ البرهان ٧٧ والبحر المحيط ٣/ ٣٨٠.

قلت: قالوه استهزاء كما قال فرعون ﴿إن رسولكم الذى أرسل إليكم لمجنون﴾ [الشعراء: ٢٧].

٢٣٤ ـ قوله تعالى: ﴿ ..وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ .. ﴿١٥٧﴾ ﴾.

وصفهم بالشك لا ينافى بعده وصفهم بالظن لأن المراد بالشك هنا «شك الظن» واستثناء الظن من العلم فى الآية منقطع فـ «إلا» فيها بمعنى «لكن» كما فى قوله تعالى ﴿لا يسمعون فيها لغوًا ولا تأثيما. إلا قيلا سلامًا سلاما﴾ [الواقعة: ٢٦] ونحوه.

٢٣٥ ـ قوله تعالى: ﴿لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ... ﴿١٦٦﴾ ﴾.

إن قلت: كيف قال ﴿أنزله بعلمه﴾ ولم يقل: بقدرته أو بعلمه وقدرته مع أنه تعالى لا ينزل إلا عن علم وقدرة؟

قلت: معناه أنزله ملتبسًا بعلمه أى عالمًا به أو وفيه علمه أى معلومه.

٢٣٦ ـ قوله تعالى: ﴿.. إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ.. ﴿١٧١﴾ ﴾.

فإن قلت: كلامه تعالى: صفة قديمة قائمة بذاته وعيسى مخلوق وحادث فكيف صح إطلاق الكلمة عليه؟

قلت: معناه أن وجوده كان بكلمة الله تعالى، وهو قوله ﴿كن﴾ من غير واسطة أب، بخلاف غيره من البشر سوى آدم وإنما خص ذلك بعيسى لأنه جىء به للرد على من افترى عليه وعلى أمه مريم.

«انتهت سورة النساء»

****

سورة المائدة

٢٣٧ ـ قوله تعالى: ﴿ .. وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ .. ﴿٣﴾ ﴾.

أى وما أكل منه السبع وهو الباقى، إذ ما أكله السبع عدم وتعذر أكله فلا يحسن تحريمه.

٢٣٨ ـ قوله تعالى: ﴿ .. فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ .. ﴿٣﴾ ﴾.

حذفت الياء فيه وفى قوله تعالى: ﴿ .. وَاخْشَوْنِ وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً .. ﴿٤٤﴾ ﴾ لفظًا وخطًا.

أما لفظًا ففى هذه لالتقاء الساكنين وفى تلك فتبعًا لهذه.

وأما خطًا فتبعًا لحذفها لفظًا وأثبتت فيما عدا ذلك عملاً بالأصل.

٢٣٩ ـ قوله تعالى: ﴿ .. وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا .. ﴿٣﴾ ﴾.

جملة مستأنفة لا معطوفة على أكملت فى قوله ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ وإلا كان مفهوم ذلك أنه لم يرض لهم الإسلام دينا، قبل ذلك اليوم، وليس كذلك.

٢٤٠ ـ قوله تعالى: ﴿ .. وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ .. ﴿٤﴾ ﴾.

إن قلت: ما فائدة ذكره بعد قوله ﴿وما علمتم من الجوارح﴾ والمكلب هو معلم الكلاب للصيد وفيه تكرار؟

قلت: قد فسر «المكلب» بأنه المغرى للجارح فلا تكرار، وفى الآية اضمار بقرينة قوله ﴿فكلوا مما ذكر اسم الله عليه﴾ أى ومصيد ما علمتم من الجوارح، وإلا فالجوارح لا تحل وإن كانت معلمة.

---

٢٣٧ ـ البرهان ٨١ .

٢٤١ ـ قوله تعالى: ﴿ .. وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ .. ﴿٥﴾ ﴾.

قياس قوله ﴿ومن يؤمن بالله﴾ أن يقال: ومن يكفر بالله، فالمراد بالكفر هنا الارتداد، والباء بمعنى «عن» كما فى قوله ﴿سأل سائل بعذاب واقع﴾ أى ومن ارتد عن الإيمان.

وقيل: المراد بالإيمان المؤمن به تسمية للمفعول بالمصدر كما فى قوله تعالى: ﴿أحل لكم صيد البحر﴾ أى مصيده.

٢٤٢ ـ قوله تعالى: ﴿ .. وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾ ﴾.

ثم قال: ﴿ .. وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾.

غاير بينهما لأن الأول وقع فى النية المأخوذة من آية التيمم والوضوء والنية محلها ذات الصدور والثانى فى العمل.

٢٤٣ ـ قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾ ﴾.

رفع أجر هنا ونصبه فى الفتح فى قوله: ﴿ .. وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الفتح: ٢٩] موافقة للفواصل.

ومفعول «وعد» هنا محذوف تقديره خيراً.

فإن قلت: كيف قال: وعملوا الصالحات ولم يقل: وعملوا السيئات، مع أن المغفرة إنما هى لفاعل السيئات؟

قلت: كل واحد ممن ليس بمعصوم لا يخلو عن سيئة وإن كان ممن يعمل الصالحات، فالمعنى إن من آمن وعمل حسنات غفرت له سيئاته كما قال تعالى: ﴿إن الحسنات يذهبن السيئات﴾.

٢٤٤ ـ قوله تعالى: ﴿ .. فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٢﴾ ﴾.

فإن قلت: كيف قال ذلك مع أن من كفر قبل ذلك كذلك؟

قلت: نعم لكن الكفر بعدما ذكر من النعم أقبح مما قبله.

٢٤٥ ـ قوله تعالى: ﴿ .. يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ .. ﴿١٣﴾ ﴾.

وقال بعده ﴿يحرفون الكلم من بعد مواضعه﴾ لأن الأول فى أوائل اليهود والثانى فيمن كانوا فى زمن النبى ﷺ أى حرفوها بعد أن وضعها الله مواضعها، وعرفوها وعملوا بها زمانًا.

٢٤٦ ـ قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ ..﴿١٤﴾ ﴾.

إن قلت: لم قال ذلك ولم يقل: ومن النصارى.

قلت: إنما قاله توبيخًا لهم، لأنهم كانوا كاذبين فى دعواهم أنهم نصارى، ادعاء منهم لنصرة الله بعدما اختلفوا «نسطورية» و«يعقوبية» و«ملكانية» أنصار الشياطين.

٢٤٧ ـ قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ .. ﴿١٥﴾ ﴾.

إن قلت: لما عفا أى ترك كثيرًا مما أخفوه من كتابهم مع أنه مأمور ببيانه؟

قلت: إنما لم يبينه لأنه لم يؤمر ببيانه؟ أو لأن المأمور ببيانه ما يكون فيه إظهار حكم شرعى، كصفته وبعثته والبشارة به وآية الرجم، دون ما لم يكن فيه ذلك مما فيه افتضاحهم، وهتك أستارهم فيعفو عنه.

٢٤٨ ـ قوله تعالى: ﴿ .. قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ .. ﴿١٦﴾ ﴾.

إن قلت: كيف قال ذلك مع أن العبد ما لم يهده الله لا يتبع رضوانه فيلزم الدور؟

---

٢٤٥ ـ انظر البرهان، مسألة رقم ٨٤. وراجع مختصر ابن كثير ١/٤٩٧، والنووى ٩٩، والبحر المحيط ٣/٤٤١.
٢٤٦ ـ البرهان.
٤٧ ـ البرهان ٨٦.

قلت: فيه إضمار تقديره: يهدى به الله من علم أنه يريد أن يتبع رضوانه، كما قال: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ..﴾ [العنكبوت:٦٩] أى والذين أرادوا سبيل المجاهدة لنهدينهم سبيل مجاهدتنا.

٢٤٩ ـ قوله تعالى: ﴿.. وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾.

فإن قلت: لم كررها وختم الأولى بقوله: ﴿.. وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾ والثانية بقوله: ﴿وإليه المصير﴾؟

قلت: لأن الأولى نزلت فى النصارى حين قالوا ﴿إن الله هو المسيح ابن مريم﴾ فرد الله عليهم بقوله: ﴿ولله ملك السموات والأرض﴾ تنبيهًا على أنه مالك لعيسى وغيره، وأنه قادر على إهلاكه وإهلاك غيره.

والثانية: فى اليهود والنصارى حين قالوا ﴿نحن أبناء الله وأحباؤه﴾ فرد الله تعالى بقوله: ﴿ولله ملك السموات والأرض﴾ تنبيهاً على أن الجميع مملوكون له ومصيرهم إليه، يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء، ولو كان «عيسى» ابنه لم يملكه ولم يعذبه إذ الأب لا يملك ابنه ولا يعذبه.

٢٥٠ ـ قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ.. ﴿١٨﴾﴾.

فإن قلت: كيف أخبر الله عنهم أنهم قالوا: نحن أبناء الله، مع أنه لم يعرف أنهم قالوه؟

قلت: المراد بـ «أبناء الله» خاصته كما يقال: أبناء الدنيا وأبناء الآخرة.

وقيل: فيه إضمار تقديره: نحن أبناء أنبياء الله.

٢٥١ ـ قوله تعالى: ﴿.. قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم .. ﴿١٨﴾﴾.

إن قلت: كيف يصح الاحتجاج عليهم به، مع أنهم ينكرون تعذيبهم بذنوبهم، مدعين أن ما يذنبون بالنهار يغفر بالليل وبالعكس؟

قلت: هم مقرون بأنهم يعذبون أربعين يومًا، مدة عبادتهم العجل فى غيبة «موسى» عليه الصلاة والسلام لميقات ربه كما قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً .. ﴿٨٠﴾﴾ [البقرة: ٨٠].

٢٥٢ - قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ.. ﴿٢٠﴾﴾.

قال ذلك هنا، وقال فى إبراهيم ﴿وإذ قال موسى لقومه اذكروا﴾ لموافقة ما قبله وما بعده من النداء أو لأن التصريح باسم المخاطب مع حرف الخطاب يدل على تعظيم المخاطب به، وقد ذكر هنا نعم جسام وهو قوله: ﴿جعل فيكم أنبياء﴾ فناسب ذكر ﴿ياقوم﴾ بخلاف ذلك فى إبراهيم.

٢٥٣ - قوله تعالى: ﴿ .. فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ .. ﴿٢٣﴾﴾ وهو من مقول الداخلين.

فإن قلت: من أين علما أنهم غالبون حتى قالا ذلك؟

قلت: من جهة وثوقهم بأخبار موسى عليه السلام بقوله ﴿ادخلوا الأرض المقدسة التى كتب الله لكم﴾ .

وقيل: علما ذلك بغلبة الظن، وما عهداه من صنع الله تعالى بموسى عليه السلام من قهر أعدائه.

٢٥٤ - قوله تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ.. ﴿٢٦﴾﴾.

إن قلت: هذا ينافى قوله قبل ﴿ادخلوا الأرض المقدسة التى كتب الله لكم﴾؟

قلت: لا منافاة لأن المعنى: كتبها لكم بشرط أن تجاهدوا أهلها، فلما أبوا حرمت عليهم. أو كل منهما «عام» أريد به «خاص» فالكتابة للبعض وهم المطيعون، والتحريم على البعض وهم العاصون.

٢٥٥ ـ قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا ..﴿٢٧﴾﴾.

هو للجنس والمراد إذ قربا قربانين.

٢٥٦ ـ قوله تعالى: ﴿.. قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾.

إن قلت: كيف يصح جوابًا لقوله ﴿لأقتلنك﴾؟

قلت: لما كان الحسد لأخيه على تقبل قربانه هو الحامل له على توعده بالقتل، قال: إنما أتيت من قبل نفسك لانسلاخها من لباس التقوى فلم يتقبل قربانك.

٢٥٧ ـ قوله تعالى: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ .. ﴿٢٩﴾﴾.

أى بإثم قتلى، وإثمك الذى ارتكبته من قبلى وهو توعدك بقتلى.

فإن قلت: كيف قال «هابيل» لقابيل ذلك، مع أن إرادة الشخص السوء، والوقوع فى المعصية لغيره حرام؟

قلت: فى ذلك إضمار «لا» تقديره: إنى لا أريد أن تبوء بإثمى كما فى قوله تعالى: ﴿تالله تفتا تذكر يوسف﴾ أى لا تفتأ أو إضمار مضاف تقديره: إنى أريد انتفاء أن تبوء كما فى قوله تعالى: ﴿واشربوا فى قلوبهم العجل﴾ أى حبه.

٢٥٨ ـ قوله تعالى: ﴿..فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴿٣١﴾﴾.

إن قلت: هذا يقتضى أن «قابيل» كان تائبًا، والندم توبة لخبر «الندم توبة» فلا يستحق النار؟

قلت: لم يكن ندمه على قتل أخيه بل على حمله على عنقه أو على عدم اهتدائه للدفن الذى تعلمه من الغراب أو على فقده أخاه، أو على قتل أخيه، لكن مجرد الندم ليس بتوبة، إذ التوبة إنما تتحقق بالإقلاع وعزم ألا يعود وتدارك ما يمكن تداركه.

٢٥٩ ـ قوله تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ .. ﴿٣٢﴾﴾.

إن قلت: كيف يكون قتل الواحد كقتل الكل، مع أن الجناية إذا تعددت كانت أقبح؟

قلت: تشبيه أحد الشيئين بالآخر، لا يقتضى تساويهما من كل وجه، ولأن المقصود من ذلك المبالغة فى تعظيم أمر القتل العمد العدوان.

أو لأن المعنى: من قتل نفسًا بغير حق، كان جميع الناس خصومه فى الآخرة مطلقًا وفى الدنيا إن لم يكن له ولى.

أو المعنى: من قتل نبيًا أو إمامًا عادلاً، كان كمن قتل الناس جميعًا، من حيث إبطال المنفعة عن الكل.

٢٦٠ ـ قوله تعالى: ﴿ **وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ .. (٤٧)** ﴾.

إن قلت: كيف قال ذلك، مع أن الإنجيل منسوخ بالقرآن؟

قلت: معناه «وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه بما لم ينسخ بالقرآن».

أو المعنى: لما أنزلنا الإنجيل قلنا: وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه.

٢٦١ ـ قوله تعالى: ﴿ **.. وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (٤٤)** ﴾.

كرره ثلاث مرات، وختم الأولى بقوله ﴿الكافرون﴾ والثانية بقوله ﴿الظالمون﴾ والثالثة بقوله ﴿الفاسقون﴾.

قيل: لأن الأولى فى حكام المسلمين والثانية فى حكام اليهود والثالثة فى حكام النصارى.

وقيل كلها بمعنى واحد وهو «الكفر» عبر عنه بألفاظ مختلفة لزيادة الفائدة واجتناب التكرار.

وقيل: ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله﴾ إنكارًا له فهو كافر، ومن لم يحكم بالحق، مع اعتقاده للحق، وحكم بضده فهو ظالم ومن لم يحكم بالحق جهلاً وحكم بضده فهو فاسق.

وقيل: ومن لم يحكم بما أنزل الله فهو كافر بنعمة الله، ظالم فى حكمه، فاسق فى فعله.

٢٦٢ ـ قوله تعالى: ﴿.. فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ..﴿٤٩﴾﴾.

قلت: أراد به عقوبتهم فى الدنيا، على توليهم عن الإيمان بالسبى والجزية وغيرهما، وهذه العقوبة منقطعة، بخلاف عقوبة الآخرة فإنها على جميع الذنوب من توليهم عن الإيمان، وعن جميع فروعه، ودائمة لا تنقطع.

٢٦٣ ـ قوله تعالى: ﴿..وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾.

إن قلت: لم خص ﴿الموقنين﴾ بالذكر مع أن أحسنية حكم الله لا يختص بهم؟

قلت: لأنهم أكثر انتفاعًا بذلك من غيرهم كنظيره فى قوله تعالى: ﴿إنما أنت منذر من يخشاها﴾.

٢٦٤ ـ قوله تعالى: ﴿..وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾﴾.

إن قلت: هذا يقتضى أن من واد أهل الكتاب يكون كافرًا وليس كذلك؟

قلت: إنما قال ذلك مبالغة فى اجتناب المخالف فى الدين.

أو لأن الآية نزلت فى «المنافقين» وهم كفار وقوله تعالى: ﴿إن الله لا يهدى القوم الظالمين﴾ أى ما داموا على ظلمهم والمعنى: لا يهدى من سبق فى علمه أنه يموت ظلمًا.

٢٦٥ ـ قوله تعالى: ﴿.. أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ .. ﴿٥٤﴾﴾.

«على» بمعنى اللام أو ضمن الذلة معنى «العطف» فعداها تعديته، كأنه قال: عاطفين على المؤمنين.

٢٦٦ ـ قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾.

المراد بالغلبة فيها، الغلبة بالحجة والبرهان فإنها مستمرة أبدًا، لا بالدولة والصولة وإلا فقد غلب حزب الله غير مرة، حتى فى زمن النبى ﷺ.

٢٦٧ ـ قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ .. ﴿٦٠﴾﴾.

إن قلت: كيف قال ذلك مع أن المثوبة مختصة بالإحسان؟

قلت: لا نسلم اختصاصها بذلك لغة، بل هى الجزاء مطلقًا بدليل قوله تعالى: ﴿فأثابكم غما بغم﴾ وقوله: ﴿هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون﴾؟ أى هل جوزوا. غايته أن الثواب قد يكون خيرًا، وقد يكون شرًا، يقصد به «التهكم والاستهزاء» كلفظ البشارة، لا اختصاص له لغة بالخير، بل هو شامل للشر قال تعالى: ﴿فبشرهم بعذاب أليم﴾.

٢٦٨ ـ قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ .. ﴿٦٦﴾﴾.

وقضيته أن إقامة الكتاب توجب سعة الرزق والرخاء.

فإن قلت: ليس الأمر كذلك لأنا نجد كثيرًا من المؤمنين ضيقى المعيشة فى الدنيا؟

قلت: القضية خاصة بأهل الكتاب لأنهم شكوا ضيق الرزق حتى قالوا ﴿يد الله مغلولة﴾ فأخبرهم الله أن ذلك التضييق عقوبة لهم، بعصيانهم وكفرهم، والله تعالى يجعل ضيق الرزق وسعته نعمة فى بعض عباده ونقمة على الآخرين، فلا يلزم من توسيع الرزق الإكرام ولا من تضييقه الإهانة.

٢٦٩ ـ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ .. ﴿٦٧﴾﴾.

إن قلت: ما فائدته مع أنه معلوم أنه إذا لم يبلغ ما أنزل إليه، لم يكن قد بلغ الرسالة؟

قلت: فائدته الحث على تبليغ معايب اليهود، حتى لو فرض كتمان حرف واحد، كان فى الإثم ككتمان الجميع.

أو الأمر بتعجيل التبليغ، لأنه كان عازمًا على تبليغ جميع ما أنزل إليه، إلا أنه أخر البعض خوفًا على نفسه مع بقاء العزم ويؤيده قوله تعالى: ﴿والله يعصمك من الناس﴾ أى من القتل لا من جميع أنواع الأذى كشج الوجه وكسر الرباعية.

أو لعل الآية نزلت بعد أحد، لأن المائدة من أواخر ما نزل من القرآن.

٢٧٠ ـ قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ.. ﴿٧٢﴾﴾.

كرر الآية وختم هذه بقوله: ﴿إن الله هو المسيح ابن مريم﴾ والثانية بقوله: ﴿إن الله ثالث ثلاثة﴾ لأن «اليعقوبية» من النصارى زعموا أن الله تجلى فى زمن على شخص «عيسى» فظهرت منه المعجزات فصار إلهًا.

والملكانية منهم زعموا أن الله اسم يجمع «أما، وابنا، وروح القدس» فصار كل منهم إلهًا واحدًا آخذًا من قوله تعالى: ﴿أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله﴾ فكرر الآية لذلك وأخبر تعالى عنهم أنهم كلهم كفار.

٢٧١ ـ قوله تعالى: ﴿.. وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾.

المراد بالظالمين هنا المشركون بقرينه ما قبله إذ الظالمون من المسلمين لهم ناصر، وهو النبى ﷺ لشفاعته لهم يوم القيامة.

٢٧٢ ـ قوله تعالى: ﴿.. وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾.

فائدة ذكره بعد قوله ﴿قد ضلوا من قبل﴾ أن المراد بالضلال الأول ضلالهم عن الإنجيل وبالثانى ضلالهم عن القرآن.

٢٧٣ ـ قوله تعالى: ﴿كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ .. ﴿٧٩﴾﴾.

إن قلت: النهى عن المنكر بعد فعله لا معنى له؟

قلت: فيه حذف مضاف أى كانوا لا يتناهون عن معاودة منكر فعلوه، أو

عن مثله، أو عن منكر أرادوا فعله، أى لا يمتنعون أو المعنى كانوا لا ينتهون عن منكر فعلوه، بل يصرون عليه.

٢٧٤ ـ قوله تعالى: ﴿.. وَلَكِنَّ كَثِيراً مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨١﴾﴾ أى من المنافقين أو اليهود.

إن قلت: كلهم فاسقون لا كثير منهم فقط؟

قلت: المراد بالفسق فسقهم بموالاة المشركين ودس الأخبار إليهم لا مطلق الفسق، وذلك مخصوص بكثير منهم وهو المذكورون فى قوله تعالى قبل: ﴿ترى كثيرًا منهم يتولون الذين كفروا﴾.

٢٧٥ ـ قوله تعالى: ﴿.. إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ .. ﴿٩٠﴾﴾.

إن قلت: هذه المذكورات من عمل الله، لا من عمل الشيطان؟

قلت: فى الكلام إضمار أى تعاطى هذه الأشياء من عمل الشيطان.

فإن قلت: مع هذا الإضمار كيف قال: ﴿من عمل الشيطان﴾ وتعاطى هذه الأشياء من عمل الإنسان، لا من عمل الشيطان؟

قلت: لما كان تعاطى هذه الأشياء بوسوسة الشيطان وتزيينه ذلك للفساق، صار كما لو أغرى رجل رجلاً بضرب آخر فضربه فإنه يجوز أن يقال للمغرى هذا من عملك.

فإن قلت: لم خص من الأشياء المذكورة «الخمر» و«الميسر» بالذكر فى قوله: ﴿إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر﴾؟

قلت: خصهما بالذكر تعظيمًا لأمرهما ولأن ما ذكر من العداوة والبغضاء بين الناس، يقع كثيرًا بسببهما دون الباقى.

وقيل: إنما خصهما بالذكر بيانًا للواقع، لأن الخطاب للمؤمنين بدليل قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ وهم إنما كانوا يتعاطون الخمر والميسر فقط.

٢٧٦ ـ قوله تعالى: ﴿ .. لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ .. ﴿٩٤﴾ ﴾ أى علم ظهور.

٢٧٧ ـ قوله تعالى: ﴿ .. وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا .. ﴿٩٥﴾ ﴾.

قيل: العمد ليس بشرط لوجوب الجزاء كما بينته السنة وذكره فى الآية بيان للواقع لأن الواقعة التى كانت سبب نزول الآية، كانت عمدًا فلا مفهوم له.

٢٧٨ ـ قوله تعالى: ﴿ .. هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ .. ﴿٩٥﴾ ﴾. الآية قيد بها تعظيمًا لها، وإلا فالشرط بلوغه الحرم.

٢٧٩ ـ قوله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ.. ﴿١٠٣﴾ ﴾. الآية، أى ما حرم أو ما شرع ولا يصح تفسيره بـ «خلق» لأن الأشياء المذكورة خلقها الله.

٢٨٠ ـ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ .. ﴿١٠٥﴾ ﴾.

أى احفظوا أنفسكم وقوموا بصلاحها.

فإن قلت: ظاهر الآية يقتضى عدم وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر؟

قلت: لا نسلم ذلك فإنها إنما تقتضى أن المطيع لا يؤاخذ بذنوب المضل. أو لأن الآية مخصوصة بما إذا خاف الإنسان عند الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر على نفسه أو عرضه أو ماله.

٢٨١ ـ قوله تعالى: ﴿ .. قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾ ﴾.

إن قلت: كيف قال ذلك، مع أنهم عالمون بماذا أجيبوا؟

قلت: هذا جواب دهشة وحيرة حين تطيش عقولهم من زفرة جهنم.

أو المعنى: لا علم لنا بحقيقة ما أجابوا به، لا إنّا لا نعلم إلا ظاهره وأنت تعلم ظاهره وباطنه، بدليل آخر الآية.

وقيل: المراد منه المبالغة فى تحقيق نصيحتهم كمن يقول لغيره: ما تقول فى فلان؟ فيقول أنت أعلم به منى، كأنه قيل: لا يحتاج فيه إلى شهادة لظهوره.

٢٨٢ ـ قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ .. ﴿١١٢﴾﴾.

فإن قلت: كيف قال الحواريون ذلك وهم خلص أتباع عيسى ـ وهو كفر، لأنه شك فى قدرة الله تعالى وذلك كفر؟

قلت: الاستفهام المذكور استفهام من الفعل لا من القدرة كما يقول الفقير للغنى القادر: هل تقدر أن تعطينى شيئًا وهذه تسمى استطاعة المطاوعة، لا استطاعة القدرة.

والمعنى: هل يسهل عليك أن تسأل ربك؟ كقولك لآخر: هل تستطيع أن تقوم معى؟ وأنت تعلم استطاعته لذلك.

فإن قلت: لو كان ما ذكر مرادًا لما أنكر عليهم عيسى بآخر الآية؟

قلت: إنكاره عليهم إنما كان لإتيانهم بلفظ لا يليق بالمؤمن المخلص ذكره.

٢٨٣ ـ قوله تعالى: ﴿.. تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ .. ﴿١١٦﴾﴾.

إن قلت: كيف قال عيسى ذلك، مع أن كل ذى نفس فهو ذو جسم، لأن النفس جوهر قائم بذاته، متعلق بالجسم تعلق التدبير والله منزه عن ذلك؟

قلت: النفس كما تطلق على ذلك تطلق على ذات الشىء وحقيقته كما يقال: نفس الذهب والفضة محبوبة أى ذاتهما والمراد هنا الثانى.

٢٨٤ ـ قوله تعالى: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ .. ﴿١١٧﴾﴾.

فإن قلت: كيف قال ذلك مع أنه غير لهم أيضًا غير ما ذكر؟

قلت معناه: «ما قلت لهم فيما يتعلق الإله».

فإن قلت: عيسى حى فى السماء فكيف قال ﴿فلما توفيتنى﴾؟

قلت: المراد بالتوفى النوم كما مر، مع زيادة فى قوله فى آل عمران: ﴿إنى متوفيك ورافعك إلىّ﴾ مع أن السؤال يتوجه على قول من قال: إن

السؤال والجواب وجدا يوم رفعه إلى السماء وأما من قال: إنهما يكونان يوم القيامة ـ وعليه الجمهور ـ فلا إشكال.

٢٨٥ ـ قوله تعالى: ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ .. ﴿١١٩﴾﴾.

أى يوم القيامة.

فإن قلت: كيف قال ذلك، مع أن الصدق نافع فى الدنيا أيضًا؟

قلت: نفعه بالنسبة إلى نفع يوم القيامة الذى هو الفوز بالجنة والنجاة من النار كالعدم.

فإن قلت: إن أراد بالصدق صدقهم فى الآخرة فالآخرة ليست بدار عمل، أو فى الدنيا، فليس مطابقًا لما ورد فيه وهو الشهادة لعيسى بالصدق بما يجيب به يوم القيامة؟

قلت: أراد به الصدق المستمر بالصادقين فى دنياهم وآخرتهم.

« تمت سورة المائدة »

****

٢٨٥ ـ انظر البرهان ٩١ والنووى ١٠٩.

سورة الأنعام

٢٨٦ ـ قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ..﴿١﴾﴾.

جمع السماء دون الأرض لما مر فى البقرة.. وجمع الظلمة دون النور لأنها اسم جنس، والنور مصدر والمصدر لا يجمع.

وقيل: لكثرة أسبابها بخلاف النور.

و﴿جعل﴾ تأتى لخمسة معان:

فتأتى بمعنى «خلق» كما هنا وكما فى قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا ..﴾ [فصلت: ١٠].

وبمعنى: «بعث» كما فى قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَرُونَ وَزِيراً﴾ [الفرقان: ٣٥].

وبمعنى: «قال» كما فى قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا ..﴿١٩﴾﴾ [الزخرف: ١٩].

وبمعنى: «بين» كما فى قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ..﴾ [الزخرف: ٣] أى بيناه بحلاله وحرامه.

وبمعنى: «صير» كما فى قوله تعالى: ﴿.. وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً ..﴾ [الأنعام: ٢٥].

وقوله تعالى: ﴿.. وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ..﴾. [النمل: ٦١].

٢٨٧ ـ قوله تعالى: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ..﴿٣﴾﴾.

فائدة: ذكر الجهر بعد السر مع أنه مفهوم منه بالأولى المقابلة و«التأكيد» كما فى قوله تعالى: ﴿فمن تعجل فى يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه﴾.

٢٨٨ ـ قوله تعالى: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٥﴾﴾ بسط هنا، واختصر فى الشعراء فقال: ﴿فقد كذبوا فسيأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون﴾، لأن ما هنا سابق على ما هناك فناسب البسط هنا، والاختصار ثم.

٢٨٩ ـ قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ .. ﴿٦﴾﴾.

قال هنا وفى «النحل:٧٩» بلا عاطف من واو وفاء عقب الهمزة وفى «الشعراء:٧» بواو وفى «سبأ:٩» بفاء.. لأن مثل هذا الكلام يأتى للإنكار فإن اعتبر فيه الاستدلال لم يؤت بواو ولا فاء، ليكون كالمستأنف.

وان اعتبرت فيه المشاهدة أتى بالواو والفاء لتدل الهمزة على الانكار والواو أو الفاء على عطف ما بعدها على مقدر قبلها يناسبه فى المعنى المناسب لمعنى ما قبل الهمزة، لكن الفاء أشد اتصالاً بما قبلها من الواو والتقدير فى الشعراء: «أكذبوا الرسل ولم يروا»؟

وفى سبأ: ﴿أكفروا فلم يروا﴾؟

٢٩٠ ـ قوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا .. ﴿١١﴾﴾ الآية. قاله هنا بـ «ثم» الدالة على التراخى وفى غير هذه السورة بالفاء الدالة على التعقيب مع اشتراكهما فى الأمر بالسير لأن ما فى هذه السورة وقع بعد ذكر القرون، فى قوله: ﴿كم أهلكنا من قبلهم من قرن﴾ وقوله: ﴿وأنشأنا من بعدهم قرنًا آخرين﴾ فتعددت القرون فى أزمنة متطاولة فخصت الآية هنا بـ «ثم» بخلاف ما فى غير هذه السورة إذ لم يتقدمه شىء من ذلك فخصت بالفاء.

٢٩١ ـ قوله تعالى: ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ

---

٢٨٩ ـ البرهان ٩٣ والنووى ١١٣.

٢٩٠ ـ راجع البرهان مسألة ٩٤ وإرشاد العقل السليم ٢/١٧٧.

الْعَلِيمُ..﴿١٣﴾﴾ خص الساكن بالذكر دون المتحرك لأن الساكن من المخلوقات، أكثر عددًا من المتحرك.

أو لأن كل متحرك يصير إلى السكون من غير عكس.

أو لأن السكون هو الأصل والحركة حادثة عليه.

٢٩٢ ـ قوله تعالى: ﴿.. وَهُوَ يُطْعِمُ وَلا يُطْعَمُ .. ﴿١٤﴾﴾ الآية. خص الإطعام بالذكر، لأن الحاجة إليه أتم.

٢٩٣ ـ قوله تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ..﴿١٩﴾﴾.

إن قلت: كيف اكتفى من النبى ﷺ فى الجواب بقوله: ﴿الله شهيد بينى وبينكم﴾ مع أن ذلك لا يكفى من غيره؟

قلت: لأنه قادر على إقامة الحجة على أنه شهيد له، وقد أقامها بقوله: ﴿وأوحى إلى هذا القرآن لأنذركم به﴾ بخلاف غيره لا يقدر على ذلك.

٢٩٤ ـ قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢١﴾﴾.

بدأ الآية هنا بالواو وختمها بقوله: ﴿إنه لا يفلح الظالمون﴾.

وبدأها فى «يونس:١٧» بالفاء، وختمها بقوله: ﴿إنه لا يفلح المجرمون﴾.

لأن ما قبلها ثم سبب لها، ومعطوف بالفاء ومذكور فيه المجرمون فناسب فيها ما ذكر، بخلاف ما هنا فإن المتقدم فيه معطوف بالواو ولم يذكر فيه المجرمون.

٢٩٥ ـ قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلاَّ أَن قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴿٢٣﴾﴾.

كذبوا فى قولهم ذلك، مع معاينتهم حقائق الأمور ظنًا منهم أنهم يتخلصون به.

فإن قلت: كيف الجمع بين هذا وبين قوله: ﴿ولا يكتمون الله حديثا﴾؟

قلت: فى القيامة مواقف مختلفة ففى بعضها لا يكتمون، وفى بعضها يكتمون، بل يكذبون ويحلفون كما فى قوله تعالى: ﴿عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ «الحجر:٩٣» مع قوله تعالى: ﴿فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان﴾.

٢٩٦ ـ قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ .. ﴿٢٥﴾﴾ قال هنا «يستمع» بالإفراد، وفى «يونس» ﴿ومنهم من يستمعون إليك﴾ بالجمع لأن ما هنا نزل فى قوم قليلين وهم «أبو سفيان» و«النضر بن الحارث» و«عتبة وشيبة وأمية وأبىّ ابن خلف» فنزلوا منزلة الواحد، فأعيد الضمير على لفظ «من» وما فى «يونس» نزل فى جميع الكفار، فناسب الجمع، فأعيد الضمير على معنى «من».

وإنما لم يجمع ثم فى قوله تعالى: ﴿ومنهم من ينظر إليك﴾ لأن الناظرين إلى المعجزات أقل من المستمعين للقرآن.

٢٩٧ ـ قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ .. ﴿٢٧﴾﴾ وفى أخرى بعدها ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ .. ﴿٣٠﴾﴾ لأنهم أنكروا وجود النار فى القيامة، وجزاء ربهم ونكاله فيها، فقال فى الأولى ﴿على النار﴾ وفى الثانية ﴿إذ وقفوا على ربهم﴾ أى على جزاء ربهم ونكاله فى النار.

٢٩٨ ـ قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾﴾ قاله هنا بدون ﴿نموت ونحيا﴾ وفى «المؤمنون:٣٧» و«الجاثية:٥» به لأنهم فى القيامة قالوه بموقف ولم يقولوه بآخر فأشار إلى الأمرين بما ذكر.

٢٩٩ ـ قوله تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ .. ﴿٣٢﴾﴾ الآية. قدم اللعب هنا وفى «القتال» و«الحديد» وعكس فى «الأعراف:٥١» و«العنكبوت:٦٤» لأن اللعب زمن الصبا، واللهو زمن الشباب وزمن الصبا مقدم على زمن الشباب، فناسب إعطاء المقدم للأكثر، والمؤخر للأقل.

---

٢٩٦ ـ البرهان ٩٧ والنووى ١١٨.

٣٠٠ ـ قوله تعالى: ﴿.. وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلا تَعْقِلُونَ.. ﴿٣٢﴾﴾.

خص المتقين بالذكر، مع أن غيرهم كذلك، لأنهم الأصل وغيرهم تبع لهم، وقرىء هنا ﴿وللدار الآخرة﴾ بلامين ثانيهما مدغمة فى الدار ورفع الآخرة بجعلها صفة للدار وبإضافة الدار إليها بلام واحدة تبعًا لاختلاف المصاحف فى ذلك. وفى «يوسف:١٠٩» بالوجه الثانى فقط تبعًا للمصاحف.

٣٠١ ـ قوله تعالى: ﴿.. وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٥﴾﴾.

إن قلت: كيف قال لمحمد ذلك وهو أغلظ خطابًا من قوله لنوح: ﴿إنى أعظك أن تكون من الجاهلين﴾ مع أن محمدًا ﷺ أعظم رتبة؟

قلت: لأن نوحًا كان معذورًا بجهله بمطلوبه، لأنه تمسك بوعد الله تعالى، فى إنجاء أهله، وظن أن ابنه من أهله. بخلاف محمد ﷺ لم يكن معذورًا، لأنه كبر عليه كفرهم مع علمه أن كفرهم وإيمانهم بمشيئة الله تعالى وأنهم لا يهتدون إلا أن يهديهم الله تعالى.

٣٠٢ ـ قوله تعالى: ﴿.. وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

إن قلت: ما فائدة ذكره مع أنه مفهوم من قوله قبله: ﴿والموتى يبعثهم الله﴾ لأنهم إذا بعثوا من قبورهم فقد رجعوا إليه بالحياة بعد الموت؟

قلت: ليس مفهومًا منه، لأن المراد به وقوفهم بين يديه للحساب والجزاء، وهو غير البعث الذى هو إحياء بعد الموت.

٣٠٣ ـ قوله تعالى: ﴿.. قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يُنَزِّلَ آيَةً .. ﴿٣٧﴾﴾ وقع جوابًا لقولهم ﴿لولا نزل عليه آية من ربه﴾.

فإن قلت: لو صح جوابًا له، لصح من كل من ادعى النبوة وطولب بآية أن يجيب بذلك؟

٣٠٠ ـ البرهان ١٠٠ والنووى ١٢٠.

قلت: يلتزم ذلك أن تثبت نبوته بمعجزة كما ثبتت للنبى ﷺ بها، وإلا فلا يصح الجواب بذلك.

٣٠٤ ـ قوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ ..﴿٣٨﴾﴾ فائدة ذكر ﴿فى الأرض﴾ بعد دابة مع أنها لا تكون إلا فى الأرض، وذكر ﴿يطير بجناحيه﴾ التأكيد، كما فى قوله تعالى ﴿لا تتخذوا إلهين اثنين﴾ أو زيادة التعميم والاحاطة.

٣٠٥ ـ قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ .. ﴿٤٠﴾﴾.

أى أرأيتم آلهتكم تنفعكم إن أتاكم عذاب الله؟ وقد جمع فى هذه الآية ونظيرتها بعد «٤٧» بين علامتى خطاب «التاء» و«الكاف» لمزيد الاهتمام للمراد، والذى هو الاستئصال بالهلاك والتاء اسم إجماعًا والكاف حرف خطاب عند البصريين.

٣٠٦ ـ قوله تعالى: ﴿.. فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴿٤٢﴾﴾.

قال ذلك هنا، وقال فى الأعراف ﴿يضرعون﴾ بالإدغام. لأن ههنا وافق ما بعده، وهو قوله ﴿جاءهم بأسنا تضرعوا﴾ ومستقبل «تضرعوا» «يتضرعون» لا غير.

٣٠٧ ـ قوله تعالى: ﴿.. انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾﴾ كرره «٥٠» طلبًا للرغبة فى إيمان المذكورين إذ التقدير: ﴿انظر كيف نصرف الآيات ثم هم يصدفون﴾ أى يعرضون عنها، فلا تعرض عنهم، بل كررها لهم ﴿لعلهم يفقهون﴾ أى يفهمون.

وإنما ختم الأولى بقوله ﴿ثم هم يصدفون﴾ والثانية بقوله ﴿لعلهم يفقهون﴾ لأن الاعراض عن الشئ، أقبح من عدم فهمه فوصفوا بالأول فى

---

٣٠٥ ـ البرهان ١٠١ وزاد المسير لابن الجوزى ٣/ ٤٢.
٣٠٧ ـ البرهان ١٠٣.

الآية الأولى، تبعًا لما وصفوا به قبلها من قسوة قلوبهم، ونسيانهم ما ذكروا به وغيرهما، وذلك مفقود فى الثانية.

٣٠٨ - قوله تعالى: ﴿قُل لَّا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ .. ﴿٥٠﴾﴾.

كرر «٥٠» فيها «لكم» لعدم ذكره قبلها وبعدها ولم يكرره فى اية «هود:٣١» اكتفاء بذكره قبلها مرتين: فى قوله ﴿إنى لكم نذير﴾ وقوله ﴿وما نرى لكم﴾ وبعدها مرة فى قوله ﴿أن أنصح لكم﴾.

٣٠٩ - ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾﴾ ترك تعيين سبيل المؤمنين لعلمه من تبيين سبيل المجرمين.

٣١٠ - قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ.. ﴿٦٠﴾﴾. الآية. أى كسبتم فيه، وخص النهار بالذكر دون الليل لأن الكسب فيه أكثر لأنه زمن حركة الإنسان والليل زمن سكونه.

٣١١ - قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ .. ﴿٦٢﴾﴾ أى مولى جميع الخلق وهذا لا ينافى قوله ﴿وأن الكافرين لا مولى لهم﴾ لأن المراد بالمولى هنا: المالك أو الخالق، أو المعبود.. وثم الناصر.

٣١٢ - قوله تعالى: ﴿.. وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ .. ﴿٧٣﴾﴾.

خص ﴿قوله الحق﴾ بيوم القيامة مع أنه لا يختص به لوجوده فى الدنيا أيضًا، لأن ذلك اليوم ليس لغيره تعالى فيه قول يرجع إليه، بل قوله فيه هو الحق الذى لا يدفعه أحد من العباد لانكشاف الغطاء فيه.. ونظيره قوله تعالى: ﴿..وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾﴾ مع أن الأمر له فى كل زمان.

ومثل ذلك يأتى فى قوله: ﴿وله الملك يوم ينفخ فى الصور﴾ وأما ملك غيره فى الدنيا، فهو إنما يكون خلافه عنه، وهبة منه وإنعامًا بدليل قوله تعالى فى حق «داود» عليه السلام: ﴿وآتاه الله الملك والحكمة﴾.

٣١٣ - قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ .. ﴿٨٤﴾﴾.

إن قلت: كيف ذكر فى معرض الامتنان من أولاد «إسحاق» ولم يذكر معه «إسماعيل» بل أخره عنه بدرجات مع أنه أكبر منه؟

قلت: لأن إسحاق وهب له من حرة، وكانت عجوزًا عقيمًا.. وإسماعيل من أمة، فكانت المنة فى هبة إسحاق أظهر.

وقيل: لأن القصد هنا ذكر أنبياء بنى إسرائيل، وهم بأسرهم أولاد اسحاق واسماعيل لم يخرج من صلبه نبى إلا محمد ﷺ.

٣١٤ ـ قوله تعالى: ﴿.. قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾.

قاله هنا بدون تنوين، وفى «يوسف: ١٠٤» بالتنوين لأنه ذكر هنا قبل قوله: ﴿فلا تقعد بعد الذكرى﴾ بلا تنوين فناسب ذكره هنا كذلك.

٣١٥ ـ قوله تعالى: ﴿.. وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ .. ﴿٩٢﴾ ﴾.

إن قلت: كيف قال فى وصف القرآن ذلك، مع أن كثيرًا ممن يؤمن بالآخرة، من اليهود، والنصارى وغيرهم لا يؤمن به؟

قلت: معناه والذين يؤمنون بالآخرة إيمانًا نافعًا مقبولاً هم الذين يؤمنون به.

٣١٦ ـ قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ .. ﴿٩٣﴾ ﴾.

إن قلت: كيف أفرده بالذكر مع دخوله فى قوله قبل ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا..﴾؟.

قلت: إنما أفرده بالذكر، لأنه لما اختص بمزيد قبح من بين أنواع الافتراء، خص بالذكر تنبيها على مزيد العقاب فيه والإثم.

٣١٧ ـ قوله تعالى: ﴿.. يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ..﴿٩٥﴾ ﴾.

---

٣١٤ ـ البرهان ١٠٥ والنووى ١٢٥.

الآية، قال ذلك هنا، وقال فى «آل عمران» و«يونس» و«الروم» ﴿ويخرج الميت من الحى﴾ بالفعل.

لأن ما هنا وقع بعد اسم فاعل وهو «فالق». وقيل اسمى فاعل وهما: فالق وجاعل، فناسب ذكر، «مخرج» لكونه اسم فاعل وخص بالاسم لتكرر الاسمين بعده.. وخص ﴿يخرج الحى﴾ قبله بالفعل، إذ لم يتقدمه إلا اسم واحد.

وما فى بقية السور لم يقع قبله وبعده إلا أفعال فناسب ذكره بالفعل.

٣١٨ ـ قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ .. (٩٨)﴾ الآية. قاله هنا بلفظ ﴿أنشأكم﴾ وفى غير هذه السورة بلفظ ﴿خلقكم﴾ لأن ما هنا موافق لقوله قبله: ﴿أنشأنا من بعدهم﴾ ولقوله بعده: ﴿وهو الذى أنشأ جنات﴾ بخلاف البقية.

٣١٩ ـ قوله تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٠١)﴾.

فائدة ذكر قوله: ﴿خالق كل شىء فاعبدوه﴾ فيها بعد قوله ﴿وخلق كل شىء﴾ جعله توطئة لقوله تعالى: ﴿فاعبدوه﴾ وأما قوله: ﴿وخلق كل شىء﴾ فإنما ذكر استدلالاً على نفى الولد.

٣٢٠ ـ قوله تعالى: ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٠٣)﴾.

إن قلت: كيف خص الإبصار فى الثانى بالذكر مع أنه تعالى يدرك كل شىء؟

قلت: خصه بالذكر لرعاية المقابلة اللفظية، لأنها نوع من البلاغة.

٣٢١ ـ قوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلاً .. (١١٤)﴾.

إن قلت: كيف قال ﴿إليكم﴾ ولم يقل ﴿إلى﴾ مع أنه تعالى إنما قال: ﴿وأنزلنا إليك الكتاب﴾؟.

---

٣١٨ ـ البرهان ١٠٨ وتفسير الطبرى ١١/ ٥٥٤.

قلت: لما كان إنزاله لأجل تبليغهم كان كأنه أنزل إليهم.

٣٢٢ ـ قوله تعالى: ﴿.. وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾﴾.

قاله هنا بلفظ الرب وبعده بلفظ الله لأنه هنا وقع بين آيات فيها ذكر الرب مرات، وما بعد وقع بعد آيات فيها ذكر الله مرات، ولهذا ذكر لفظ «الله» قبل، فى قوله تعالى ﴿ولو شاء الله ما أشركوا﴾ وبعد فى قوله تعالى: ﴿لو شاء الله ما أشركنا﴾.

٣٢٣ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾﴾.

قال ذلك هنا بلا «باء» وبالمضارع موافقة لقوله بعد ﴿الله أعلم حيث يجعل رسالته﴾.

وقال فى «النحل: ١٢٥» و«النجم: ٣٠» و«ن: ٧» ﴿بمن ضل﴾ بزيادة الباء وبالماضى عملاً بزيادة الباء فى مفعول «اعلم» تقوية له لضعفه كما فى قوله تعالى: ﴿وهو أعلم بالمهتدين﴾ وقوله: ﴿وهو أعلم بمن اهتدى﴾ وعملاً فى الماضى بكثرة الاستعمال فى قولهم: «اعلم بمن دب ودرج، وأحسن من قام وقعد، وأفضل من حج واعتمر».

وحيث حذفت الباء أضمر فعل من مادة «علم» يعمل فى المفعول لضعف «اعلم» عن العمل بلا تقوية وتقديره فى الآية: يعلم من يضل.

٣٢٤ ـ قوله تعالى: ﴿.. كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ المزين لهم هو الله لقوله تعالى: ﴿زينا لهم أعمالهم﴾ أو الشيطان لقوله تعالى: ﴿وزين لهم الشيطان أعمالهم﴾ وكل صحيح فالتزيين من الله بالإيجاد والخلق، ومن الشيطان بالإغواء والوسوسة.

٣٢٥ ـ قوله تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ.. ﴿١٣٠﴾﴾.

---

٣٢٢ ـ البرهان ١١١ والنووى ١٢٩ والدر المنثور للسيوطى ٣/٤٧.
٣٢٣ ـ البرهان ١١٢ والنووى ١٣٠ والطبرى ١٢/٦٤.

فإن قلت: كيف قال ذلك، والرسل إنما كانت من الإنس خاصة؟

قلت: بل ومن الجن أيضًا على قول الضحاك ومقاتل أنه أرسل إليهم رسل، وأما على قول غيرهما بمنع ذلك، فالمراد برسل الجن، الذين سمعوا القرآن من النبى ﷺ، ثم ولوا إلى قومهم منذرين كما قال تعالى: ﴿وإذ صرفنا إليك نفرًا من الجن يستمعون القرآن..﴾ الآية.

٣٢٦ ـ قوله تعالى: ﴿..قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ كرر شهادتهم على أنفسهم لاختلافها باختلاف المشهود به، لأن الأولى شهادتهم بتبليغ الرسل إليهم، والثانية شهادتهم بكفرهم.

فإن قلت: شهادتهم بكفرهم تضمنت إقرارهم به، وهو مناف لجحدهم فى قوله حكاية عنهم ﴿والله ربنا ما كنا مشركين﴾؟

قلت: مواقف القيامة مختلفة ففى موقف أقروا وفى آخر جحدوا.

أو المراد بشهادتهم شهادة أعضائهم عليهم، حين يختم على أفواههم كما قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾﴾.

وبجحدهم: جحدهم بأفواههم قبل أن يختم عليها.

٣٢٧ ـ قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ ..﴿١٣٥﴾﴾.

قاله هنا وفى مواضع بالفاء، لأنه وقع جوابًا بالأمر قبله.

وقال فى أواخر «هود» فاء «٩٣» لأنه لم يتقدمه أمر فصار استئنافًا أو صفة لـ «عامل» أى إنى عامل سوف تعلمون.

٣٢٨ ـ قوله تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ..﴿١٤٠﴾﴾.

إن قلت: ما فائدته بعد قوله ﴿سفها﴾ مع أن السفه لا يكون إلا بغير علم؟

قلت: معنى قوله تعالى: ﴿بغير علم﴾ بغير حجة.

٣٢٩ ـ قوله تعالى: ﴿ .. قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾ ﴾.

فائدته بعد قوله: ﴿قد ضلوا﴾ أنهم بعدما ضلوا لم يهتدوا مرة أخرى.

٣٣٠ ـ قوله تعالى: ﴿ .. كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ .. ﴿١٤١﴾ ﴾.

إن قلت: ما فائدة ذكره بعد قوله ﴿كلوا من ثمره﴾ مع أنه معلوم أنه إنما يؤكل من ثمره إذا أثمر.

قلت: فائدته نفى توهم توقف إباحة أكله على بدو صلاحه.

٣٣١ ـ قوله تعالى: ﴿قُل لاَّ أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَن يَكُونَ مَيْتَةً .. ﴿١٤٥﴾ ﴾ الآية، أى لا أجد فيه محرمًا مما كانوا يحرمونه فى الجاهلية، إلا أن يكون ميتة﴾ إلى أخرى، وإلا ففى القرآن تحريم أشياء أخر غير ذلك، كالربا، وأكل مال اليتامى ومال الغير بالباطل.

٣٣٢ ـ قوله تعالى: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾ ﴾.

فإن قلت: كيف قال فى الجواب ذلك مع أن المحل محل عقوبة، فكان الأنسب أن يقال: فقل ربكم ذو عقوبة شديدة؟

قلت: إنما قال ذلك نفيًا للاغترار بسعة رحمته فى الاجتراء على معصيته وذلك أبلغ فى التهديد معناه: لا تغتروا بسعة رحمته فإنه مع ذلك لا يرد عذابه عنكم.

٣٣٣ ـ قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ .. ﴿١٤٨﴾ ﴾.

قال ذلك هنا، وقال فى النحل: ﴿ .. لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ .. ﴿٣٥﴾ ﴾ [النحل: ٣٥].

---

٣٣٣ ـ انظر البرهان بتحقيق السيد الجميلى ١١٤ والنووى ١٣٣ والبحر المحيط ٤/٢٤٢.

بزيادة ﴿من دونه﴾ مرتين وزيادة ﴿نحن﴾.

لأن الشراك يدل على شريك لا يجوز إثباته وعلى أشياء من دون الله، فلم يحتج إلى ﴿من دونه﴾ فحذف وتبعه فى الحذف ﴿نحن﴾ طردًا للتخفيف.

بخلاف العبادة فإنها غير مستنكرة، وإنما المستنكر عبادة شىء مع الله ولا يدل لفظهما على تحريم شىء كما دل عليه ﴿أشرك﴾ فلم يكن بد من تقييده بقوله: ﴿من دونه﴾ وناسب استيفاء الكلام فيه زيادة ﴿نحن﴾ وظاهر أن زيادة ذكر التحريم فى آية ﴿لو شاء الله ما أشركنا﴾.

٣٣٤ ـ قوله تعالى: ﴿.. وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ..(١٥١)﴾ الآية.

قال ذلك هنا، وقال فى الإسراء: ﴿ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق، نحن نرزقهم وإياكم﴾.

قدم هنا المخاطبين على الغائبين وعكس ثم، لأن ظاهر قوله هنا ﴿من إملاق﴾ أى فقر، إن الإملاق حاصل للوالدين المخاطبين لا توقعه فبدىء بهم، وظاهر قوله ثم ﴿خشية إملاق﴾ أن الإملاق متوقع بهم وهم موسرون، فبدىء بالأولاد، فما هنا يفيد النهى للآباء عن قتل الأولاد وإن تلبسوا بالفقر، وما هناك يفيده وإن تلبسوا باليسر.

٣٣٥ ـ قوله تعالى: ﴿.. وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ .. (١٥٢)﴾.

إن قلت: لم خص العدل بالقول، مع أن الفعل إلى العدل أحوج فإن الضرر الناشىء من الجور الفعلى، أقوى من الضرر الناشىء من الجور القولى؟

قلت: إنما خصه بالقول، ليعلم وجوب العدل فى الفعل بالأولى، كما فى قوله تعالى: ﴿ولا تقل لهما أف﴾.

٣٣٦ ـ قوله تعالى: ﴿.. ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٥١)﴾.

---

٣٣٤ ـ البرهان ١١٥ والنووى ١٣٥ وزاد المسير ٣/١٤٨ والطبرى ١٢/٢١٩.
٣٣٥ ـ البرهان ١١٦.

ختم الآية بـ الأولى بقوله ﴿تعقلون﴾ والثانية بقوله: ﴿تذكرون﴾ والثالثة بقوله ﴿تتقون﴾.

لأن الأولى: اشتملت على خمسة أشياء عظام والوصية فيها أبلغ منها فى غيرها، فختمها بما فى الإنسان من أعظم السجايا وهو «العقل» الذى امتاز به على سائر الحيوان.

والثانية: اشتملت على خمسة أشياء يقبح ارتكابها، والوصية فيها تجرى مجرى الزجر والوعظ فختمها بقوله: ﴿تذكرون﴾ أى تتعظون.

والثالثة: اشتملت على ذكر الصراط المستقيم، والتحريض على اتباعه واجتناب منافيه، فختمها بالتقوى التى هى ملاك العمل، وخير الزاد.

٣٣٧ ـ قوله تعالى: ﴿ .. وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ .. ﴿١٦٤﴾ ﴾.

إن قلت: هو مناف لنحو قوله تعالى: ﴿وليحملن أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم﴾ ولخبر «من عمل سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة»؟

قلت: لا منافاة إذ الوزر فى الآية الأولى محمول على من لم يتسبب فى الفعل بوجه، وفيما عداها على من تسبب فيه بوجه كالأمر به والدلالة عليه فعليه وزر مباشرته ووزر تسببه فيه.

٣٣٨ ـ قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ .. ﴿١٦٥﴾ ﴾.

قال ذلك هنا، وقال فى «يونس: ١٤» و«فاطر» ﴿خلائف فى الأرض﴾ لأن ما ههنا تكرر قبله ذكر المخاطبين مرات، فعرفهم بالإضافة وما فى السورتين جاء على الأصل، كما فى قوله تعالى: ﴿إنى جاعل فى الأرض خليفة﴾ وقوله: ﴿وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه﴾.

٣٩٩ ـ قوله تعالى: ﴿ .. إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٥﴾ ﴾ وقال فى الأعراف ﴿إن ربك لسريع العقاب وإنه لغفور رحيم﴾ باللام فى الجملتين، لأن ما هنا وقع بعد قوله: ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾

٣٣٨ ـ البرهان ١١٧ والفتاوى ١٤٠ وتفسير الطبرى ٢٨٧/١٢.

وقوله: ﴿وهو الذى جعلكم خلائف الأرض﴾ فأتى باللام فى الجملة الثانية فقط، ترجيحًا للغفران على سرعة العقاب.

وما هناك وقع بعد قوله: ﴿وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس﴾ وقوله: ﴿فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين﴾ فأتى باللام فى الجملة الأولى لمناسبة ما قبلها، وفى الثانية تبعًا للام فى الأولى.

فإن قلت: كيف قال: ﴿سريع العقاب﴾ مع أنه حليم، والحليم لا يعجل بالعقوبة على من عصاه؟

قلت: معنى «سريع» شديد أو المعنى سريع العقاب إذا جاء وقته.

« انتهت سورة الأنعام »

****

سورة الأعراف

٣٤٠ ـ قوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ ..﴿٢﴾﴾ أى ضيق من الكتاب أن تبلغه مخافة أن تكذب والنهى فى اللفظ للحرج والمراد المخاطب مبالغة فى النهى عن ذلك كأنه قيل: لا تتسبب فى شىء ينشأ منه حرج وهو من باب «لا أرينك ههنا» النهى فى اللفظ للمتكلم، والمراد المخاطب أى لا تكن بحضرتى فأراك ومثله ﴿فَلا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لاَّ يُؤْمِنُ بِهَا ﴿١٦﴾﴾ [طه:١٦].

٣٤١ ـ قوله تعالى: ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴿٤﴾﴾ أى أردنا اهلاكها.

٣٤٢ ـ قوله تعالى: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾﴾ جمع ميزان القيامة مع أنه واحد باعتبار تعدد ما يوزن به من الأعمال، أو باعتبار أنه يقوم مقام موازين كثيرة لأنه يميز الذرة وما هو كالجبال.

فإن قلت: الأعمال أعراض فكيف توزن؟

قلت: يصيرها الله أجسامًا، أو الموزون صحائفها.

٣٤٣ ـ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ ..﴿١١﴾﴾ أتى بـ ﴿ثم﴾ الثانية وهى للترتيب مع أن الأمر بالسجود لآدم، كان قبل خلقنا وتصويرنا لأن ﴿ثم﴾ هنا للترتيب الاخبارى أو لتفاوت ما بين نعمتى السجود له وما قبله، لأن السجود له أكمل إحسانًا، وأتم إنعامًا مما قبله.

أو المراد: ولقد خلقنا آباكم ثم صورناه بحذف مضاف.

٣٤٤ ـ قوله تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ .. ﴿١٢﴾﴾ قال ذلك هنا، وقال فى الحجر: ﴿قال يا إبليس ما لك ألا تكون مع الساجدين﴾.

وفى «ص»: ﴿قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى﴾ بزيادة ﴿يا ابليس﴾ فيهما لأن خطابه هنا قرب من ذكره فحسن حذف ذلك وفى تينك لم يقرب منه قربه هنا، ، فحسن ذكره.

وأما قوله هنا وفى «ص» ﴿منعك﴾ وفى «الحجر» ﴿مالك﴾؟ فتفنن جريًا على عادة العرب فى تفننهم فى الكلام.

وقوله: ﴿ألا تسجد﴾ قال ذلك بزيادة «لا» كما فى قوله تعالى: ﴿لئلا يعلم أهل الكتاب﴾ وقال فى «ص» بحذفها وهو الأصل، فزيادتها هنا لتأكيد معنى النفس فى ﴿منعك﴾.

أو لتضمن ﴿منعك﴾ حملك وهى على الثانى ليست زائدة فى المعنى.

٣٤٥ ـ قوله تعالى: ﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٣﴾﴾ أى فى السماء .. خصها بالذكر لأنها مقر الملائكة المطيعين الذين لا يعصون الله وإلا فليس لإبليس أن يتكبر فى الأرض أيضًا.

٣٤٦ ـ قوله تعالى: ﴿قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾﴾ قاله هنا بحذف الفاء، موافقة لحذف ﴿يا إبليس﴾ هنا. وقال فى «الحجر:٣٦» و«ص: ٨٠» بذكرها موافقة لذكره ثم لما تضمنه النداء من ﴿ادعوك﴾ وأناديك، كما فى قوله تعالى: ﴿ربنا فاغفر لنا ذنوبنا﴾.

٣٤٧ ـ قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾﴾ قاله هنا بحذف الفاء موافقة لحذفها فى السؤال هنا.

وقال فى «الحجر» و«ص» بذكرها موافقة لذكرها فيه ثم.

---

٣٤٤ ـ انظر البرهان ١١٩، والنووى ١٤٢، وتفسير الطبرى ٨/ ٩٦، والقرطبى ٧/ ١٤٧.
٣٤٦ ـ البرهان ١٢١، والنووى ١٤٣، وتفسير القرطبى ٧/ ١٤٧.
٣٤٧ ـ انظر: البرهان ١٢٢.

فإن قلت: كيف أجيب إبليس إلى الأنظار مع أنه إنما طلبه ليفسد أحوال عباد الله تعالى؟

قلت: لما فى ذلك من ابتلاء العباد، ولما فى مخالفته من أعظم الثواب.

٣٤٨ ـ قوله تعالى: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾﴾. قال ذلك هنا بالفاء وبـ «الحجر: ٣٩» بحذفها مع اتفاقهما فى مدخول الباء.

وقال فى «ص» ﴿فبعزتك﴾ بالفاء مع مخالفته لتينك فى مدخول الباء. لأن «الفاء» وقعت هنا فى محلها وفى «ص» لأنها متسببة عما قبلها ولا مانع فحسنت ولم تحسن فى «الحجر» لوقوع النداء ثم فى قوله ﴿رب بما اغويتنى﴾ والنداء يستأنف له الكلام ويقطع، والـ «باء» فى المواضع الثلاثة للسببية أو بقسم وما بعدها فى «ص» موافق لما بعدها فى غيرها فى المعنى وإن خالفه لفظًا فلا اختلاف فى الحقيقة إذ غوى الله للشيطان يتضمن عزته تعالى.

٣٤٩ ـ قوله تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا ..﴿٢٠﴾﴾ اللام فيه «لام العاقبة» والصيرورة لا «لام كى» لأن الغرض إخراجهما من الجنة، لا كشف عورتهما، كما فى قوله تعالى ﴿فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوًا وحزنا﴾ وقول الشاعر:

لدوا للموت وابنوا للخـــــراب فكلكم يصير إلى التــــــراب

٣٥٠ ـ قوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾﴾.

إن قلت: كيف قال ذلك، مع أنه تعالى بدأنا أولاً نطفة، ثم علقة ثم مضغة ثم عظامًا ثم لحمًا ونحن نعود بعد الموت كذلك؟

قلت: معناه: كما بدأكم من تراب كذلك تعودون منه، أو كما أوجدتكم بعد العدم كذلك يعيدكم بعده.. فالتشبيه فى نفس الإحياء والخلق لا فى الكيفية والترتيب.

٣٥١ ـ قوله تعالى: ﴿قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ..﴿٣٢﴾﴾.

إن قلت: كيف أخبر عن الزينة والطيبات بأنهما للذين آمنوا فى الحياة الدنيا مع أن المشاهد أنهما لغير الذين آمنوا أكثر وأدوم؟

قلت: فى الآية إضمار تقديره: قل هى للذين آمنوا غير خالصة فى الحياة الدنيا، خالصة للمؤمنين يوم القيامة.

٣٥٢ ـ قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ﴿٣٤﴾﴾.

قاله هنا وفى سائر المواضع بالفاء إلا فى «يونس:٤٩» فبحذفها لأن مدلولها فى غير يونس جملة معطوفة على أخرى مصدرة بالواو وبينها اتصال وتعقيب فحسن الإتيان بالفاء الدالة على التعقيب، بخلاف ما فى يونس.

وقوله فى الآية ﴿ولا يستقدمون﴾ معطوفة على الجملة الشرطية لا على جواب الشرط، إذ لا يصح ترتيبه على الشرط.

٣٥٣ ـ قوله تعالى: ﴿وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴿٤٣﴾﴾.

إن قلت: كيف قال ذلك مع أن الميراث هو ما ينتقل من ميت إلى حى وهو مفقود هنا؟

قلت: بل هو تشبيه أهل الجنة وأهل النار بالوارث والموروث عنه لأن الله خلق فى الجنة منازل للكفار بتقدير إيمانهم فمن لم يؤمن منهم جعل منزله لأهل الجنة.

أو لأن: دخول الجنة، لا يكون إلا برحمة الله تعالى لا بعمل فأشبه الميراث، وإن كانت الدرجات فيها بحسب الأعمال.

---

٣٥٢ ـ البرهان ١٢٦.

٣٥٤ ـ قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالآخِرَةِ كَافِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾.

قال ذلك هنا وقال فى «هود:١٩» ﴿وهم بالآخرة هم كافرون﴾ لأن ما هنا جاء على الأصل وتقديره: وهم كافرون بالآخرة، فقدم ﴿بالآخرة﴾ رعاية للفواصل.

وما فى «هود» وقع بعد قوله تعالى: ﴿ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين﴾ والقياس عليهم فلما عبر عنهم بالظالمين، التبس أنهم هم الذين كذبوا على ربهم أم غيرهم فقال: ﴿وهم بالآخرة هم كافرون﴾ ليعلم أنهم هم المذكورون لا غيرهم.

٣٥٥ ـ قوله تعالى: ﴿وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا ﴿٥٦﴾﴾ الآية.

أى بعد أن أصلحها الله، بالأمر بالعدول وإرسال الرسل أو بعد أن أصلح الله أهلها بحذف مضاف.

٣٥٦ ـ قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ.. ﴿٥٧﴾﴾.

قاله هنا: وفى «الروم» بلفظ المضارع.

وقال فى «الفرقان:٤٨» و«فاطر:٩» أرسل بلفظ الماضى.

لأن ما هنا تقدمه ذكر الخوف والطمع فى قوله تعالى: ﴿وادعوه خوفًا وطمعًا﴾ وهما للمستقبل.

وما فى «الروم:٤٨» تقدمه التعبير بالمضارع مرات فى قوله تعالى: ﴿ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات﴾ الآية، فناسب ذكر المضارع فيهما.

وما فى «الفرقان» تقدمه التعبير بالماضى مرات فى قوله: ﴿ألم تر إلى ربك كيف مد الظل﴾ وتأخر عنه ذلك فى قوله: ﴿وهو الذى مرج البحرين﴾ الآية.

---

٣٥٦ ـ البرهان ١٢٨، والبحر المحيط ٣١٧/٤.

وما فى «فاطر» تقدمه فى أولها «فاطر» و«جاعل» وهما بمعنى الماضى، فناسب ذكر الماضى فى السورتين.

٣٥٧ ـ قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ .. ﴿٥٩﴾﴾ قاله هنا بغير واو، وقاله فى «هود» و«المؤمنين» بواو لأن ما هنا مستأنف لم يتقدمه ذكر نبى وما فى «هود» تقدمه ذكر الأنبياء مرة بعد أخرى وما فى «المؤمنين» تقدمه ﴿ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق﴾ وقوله: ﴿وعليها وعلى الفلك تحملون﴾ وكلها بالواو فناسب ذكرها فيهما.

٣٥٨ ـ ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ .. ﴿٦٠﴾﴾.

قال هنا فى قصة «نوح» و«هود» بلا فاء لأنه خرج مخرج الابتداء وان تضمن الجواب، كما فى قوله تعالى: ﴿قالوا نحن أعلم بمن فيها﴾ بعد قوله: ﴿قال إن فيها لوطًا﴾، وقاله فى «هود:٢٧» و«المؤمنين:٢٧» بالفاء، لأنه وقع جوابًا لما قبله فناسبته الفاء.

فإن قلت: كيف وصف الملأ بـ ﴿الذين كفروا﴾ فى قصة هود دون قصة نوح عليهما الصلاة والسلام؟

قلت: لأنه كان قد آمن بهود بعضهم فلم يكونوا كلهم قائلين له: ﴿إنا لنراك فى سفاهة﴾ بخلاف قوم نوح فإنه لم يكن فيهم من آمن به إذ ذاك.

ونقض بأنه تعالى وصف أيضًا الملأ من قوم نوح بالكفر فى سورة هود.

وأجيب بجواز كون هذا القول وقع مرتين، المرة الثانية بعد إيمان بعضهم بخلاف المرة الأولى.

٣٥٩ ـ قوله تعالى: فى قصة نوح: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ.. ﴿٦٢﴾﴾ قال فيها بلفظ المضارع فى الجملة الثانية مناسبة للمضارع فى الأولى، كما عطف الماضى فى قوله: ﴿لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ.. ﴿٩٣﴾﴾.

---

٣٥٨ ـ انظر البرهان بتحقيق السيد الجميلى مسألة رقم ١٢٩.

وقال فى قصة «هود» بلفظ اسم الفاعل مناسبة لاسم الفاعل قبله فى قوله: ﴿وإنا لنظنك من الكاذبين﴾ وبعده فى قوله ﴿آمين﴾.

وعبر فى قصة «نوح» و«هود» بالمضارع فى الجملة الأولى، وفى قصة «صالح:٧٩» و«شعيب:٩٣» بالماضى فيهما، لأن ما فى الأولين وقع فى ابتداء الرسالة، وما فى الآخرين وقع فى آخرها.

٣٦٠ ـ قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾.

قاله هنا مرتين «٧٨ و٩١» وفى العنكبوت مرة، بالإفراد.

وقال فى «هود» ﴿فأصبحوا فى ديارهم جاثمين﴾ مرتين بالجمع لأن ما فى الموضع الأول، تقدمه ذكر الرجفة أى الزلزلة وهى تختص بجزء من الأرض، فناسبها الإفراد. وما فى الأخيرين، تقدمه ذكر الصيحة وكانت من السماء وهى زائدة على الرجفة فناسبها الجمع.

٣٦١ ـ قوله تعالى: فى قصة صالح: ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي .. ﴿٧٩﴾﴾ قال ذلك فيها بالتوحيد (أى: بالإفراد) وقاله فى قصة شعيب بالجمع لأن ما أمر به شعيب قومه من التوحيد، وإيفاء الكيل، والنهى عن الصد، وإقامة الوزن بالقسط أكثر مما أمر به صالح قومه.

أو لأن شعيبًا: أرسل إلى أصحاب الأيكة وإلى مدين فجمع باعتبار تعدد المرسل إليهم. و«صالح» عليه السلام وحد باعتبار الجنس.

فإن قلت: كيف قال صالح لقومه، بعد ما أخذتهم الرجفة وماتوا: ﴿ياقوم لقد أبلغتكم رسالة ربى﴾ الآية، ومخاطبة الحى للميت لا فائدة فيه؟

قلت: بل فيه فائدة، وهى نصيحة غيره فإن ذلك يستعمل عرفًا فيما ذكر، لأن من نصح غيره فلم يقبل منه حتى قتل ويراه ناصحه فإنه يقول له: كم نصحتك فلم تقبل حتى أصابك هذا حثًا للسامعين له، على قبولهم النصيحة.

٣٦٢ ـ قوله تعالى: ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾﴾.

عبر هنا بلفظ السرف والاسم وفى «النمل» بلفظ الجهل والفعل تكثيرًا للفائدة فى التعبير عن المراد بلفظين متساويين معنى، إذ كل سرف جهل، وبالعكس، ورعاية للفواصل فى التعبير بالاسم والفعل، إذ الفواصل هنا أسماء وهى: «العالمين، المرسلين، الناصحين» إلى آخرها.

وفى النمل أفعال وهى: «يعلمون، يتقون، يبصرون» فناسب الاسم هنا، والفعل ثم.

٣٦٣ ـ قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُوا أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ .. ﴿٨٢﴾﴾.

قاله هنا بالواو وفى «النمل: ٥٦» وفى «العنكبوت: ٢٩» فى الموضعين بالفاء.

لأن ما هنا: تقدمه اسم هو «مسرفون» والاسم لا يناسبه التعقيب. وما فى تينك تقدمه فعل هو «تجهلون» و«تقطعون» و«تأتون فى ناديكم المنكر» والفعل يناسبه التعقيب فناسب ذكر الفاء الدالة عليه ثم وذكر «الواو» هنا.

٣٦٤ ـ قوله تعالى: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ﴿٨٨﴾﴾ فيه تغليب الجمع على الواحد، إذ منهم شعيب، ولم يكن فى ملتهم حتى يعود إليها، وكذا قول شعيب: ﴿إن عدنا فى ملتكم بعد إذ نجانا الله منها﴾ على أن «عاد» تأتى بمعنى صار، كما فى قوله تعالى: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ [يس: ٣٩].

والمعنى: أن صرنا فى ملتكم.

٣٦٥ ـ قوله تعالى: ﴿..وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِن قَبْلُ.. ﴿١٠١﴾﴾ قاله هنا بحذف المعمول وهو «به».. وفى «يونس: ٧٤» بإثباته تبعًا لما قبلهما فى الموضعين إذ قبل ما هنا ﴿ولكن كذبوا﴾ وقبل ما فى يونس ﴿كذبوا بآياتنا﴾ بإثباته.

٣٦٢ ـ راجع البرهان ١٤٢.

٣٦٣ ـ البرهان ١٤٣، والنووى ١٥٢.

٣٦٦ ـ قوله تعالى: ﴿ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ (١٠٠) ﴾ مع قوله بعد ﴿ .. كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ (١٠١) ﴾.

قاله هنا أولاً بالنون وإضمار الفاعل وثانيًا بالياء وإظهار الفاعل وقال فى «يونس: ٧٤» بالنون والإضمار.. لأن الآيتين هنا تقدمهما الأمران: الياء مع الإظهار مرتين فى قوله تعالى: ﴿أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون﴾ والنون مع الإضمار فى قوله: ﴿أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم﴾ فناسب الجمع بين الأمرين هنا.

والآية ثم تقدمها النون مع الإضمار فقط، فى قوله ﴿فنجيناهم﴾ ﴿وجعلناهم﴾ ﴿ثم بعثنا﴾ فناسب الاقتصار على النون مع الإضمار ثم.

٣٦٧ ـ قوله تعالى: ﴿قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (١٠٦) ﴾.

إن قلت: لم قال فرعون هذا، بعد قوله: ﴿إن كنت جئت بآية﴾؟

قلت: معناه: إن كنت جئت بآية من عند الله فأتنى بها.

فإن قلت: كيف قال تعالى هنا حكاية عن السحرة الذين أمنوا وعن فرعون ﴿قالوا آمنا برب العالمين.. إلى قوله وتوفنا مسلمين﴾ ثم حكى عنهم هذا فى «طه» و«الشعراء» بزيدة ونقصان واختلاف ألفاظ فى الألفاظ المنسوبة إليهم، والقصة واحدة فكيف اختلفت عبارتهم فيها؟

قلت: حكى الله ذلك عنهم مرارًا بألفاظ متساوية معنى جريًا على عادة العرب فى التفنن فى الكلام، والحذف فى محل إحالة على ذكره فى محل آخر، وإنما خولف فى ذلك لئلا يمل إذا تمحض تكراره.

والحكمة فى تكرار قصة موسى وغيرها من القصص تأكيد التحدى وإظهار الإعجاز ولهذا سمى الله القرآن «مثانى» لأنه تثنى فيه الإخبار

٣٦٦ ـ البرهان ١٤٦، والنووى ١٥٩، ومتشابه القرآن ١/٨٨، ٢٨٩/٢٥٩.

والقصص أو إفادة الغائب عن المرة السابقة فقد كان أصحاب النبى ﷺ يحضر بعضهم ويغيب بعضهم فى الغزوات فإذا حضر الغائبون، أكرمهم الله تعالى بإعادة الوحى تشريفًا لهم.

٣٦٨ - قوله تعالى: ﴿قَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾﴾.

إن قلت: كيف نسب القول هنا للملأ، ونسبه فى الشعراء لفرعون فى قوله تعالى: ﴿قال الملأ حوله إن هذا لساحر عليم﴾؟

قلت: قاله فرعون وهم، فحكى قوله ثم، وقولهم وحدهم أو معه هنا.

٣٦٩ - قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾﴾ قاله هنا بحذف ﴿بسحره﴾ وقاله فى «الشعراء: ٣٤» بإثباته لأن الآية هنا بنيت على الاختصار، ولأن ما قبل الآية هنا وهو ﴿لساحر عليم﴾ يدل على السحر بخلاف الآية ثم.

٣٧٠ - قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿١١١﴾﴾ قاله هنا بلفظ ﴿وأرسل﴾ وفى الشعراء بلفظ ﴿وابعث﴾«٣٦» وهما بمعنى واحد، تكثيرًا للفائدة فى التعبير عن المراد بلفظين متساويين معنى.

٣٧١ - قوله تعالى: ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾﴾ قاله هنا وفى «يونس» بلفظ ﴿ساحر﴾ موافقة لما قبله وهو ﴿إن هذا لساحر عليم﴾ هنا و﴿إنه لا يفلح الساحرون﴾ فى يونس. وقرىء ﴿بكل سحار﴾ موافقة لما فى «الشعراء: ٣٧».

٣٧٢ - قوله تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُم بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ .. ﴿١٢٣﴾﴾ قاله هنا بلفظ ﴿به﴾ وقال فى طه والشعراء بلفظ ﴿له﴾ لأن الضمير هنا عائد إلى رب العالمين وفى تينك إلى موسى لقوله فيهما ﴿إنه لكبيركم﴾. وقيل: ﴿آمنتم به﴾ و﴿آمنتم له﴾ واحد.

٣٧٣ - قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾﴾.

٣٧٠ - البرهان رقم المسألة ١٤٩، والنووى ١٦١، والطبرى ٤٦/١٩، والقرطبى ٩٩/١٣.

إن قلت: ما الجمع بينه وبين قوله فى الشعراء ﴿فأخرجناهم من جنات وعيون﴾؟ الآية

قلت: معنى «دمرنا» أبطلنا ما كان يصنع فرعون وقومه من المكر والكيد بموسى عليه السلام ﴿وما كانوا يعرشون﴾ يبنون من الصرح الذى أمر فرعون هامان ببنائه ليصعد بواسطته إلى السماء.

وقيل: هو على ظاهره من أن معنى «دمرنا» أهلكنا لأن الله تعالى أورث ذلك بنى اسرائيل مدة ثم دمره.

٣٧٥ ـ قوله تعالى: ﴿ .. وَفِي ذَلِكُم بَلاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾ ﴾.

أى نعمة عظيمة أن جعلت الإشارة راجعة إلى الانجاء فى قوله تعالى: ﴿وإذ أنجيناكم من آل فرعون﴾ أو محنة عظيمة، أن جعلت الإشارة راجعة إلى قتل الأبناء واستحياء النساء فى قوله تعالى: ﴿يقتلون أبناءكم ويستحيون نسائكم﴾. إذ البلاء بين «النعمة» و«المحنة» قال تعالى: ﴿وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ .. ﴿١٦٨﴾ ﴾ وقال: ﴿ .. وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

٣٧٦ ـ قوله تعالى: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ .. ﴿١٤٢﴾ ﴾.

فإن قلت: المواعدة كانت أمرًا بالصوم فى هذا العدد فكيف ذكر الليالى مع أنها ليست محلاً للصوم؟

قلت: العرب فى أغلب تواريخها إنما تذكر الليالى وإن أرادت الأيام لأن الليل هو الأصل فى الزمان والنهار عارض لأن الظلمة سابقة فى الوجود على النور مع أن الليل ظرف لبعض الصوم وهى النية التى هى ركن فيه.

٣٧٧ ـ قوله تعالى: ﴿ .. فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً .. ﴿١٤٢﴾ ﴾.

إن قلت: ما فائدته مع علمه مما قبله؟

قلت: فائدته التوكيد، والعلم بأن العشر ليال لا ساعات ورفع توهم أن العشر داخلة فى الثلاثين بمعنى أنها كانت عشرين وأتمت بعشر.

٣٧٨ ـ قوله تعالى: ﴿.. فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ(١٤٣)﴾. أى أنا أول من آمن من بنى إسرائيل فى زمنى.

أو بأنك لا ترى فى الدنيا بالحاسة الفانية.

٣٧٩ ـ قوله تعالى: ﴿..وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ(١٤٥)﴾.

﴿بأحسنها﴾ أى التوراة.

إن قلت: كيف قال ﴿بأحسنها﴾ مع أنهم مأمورون بجميع ما فيها؟

قلت: معنى ﴿بأحسنها﴾ بحسنها وكلها حسن.. أو أمروا فيها بالخير، ونهوا عن الشر وفعل الخير أحسن من ترك الشر أو أن فيها حسنًا وأحسن كالقود والعفو، والانتصار والصبر، والمأمور به والمباح فأمروا بما هو الأكثر ثوابًا.

٣٨٠ ـ قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ.. (١٤٨)﴾ ليس المراد من بعد زمن موسى، لأن اتخاذ قومه ذلك إنما كان فى زمنه، بل المراد من بعد ذهابه إلى الجبل أو من بعد عهد، إليهم أن لا يعبدوا غير الله.

٣٨١ ـ قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ .. (١٤٩)﴾ أى ندموا على عبادتهم العجل.

إن قلت: كيف عبر عن الندم بالسقوط فى اليد؟

قلت: لأن عادة من اشتد ندمه على فائت أن يعض يده غمًا كما فى قوله تعالى: ﴿ويوم يعض الظالم على يديه﴾ فتصير يده مسقوطًا فيها، لأن فاه قد وقع فيها.

٣٨٢ ـ قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا .. (١٥٠)﴾.

إن قلت: يعنى غضبان عن أسف؟

قلت: لا، لأن «الأسف» الحزين، وقيل: الشديد الغضب.

٣٨٣ ـ قوله تعالى: ﴿.. أَخَذَ الأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ الجملة الثانية فيها حال من الألواح والمعنى: أخذ الألواح والحال أن فيما نسخ فيها أى كتب هدى ورحمة.

٣٨٤ ـ قوله تعالى: ﴿.. وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴿١٥٧﴾﴾. أى اتبعوا القرآن الذى أنزل معه ـ أى مع النبى ـ ﷺ.

فإن قلت: القرآن لم ينزل مع النبى، بل عليه وإنما نزل مع جبريل؟

قلت: ﴿معه﴾ بمعنى: «مقارنًا لزمنه» أو بمعنى عليه أو هو متعلق باتبعوا أى اتبعوا القرآن كما اتبعه هو، مصاحبين له فى اتباعه.

٣٨٥ ـ قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾﴾ خص الصلاة بالذكر مع دخولها فيما قبلها اظهاراً لمرتبتها لكونها عماد الدين وناهية عن الفحشاء والمنكر.

٣٨٦ ـ قوله تعالى: ﴿.. فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث .. ﴿١٧٦﴾﴾.

فإن قلت: هذا تمثيل لحال «بلعام» فكيف قال بعده: ﴿سَاءَ مَثَلاً الْقَوْمُ﴾ ولم يضرب إلا لواحد؟

قلت: المثل فى الصورة وإن ضرب لواحد فالمراد به كفار مكة كلهم لأنهم صنعوا مع النبى ﷺ بسبب ميلهم إلى الدنيا من الكيد والمكر، ما يشبه فعل «بلعام» مع موسى.

أو أن ﴿سَاءَ مَثَلاً الْقَوْمُ﴾ راجع إلى قوله تعالى: ﴿ذلك مثل القوم﴾ لا إلى أول الآية.

٣٨٧ ـ قوله تعالى: ﴿.. أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴿١٧٩﴾﴾.

إن قلت: كيف جمع بين الأمرين؟

قلت: المراد بالأول تشبيههم بالأنعام فى أصل الضلال لا فى مقداره وبالثانى فى بيان مقداره.

وقيل: المراد بالأول التشبيه فى المقدار أيضًا، لكن المراد به طائفة، وبالثانى أخرى، ووجه كونهم أضل من الأنعام، أنها تنقاد لأربابها وتعرف من يحسن إليها، وتجتنب ما يضرها وهؤلاء لا ينقادون لربهم ولا يعرفون إحسانهم إليهم، من إساءة الشيطان الذى هو عدوهم.

٣٨٨ ـ قوله تعالى: ﴿ .. إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾.

إن قلت: كيف خص المؤمنين بالذكر مع أنه نذير وبشير للناس كافة كما قال تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرًا ونذيرا﴾.

قلت: خصهم بالذكر، لأنهم المنتفعون بالإنذار والبشارة.

٣٨٩ ـ قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا .. ﴿١٩٠﴾ ﴾.

إن قلت: كيف قال عن «آدم وحواء» ذلك مع أن الأنبياء معصومون عن مطلق الكبائر، فضلاً عن الشرك الذى هو أكبر الكبائر؟

قلت: فيه حذف مضاف أى جعل أولادهما شركاء له ﴿فيما أتاهما﴾ أى أتى أولادهما بقرينة قوله تعالى: ﴿فتعالى الله عما يشركون﴾ بالجمع. ومعنى إشراك أولادهما فيما أتاهم الله، تسميتهم أولادهم بـ «عبدالعزى» و«عبد مناة» و«عبد شمس» ونحوها مكان «عبدالله» و«عبدالرحمن» و«عبدالرحيم».

٣٩٠ ـ قوله تعالى: ﴿قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلا ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ .. ﴿١٨٨﴾ ﴾ قدم النفع هنا على الضر وعكس فى «يونس:١٨» لأن أكثر ما جاء فى القرآن من لفظى: الضر، والنفع معًا، جاء بتقديم الضر على النفع، ولو بغير لفظهما، كالطوع والكره فى الوعد، لأن العابد يعبد معبوده، خوفًا من عقابه أولاً، ثم طمعًا فى ثوابه ثانيًا، كما قال تعالى: ﴿يدعون ربهم

خوفًا وطمعًا﴾ وحيث تقدم النفع على الضر، تقدمه لفظ تضمن نفعًا، وذلك فى ثمانية مواضع: هنا وفى «الوعد:١٦» و«سبأ:٤٢» و«الأنعام:٧١» وآخر يونس، وفى «الأنبياء:٦٦» و«الفرقان:٥٥» و«الشعراء:٧٣».

فقدم هنا النفع لموافقة قوله قبله ﴿من يهد الله فهو المهتد﴾ الآية. وقوله بعده: ﴿لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء﴾ إذ الهداية والخير من جنس النفع، وقدم الضر فى آخر يونس على الأصل ولموافقة قوله قبله ﴿ما لا يضر ولا ينفعهم﴾.

« تمت سورة الأعراف »

****

سورة الأنفال

٣٩١ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ..﴿٢﴾﴾ أى خافت، والمراد بالمؤمنين هنا، وفى قوله بعد: أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ الكاملون.

٣٩٢ ـ قوله تعالى: ﴿.. وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾.

إن قلت: كيف قال ذلك مع أن حقيقة الإيمان ـ عند الأكثر ـ لا تزيد ولا تنقص كالإلهية والوحدانية؟

قلت: المراد بزيادته إثارة من الطمأنينة واليقين والخشية ونحوها وعليه يحمل ما نقل عن الشافعى من أنه يقبل الزيادة والنقص.

٣٩٣ ـ قوله تعالى: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ .. ﴿٥﴾﴾ الآية، الكاف للتشبيه أى امض على ما رأيته صوابًا من تنفيل الغزاة فى قسمة الغنائم وإن كرهوا كما مضيت فى خروجك من بيتك بالحق وهم كارهون.

٣٩٤ ـ قوله تعالى: ﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾﴾.

إن قلت: فيه تحصيل الحاصل؟

قلت: لا، لأن المراد بالحق الإيمان وبالباطل الشرك.

فإن قلت: ما فائدة تكرار ﴿ليحق الحق﴾ هنا مع قوله قبل ﴿ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين﴾.

قلت: فائدته: أنه أريد بالأول، ما وعد الله به فى هذه الواقعة من النصر والظفر بالأعداء بقرينة قوله عقبه ﴿ويقطع دابر الكافرين﴾.

وبالثانى: تقوية الدين ونصرة الشريعة بقرينة قوله عقبَ ﴿ويبطل الباطل﴾.

٣٩٥ ـ قوله تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ .. (١٧)﴾.

إن قلت: كيف نفى عن المؤمنين قتل الكفار، مع أنهم قتلوهم يوم بدر، ونفى عن النبى ﷺ رميهم، مع أنه رماهم يوم بدر بالحصباء فى وجوههم؟

قلت: نفى الفعل عنهم وعنه باعتبار الإيجاد، إذ الموجد له حقيقة هو الله تعالى، وإثباته لهم وله باعتبار الكسب والصورة.

٣٩٦ ـ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ (٢٠)﴾ ثنى فى الأمر وأفرد فى النهى تحرزًا بالإفراد عن الإخلال بالأدب من النبى ﷺ عن نهيه الكفار فى قرآنه بين اسمه واسم الله تعالى، فى ذكرهما بلفظ واحد، كما روى أن خطيبًا خطب فقال: «من أطاع الله ورسوله فقد رشد، ومن عصاهما فقد غوى» فقال له النبى ﷺ: بئس خطيب القوم القوم أنت هلا قلت: ومن عصى الله ورسوله فقد غوى» أو أفرد باعتبار عوده إلى الله وحده لأنه الأصل مع أن طاعة الله وطاعة رسوله متلازمتان. أو أن الاسم المفرد يأتى فى لغة العرب ويراد به الاثنان والجمع كقولهم: انعام فلان ومعروفه يغنينى والإنعام والمعروف لا ينفع مع فلان، وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ.. (٦٢)﴾ [التوبة: ٦٢].

٣٩٧ ـ قوله تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَّهُم مُّعْرِضُونَ (٢٣)﴾ معناه: ولو علم الله فيهم إيمانًا فى المستقبل، لأسمعهم سماع فهم وقبول، أو لأنطق لهم الموتى يشهدون بصدق نبوتك كما طلبوا ولو أسمعهم أو أنطق لهم الموتى، يشهدون بما ذكر، بعد أن علم أن لا خير فيهم لتولوا وهم معرضون لعنادهم وجحودهم الحق بعد ظهوره، وتقدم فى البقرة الكلام على الجمع بين التولى والاعراض.

٣٩٨ ـ قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ .. (٣٣)﴾.

إن قلت: قد عذبهم الله يوم بدر والنبى ﷺ فيهم؟

قلت: المراد ﴿وأنت فيهم﴾ مقيم بمكة، وتعذيبهم ببدر إنما كان بعد خروجه من مكة.

أو المراد: ما كان الله ليعذبهم العذاب الذى طلبوه وهو امطار الحجارة وأنت فيهم.

٣٩٩ ـ قوله تعالى: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلاَّ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ.. (٣٤)﴾.

إن قلت: هذا ينافى قوله أولاً ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم﴾؟

قلت: لا منافاة، لأن الأول مقيد بكونه ﷺ فيهم، والثانى بخروجه عنهم أو المراد بالأول عذاب الدنيا وبالثانى عذاب الآخرة.

٤٠٠ ـ قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلاتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلاَّ مُكَاءً وَتَصْدِيَةً.. (٣٥)﴾. أى إلا صفيرًا وتصفيقًا.

٤٠١ ـ قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً .. (٤٤)﴾.

إن قلت: فائدة تقليل الكفار فى أعين المؤمنين ظاهر وهو زوال الرعب من قلوب المؤمنين، فما فائدة تقليل المؤمنين فى أعين الكفار فى قوله ﴿ويقللكم فى أعينهم﴾؟

قلت: فائدته ألا يبالغوا فى الاستعداد لقتال المؤمنين لظنهم كمال قدرتهم فيقدموا عليهم، ثم تفجؤهم كثرة المؤمنين فيدهشوا ويتحيروا ويفشلوا.

٤٠٢ ـ قوله تعالى: ﴿ .. وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ .. (٤٦)﴾.

أى لا تتنازعوا فى أمر الحرب، بأن تختلفوا فيه وإلا فالمنازعة فى إظهار الحق مطلوبة، كما قال تعالى: ﴿وجادلهم بالتى هى أحسن﴾.

٤٠٣ ـ قوله تعالى: ﴿ .. إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٤٨)﴾.

إن قلت: كيف قال الشيطان ذلك مع أنه لا يخافه وإلا لما خالفه وأضل عبيده؟

قلت: قله كذبًا كما قال قتادة أو صدقًا كما قاله عطاء لكنه خالف عنادًا.

أو الخوف بمعنى العلم كما فى قوله تعالى: ﴿إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله﴾ أى اعلم صدق وعد الله نبيه النصر.

٤٠٤ ـ قوله تعالى: ﴿ .. وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾ ﴾.

جوابه محذوف أى يغلب دل عليه قوله تعالى: ﴿فإن الله عزيز حكيم﴾ أى غالب.

٤٠٥ ـ قوله تعالى: ﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ .. ﴿٥٤﴾ ﴾.

كرره لأن الأول اخبار عن عذاب ولم يمكن الله أحدًا من فعله وهوضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم عند نزع أرواحهم.

والثانى: اخبار عن عذاب مكن الله الناس من فعل مثله وهو الاهلاك والاغراق.

أو معنى الأول: ﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ فيما فعلوا والثانى: ﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ فيما فعل بهم.

أو المراد بالأول كفرهم بالله وبالثانى تكذيبهم الأنبياء.

٤٠٦ ـ قوله تعالى: ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾.

إن قلت: ما فائدة ﴿فهم لا يؤمنون﴾ بعد ذكر ما قبله؟

قلت: مراده أن يبين أن شر الدواب هم الذين كفروا، واستمروا على كفرهم إلى وقت موتهم.

٤٠٧ ـ قوله تعالى: ﴿ .. فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ .. ﴿٦٦﴾ ﴾ الآيتين. حاصلة أن البعض منا يقاوم عشرة أعشاره منهم قبل التخفيف ويقاوم ضعفه بعده.. وقد كرر كلاً من المعنيين فى الآيتين.

وفائدة التكرار الدلالة على أن الحال مع الكثرة والقلة لا يختلف فكما تغلب العشرون المائتين غلب المائدة الألف، وكما تغلب المائة المائتين، يغلب الألف الألفين.

٤٠٨ ـ قوله تعالى: ﴿.. تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾﴾.

﴿والله يريد الآخرة﴾ أى ثوابها، وإلا فهو كما يريد الآخرة، يريد الدنيا وإلا فما وجدت.

٤٠٩ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴿٧٢﴾﴾.

قدم هنا ﴿بأموالهم وأنفسهم﴾ على قوله: ﴿فى سبيل الله﴾ وعكس فى «براءة» لأن ما هنا تقدمه ذكر المال والأنفس، فى قوله تعالى: ﴿تريدون عرض الدنيا﴾ وقوله ﴿لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم﴾ أى من الفداء، وقوله ﴿فكلوا مما غنمتم﴾ وما فى براءة تقدمه ذكر ﴿فى سبيل الله﴾ فناسب تقديم ﴿بأموالهم وأنفسهم﴾ وتقديم ﴿فى سبيل الله﴾ ثم.

« انتهت سورة الأنفال »

****

سورة التوبة

٤١٠ ـ قوله تعالى: ﴿بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ۝١﴾.

إن قلت: لم ترك البسملة فيها دون غيرها؟

قلت: لاختلاف الصحابة فى أن «براءة» و«الأنفال» سورتان، أو سورة واحدة، نظرًا لأن كلاً منهما نزل فى القتال، فترك بينهما فرجة، عملاً بالأول، وتركت البسملة عملاً بالثانى.

أو لأن البسملة أمان، وبراءة فيها قتل المشركين ومحاربتهم، فلا مناسبة بينهما.

أو لأن الأنفال، لما تضمنت طلب موالاة المؤمنين، بعضهم بعضا، وأن ينقطعوا عن الكفار بالكلية، وكان قوله تعالى: ﴿بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ تقريرًا وتأكيدًا، لذلك تركت البسملة بينهما.

٤١١ ـ قوله تعالى: ﴿.. فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣﴾.

كرره لأن الأول للمكان، والثانى للزمان المذكور قبل، فى قوله تعالى: ﴿فسيحوا فى الأرض أربعة أشهر﴾.

٤١٢ ـ قوله تعالى: ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ.. ۝١١﴾ كرره لاختلاف جزاء الشرط، إذ جزاء الشرط فى الأول، تخلية سبيلهم فى الدنيا، وفى الثانى أخوتهم لنا فى الدين، وهى ليست عين تخليتهم، بل سببها.

---

٤١٠ ـ انظر تفسير الطبرى ١٠/٤٢.

٤١٣ ـ قوله تعالى: ﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلاًّ وَلا ذِمَّةً..﴿٨﴾﴾ ﴿إلا﴾ أى قرابة ﴿ولا ذمة﴾ أى عهدا.

كرر ذلك بإبدال الضمير بـ «مؤمن» فى قوله تعالى: ﴿لا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلاًّ وَلا ذِمَّةً﴾ لأن الأول وقع جوابًا لقوله: ﴿وأن يظهروا عليكم﴾ أى الكفار. والثانى وقع إخبارًا عن تقبيح حالهم.

٤١٤ ـ قوله تعالى: ﴿وَإِن نَّكَثُوا أَيْمَانَهُم مِّنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ ..﴿١٢﴾﴾. خص فيه ﴿أئمة الكفر﴾ بالذكر، وهم رؤساء الكفر وقادتهم، لأنهم الأصل فى النكث، والطعن فى الدين.

٤١٥ ـ قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ..﴿٣٠﴾﴾ قائل ذلك فى كل منهما بعضهم، لا كلهم، فـ «أل» فيهما للعهد، لا للاستغراق، كما فى قوله تعالى: ﴿إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك﴾ الآية. إذ القائل لها إنما هو جبرائيل عليه السلام.

٤١٦ ـ قوله تعالى: ﴿ .. ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ ..﴿٣٠﴾﴾. فائدة قوله ﴿بأفواههم﴾ مع أن القول لا يكون إلا بالفم، الإعلام بأن ذلك مجرد قول، لا أصل له، مبالغة فى الرد عليهم.

٤١٧ ـ قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ ..﴿٣٣﴾﴾ الآية.

فائدة ذكر ﴿دين الحق﴾ مع دخوله فى الهدى قبله، بيان شرفه وتعظيمه، كقوله تعالى: ﴿حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى﴾.

أو أن المراد بالهدى القرآن. وبالدين الإسلام.

٤١٨ ـ قوله تعالى: ﴿ .. وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ..﴿٣٤﴾﴾ أفرد الضمير، مع تقدم اثنين ﴿الذهب والفضة﴾ نظرًا إلى عودة إلى الفضة لقربها، ولأنها أكثر من الذهب.

أو إلى عودة إلى المعنى، لأن المذكور دراهم ودنانير، ونظيره قوله: ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا﴾.

٤١٩ ـ قوله تعالى: ﴿ .. مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ .. ﴿٣٦﴾ ﴾.

إن قلت: لم خص الأربعة الحرم بذلك، مع أن ظلم النفس منهى عنه فى كل زمان؟

قلت: لم يخصها به، إذ الضمير عائد إلى «اثنا عشر شهراً» كما قاله ابن عباس رضى الله عنهما، لا إلى الأربعة الحرم فقط.

أو خصها به لقربها، أو لمزيد فضلها وحرمتها عندهم فى الجاهلية.

٤٢٠ ـ قوله تعالى: ﴿لا يَسْتَئْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَن يُجَاهِدُوا .. ﴿٤٤﴾ ﴾.

أى لا يستأذنونك فى التخلف عن الجهاد.

إن قلت: كيف قال ذلك، مع أن كثيرًا من المؤمنين، استأذنوه فى ذلك لعذر، أخذًا من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ .. ﴿٦٢﴾ ﴾ [النور: ٦٢].

قلت: لا منافاة، لأن ذلك نفى بمعنى النهى كقوله تعالى: ﴿فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج﴾ أو هو منسوخ كما قال ابن عباس بقوله: «لم يذهبوا حتى يستأذنوه».

أو المراد أنهم لا يستأذنوه فى ذلك لغير عذر.

٤٢١ ـ قوله تعالى: ﴿ .. وَلَكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾.

إن قلت: كيف أمرهم بالقعود عن الجهاد، مع أنه ذمهم عليه؟

قلت: إنما أمرهم بذلك أمر توبيخ، كقوله تعالى: ﴿اعملوا ما شئتم﴾ بقرينة قوله: ﴿مع القاعدين﴾ أى من النساء، والصبيان، والزمنى، الذين شأنهم القعود فى البيوت.

---

٤١٩ ـ انظر القرطبى والطبرى ١٠/ ٨٨.

أو الأمر لهم أنما هو الشيطان بالوسوسة، أو بعضهم بعضا.

٤٢٢ - قوله تعالى: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً وَلأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ.. ﴿٤٧﴾﴾

فإن قلت: إذا علم الله أن المنافقين، لو خرجوا مع المؤمنين للجهاد، مازادوهم إلا خبالا أى فسادا، ولأوضعوا خلالهم أى لأسرعوا فى السعى بينهم بالنميمة، فكيف أمرهم بالخروج مع المؤمنين؟

قلت: أمرهم بالخروج لإلزامهم الحجة، ولإظهار نفاقهم.

٤٢٣ - قوله تعالى: ﴿قُلْ أَنفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٣﴾﴾. أى كافرين ولو بالنفاق بقرينة قوله ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلاَّ أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ.. ﴿٥٤﴾﴾.

٤٢٤ - قوله تعالى: ﴿.. إِلاَّ أَنَّهُمْ كَفَرُوا.. ﴿٥٤﴾﴾ قاله هنا بالباء فى المتعاطفين وقاله ثانيًا، وثالثًا بحذفها من المعطوف، لأن ما فى الأول غاية التوكيد بقوله: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلاَّ أَنَّهُمْ كَفَرُوا﴾ فأكد المتعاطفين بالباء، ليكون الكلام على نسق واحد، بخلاف الثانى[1] والثالث[2] لم يتقدمهما ذلك.

٤٢٥ - قوله تعالى: ﴿فَلا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ.. ﴿٥٥﴾﴾ الآية. قاله هنا بالفاء وقاله بعد بالواو[3].

لأن الفاء تتضمن معنى الجزاء، والفعل قبلها فى قوله: ﴿ولا يأتون الصلاة﴾ وقوله: ﴿ولا ينفقون﴾ لكونه مستقبلاً، يتضمن معنى الشرط،

---

٤٢٢ - انظر تفسير جامع البيان للطبرى ١٠/١٠١.

(١) فى قوله تعالى: ﴿إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله﴾.

(٢) فى قوله تعالى: ﴿ولا تصل على أحد منهم مات أبدًا ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله﴾.

٤٢٥ - راجع متشابه القرآن للقاضى عبدالجبار ١/٣٣٨.

(٣) فى قوله تعالى: ﴿ولا تعجبك أموالهم وأولادهم إنما يريد الله أن يعذبهم بها فى الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون﴾ [التوبة/ ٨٥].

فناسب فيه الفاء، وما بعد ذكر قبله ﴿كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون﴾ والفعل فيهما لكونه ماضيًا، لا يتضمن معنى الشرط، فناسب فيه الواو وقوله: ﴿ولا أولادهم﴾ ذكره هنا بـ ﴿لا﴾ وفيما بعد بدونها لما فى زيادتها هنا من التوكيد المناسب لغاية التوكيد، بالحصر فيما قبلها، وذلك مفقود فيما بعد.

٤٢٦ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا ..(٦٠)﴾ الآية.

أضاف فيها الصدقات، إلى الأصناف الأربعة الأولى بلام الملك، وإلى الأربعة الأخيرة بـ «فى» الظرفية، للإشعار بإطلاق الملك فى الأربعة الأولى، وتقييده فى الأخيرة، حتى إذا لم يحصل الصرف فى مصارفها استرجع، بخلافه فى الأول، كما هو مقرر فى الفقه، وكرر فى الأخيرة فى قوله: ﴿وفى سبيل الله﴾ حثًا على الإعانة فى الجهاد لشرفه.

٤٢٧ ـ قوله تعالى: ﴿.. قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ..(٦١)﴾ الآية.

عدى الإيمان إلى الله بالباء، لتضمنه معنى التصديق، ولموافقته ضده وهو الكفر، فى قوله تعالى: ﴿من كفر بالله﴾.

وعداه إلى المؤمنين باللام، لتضمنه معنى الانقياد، وموافقته لكثير من الآيات، كقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ [يوسف:١٧] وقوله: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ..﴾ [البقرة:٧٥] وقوله: ﴿قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الأَرْذَلُونَ﴾ [الشعراء:١١١]؟

وأما قوله تعالى: فى موضع: ﴿قال آمنتم له قبل أن آذن لكم﴾ وفى آخر ﴿آمنتم به﴾ فمشترك الدلالة بين الإيمان بموسى والإيمان بالله، لأن من آمن بموسى حقيقة آمن بالله كعكسه.

---

٤٢٦ ـ راجع الطبرى ١٠/١١٣، والدر المنثور فى التفسيربالمأثور للسيوطى ٣/٢٥١.

٤٢٨ ـ قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا .. ﴿٦٣﴾﴾ خبر عن المنافقين الذين سبق ذكرهم مخلدون فى النار، فلا يشكل بأن المؤمن العاصى لا يخلد فى النار.

٤٢٩ ـ قوله تعالى: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ .. ﴿٦٤﴾﴾.

إن قلت: كيف قال ذلك، مع أن إنزال السورة إنما هو على النبى لا عليهم؟

قلت: «على» بمعنى «فى» كما فى قوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ..﴾ [البقرة: ١٠٢] أو أن الإنزال هنا بمعنى القراءة عليهم.

فإن قلت: الحذر واقع منهم على إنزال السورة، فكيف قال: ﴿إن الله مخرج ما تحذرون﴾؟

قلت: معناه: أن الله مظهر ماتحذرون ظهوره من نفاقكم، بإنزال هذه السورة، وهو المناسب لقوله: ﴿تنبئهم بما فى قلوبهم﴾ أو مظهر ما تحذرون من إنزال هذه السورة.

فإن قلت: ﴿تنبئهم ما فى قلوبهم﴾ تحصيل الحاصل، لأنهم عالمون به؟

قلت: تنبئهم بأسرارهم، وما كتموه، شائعة ذائعة، وتفضحهم بظهور ما اعتقدوا أنه لا يعرفه غيرهم.

٤٣٠ ـ قوله تعالى: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّنْ بَعْضٍ .. ﴿٦٧﴾﴾ الآية.

إن قلت: كيف قال ذلك هنا بـ«من» وقال فى قوله: ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض﴾ بلفظ ﴿أولياء﴾ مع أن «من» أدل على المجانسة، لاقتضائها البعضية، فكانت بالمؤمنين أولى، لأنهم أشد تجانسًا فى الصفات؟

قلت: المراد بقوله: ﴿بعضهم من بعض﴾ على دين بعض، «من» تأتى بمعنى «على» كما فى قوله تعالى: ﴿ونصرناه من القوم﴾ وقوله: ﴿للذين

يؤلون من نسائهم﴾ أي يحلفون على عدم وطئهن، والمراد بقوله: ﴿بعضهم أولياء بعض﴾ أنصارهم وأعوانهم فى الدين، وعلى ذلك فكل من اللفظين يصلح مكان الآخر، لكن للولاية شرف، فكانت أولى بالمؤمنات والمؤمنات.

٤٣١ ـ قوله تعالى: ﴿ .. أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ أى المنافقون والمنافقات حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة، أما حبطها فى الدنيا، فمن حيث كيدهم ومكرهم وخداعهم، التى كانوا يقصدون بها إطفاء نور الله، ويأبى الله إلا أن يتم نوره. وأما حبطها فى الآخرة، فمن حيث أن عبادتهم وطاعاتهم، أتوا بها رياء وسمعة ونفاقًا، فحبطت أعمالهم من الخبيثات المذكورات، حيث لم يحصل بها غرضهم فى الدنيا ولا فى الآخرة. وأما عباداتهم التى تجرى بها أحكام المسلمين عليهم، كحقن دمائهم وأموالهم فينفقون بها فى الدنيا خالصة ولا عبرة به.

٤٣٢ ـ قوله تعالى: ﴿ .. وَمَا لَهُمْ فِي الأَرْضِ مِن وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾ ﴾.

إن قلت: لم خصص الأرض بالذكر، مع أنهم لا ولى لهم فى الأرض ولا فى السماء، ولا فى الدنيا ولا فى الآخرة؟

قلت: لما كانوا لا يعتقدون الوحدانية، ولا يصدقون بالآخرة، كان اعتقادهم وجود الولى والنصير، مقصورًا على الدنيا، فعبر عنها فى الأرض. أو أراد بالأرض أرض الدنيا والآخرة.

٤٣٣ ـ قوله تعالى: ﴿ .. إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ .. ﴿٨٠﴾ ﴾ الآية.

إن قلت: لم خص السبعين، مع أنهم لا يغفر لهم أصلاً، لقوله تعالى: ﴿سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم﴾ ولأنهم مشركون، والله لا يغفر أن يشرك به؟

قلت: لأن عادة العرب جرت بضرب المثل فى الآحاد بالسبعة، وفى العشرات بالسبعين، استكثارًا ولا يريدون الحصر.

فإن قلت: لو كان المراد ذلك، لما خفى على أفصح العرب، وأعلمهم بأساليب الكلام، حتى ال لما أنزلت هذه الآية: لأزيدن على السبعين، لعل الله أن يغفر لهم.

قلت: لم يخف عليه ذلك، وإنما أراد بما قال إظهار كمال رأفته، ورحمته بمن بعث إليهم، وفيه لطف بأمته وحث لهم على المراحم، وشفقة بعضهم على بعض، وهذا دأب الأنبياء عليهم السلام، كما قال إبراهيم عليه السلام: ﴿..وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾ [ابراهيم: ٣٦].

٤٣٤ ـ قوله تعالى: ﴿..وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾﴾. قاله هنا بالبناء للمفعول، وقال بعده: ﴿وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون﴾ بالبناء للفاعل، لأن الأول تقدمه مبنى للمفعول وهو قوله: ﴿وإذا نزلت سورة﴾ والثانى تقدمه ذكر الله مرات، فناسب بناء الأول للمفعول والثانى للفاعل، ليناسب الفاعل ما قبله، ثم ختم كلاً منهما بما يناسبه، فقال فى الأول ﴿لا يفقهون﴾ وفى الثانى: ﴿لا يعلمون﴾ لأن العلم فوق الفقه أى الفهم.

٤٣٥ ـ قوله تعالى: ﴿..وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ.. ﴿٩٤﴾﴾ قاله هنا بـ «ثم» بحذف «والمؤمنون». وقاله بعدها بالواو وبذكر ﴿والمؤمنون﴾.

لأن الأول فى المنافقين، ولا يطلع على ضمائرهم إلا الله، ثم رسوله بإطلاع الله إياه عليها. والثانى فى المؤمنين، وطاعاتهم وعباداتهم ظاهرة لله ولرسوله وللمؤمنين، وختم الأول بقوله: ﴿ثم تردون﴾ ليفيد قطعه عما قبله﴾، لأنه وعيد.. وختم الثانى بقوله: ﴿وستردون﴾ ليفيد وصله بما قبله لأنه وعد، فناسب فى الأول ﴿ثم﴾ وحذف ﴿والمؤمنون﴾ وفى الثانى «الواو» وذكر ﴿والمؤمنون﴾.

فإن قلت: السين فى ﴿سيرى الله﴾ للاستقبال، والرؤية بمعنى العلم، والله تعالى عالم بعملهم حالاً ومالاً، فكيف جمع بينهما؟

---

٤٣٤ ـ راجع الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ٣/٢٦٦، والطبرى ١٠/١٤٣.

قلت: معناه فى حق الله، أنه سيعلمه واقعًا مالاً، كما علمه غير واقع حالاً، لأن الله تعالى يعلم الأشياء على ما هى عليه، فيعلم الواقع واقعًا، وغير الواقع غير واقع، أما فى حق الرسول فهو على ظاهره.

٤٣٦ ـ قوله تعالى: ﴿الأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلاَّ يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ .. ﴿٩٧﴾﴾.

فإن قلت: وصف العرب بأنهم جاهلون بذلك، ينافى صحة الاحتجاج بألفاظهم وأشعارهم، على كتاب الله وسنة نبيه؟

قلت: لا منافاة، إذ وصفهم بالجهل إنما هو فى أحكام القرآن، لا فى ألفاظه، ونحن لا نحتج بلغتهم فى بيان الأحكام، بل فى بيان معانى الألفاظ، لأن القرآن والسنة جاءا بلغتهم.

٤٣٧ ـ قوله تعالى: ﴿.. وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ .. ﴿١٠١﴾﴾ الآية، الخطاب لمحمد ﷺ.

فإن قلت: كيف نفى عنه علمه بحال المنافقين هنا، وأثبته فى قوله: ﴿..وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ..﴾ [محمد: ٣٠].

قلت: آية النفى نزلت قبل آية الإثبات فلا تنافى.

٤٣٨ ـ قوله تعالى: ﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا.. ﴿١٠٢﴾﴾ الآية. أى خلصوا كلاً منهما بالآخر.

٤٣٩ ـ قوله تعالى: ﴿.. وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾.

إن قلت: لم عطفه دون ما قبله من الصفات؟

قلت: لأنه وقع بعد سبع صفات، وعادة العرب أن تدخل الواو بعد السبعة.

٤٤٠ ـ قوله تعالى: ﴿ .. وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ.. ﴿١٢٠﴾ ﴾ الآية.

قال ذلك هنا، وقال بعد: ﴿إلا كتب لهم﴾ بدون «عمل صالح» لأن ما هنا مشتمل على ما هو من عملهم وهو قوله: ﴿ولا يطئون موطئًا يغيظ الكفار﴾ إلى آخره، وعلى ما ليس من عملهم وهو قوله: ﴿ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ﴾ إلى آخره، فتفضل الله بإجرائه مجرى عملهم فى الثواب، فناسب ذلك زيادة قوله: ﴿به عمل صالح﴾ ولهذا عم عقبه فى قوله: ﴿إن الله لا يضيع أجر المحسنين﴾ وما ذكر فى الآية الثانية، مختص بما هو من عملهم وهو قوله: ﴿ولا ينفقون نفقة صغيرة﴾ إلى آخره، ليكتب لهم ذلك بعينه، ولهذا خصهم عقبه فى قوله: ﴿ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون﴾. وقوله: «أحسن» أى بأحسن، والمراد بحسن عملهم، إذ لا يختص جزاؤهم بأحسن عملهم.. أو المراد ليجزيهم أحسن من الذى كانوا يعملون.

« انتهت سورة التوبة »

****

٤٤٠ ـ راجع فتاوى النووى ص ٢٤٩ والتفسير الكبير للإمام الفخر الرازى ١٦/٢٢٢.

سورة يونس

٤٤١ ـ قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا .. (٤)﴾ قال ذلك هنا، وقال في هود: ﴿إلى الله مرجعكم﴾ لأن ما هنا خطاب للمؤمنين والكفار، بقرينة ذكرهما بعد، وما في «هود» خطاب للكفار فقط، بقرينة قوله قبله: ﴿وإن تولوا فإني أخاف عليكم عذاب يوم كبير﴾.

٤٤٢ ـ قوله تعالى: ﴿.. يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٥)﴾ خص التفصيل بالعلماء، مع أنه تعالى فصل الآيات للجهلاء أيضًا، لأن انتفاعهم «بالتفصيل» أكثر.

٤٤٣ ـ قول تعالى: ﴿.. وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ (١٣)﴾ قاله هنا بالواو تبعًا لها في قوله: ﴿وجاءتهم رسلهم بالبينات﴾ وقاله في مواضع أخر، بالفاء للتعقيب على أصلها.

٤٤٤ ـ قوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلا أَدْرَاكُم بِهِ .. (١٦)﴾.

إن قلت: كيف قال النبي ذلك، مع أن الله تعالى أنكر على الكفار احتجاجهم بمشيئته في قولهم: ﴿لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا﴾، ولهذا لا ينبغي لمن فعل معصية «أن يحتج»[*] بقوله: لو شاء الله ما فعلتها؟

قلت: إنما قال النبي ذلك، بأمر الله تعالى له فيه، بقوله: ﴿قُل لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ﴾ وللعاصي أن يحتج بذلك إذا أمر الله.

٤٤٥ ـ قوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنفَعُهُمْ .. (١٨)﴾ الآية.

إن قلت: كيف نفى عن الأصنام الضر والنفع هنا، وأثبتهما لها في قوله في الحج: ﴿يَدْعُو لَمَن ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ﴾ [الحج: ١٣].

٤٤١ ـ متشابه القرآن ١/ ٣٥٢.

[*] كذا في المصورة.

قلت: نفيهما عنها باعتبار الذات، وإثباتهما لها باعتبار السبب.

٤٤٦ ـ قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ..﴿٢٣﴾﴾ الآية.

إن قلت: ما فائدة قوله ﴿بغير الحق﴾ بعد قوله «يبغون» مع أن البغى وهو الفساد من قولهم بغى «الجرح»(*) أى فسد ـ لا يكون إلا بغير حق؟

قلت: قد يكون الفساد بحق، كاستيلاء المسلمين على أرض الكفار، وهدم دورهم، وإحراق زرعهم وقطع أشجارهم، كما فعل النبى ﷺ ببنى قريظة.

٤٤٧ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ ..﴿٢٤﴾﴾.

إن قلت: لم شبه الحياة الدنيا بماء السماء، دون ماء الأرض؟

قلت: لأن ماء السماء ـ وهو المطر ـ لا تأثير لكسب العبد فيه، بزيادة أو نقص، أو لأنه يستوى فيه جميع الخلائق، بخلاف ماء الأرض فيهما «ولأن» تشبيه الحياة به أنسب.

٤٤٨ ـ قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ..﴿٣١﴾﴾.

إن قلت: هذا يدل على أنهم معترفون بأن الله هو الخالق، الرازق، المدبر، فكيف عبدوا الأصنام؟.

قلت: كلهم كانوا يعتقدون بعبادتهم الأصنام، عبادة الله تعالى، والتقرب إليه، لكن بطرق مختلفة. ففرقة قالت: ليست لنا أهلية لعبادة الله تعالى، بلا واسطة لعظمته، فعبدناها لتقربنا إليه تعالى، كما قال حكاية عنهم ﴿.. مَا

(*) في نسخ «الحرج» وهو تصحيف من النساخ.

٤٤٧ ـ راجع غريب القرآن ١٩٥.

﴿نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ .. ﴿٣﴾﴾ [الزمر:٣]. وفرقة قالت: الملائكة ذوو جاه ومنزلة عند الله، فاتخذنا أصنامًا على هيئة الملائكة، ليقربونا إلى الله. وفرقة قالت: جعلنا الأصنام قبلة لنا فى عبادة الله تعالى، كما أن الكعبة قبلة فى عبادته.

وفرقة اعتقدت أن على كل صنم شيطانًا موكلاً بأمر الله، فمن عبد الصنم حق عبادته، قضى الشيطان حوائجه بأمر الله، وإلا أصابه الشيطان بنكبة أمر الله.

٤٤٩ ـ قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ .. ﴿٣٤﴾﴾ الآية.

إن قلت: كيف قال ذلك، مع أنهم غير معترفين، بوجود الإعادة أصلاً؟

قلت: لما كانت الإعادة ظاهرة الوجود لظهور برهانها، وهو القدرة على إعدام الخلق، والإعادة أهون بالنسبة إلينا، لزمهم الاعتراف بها، فكأنهم مسلِّمون بوجودها، من حيث ظهور الحجة ووضوحها.

٤٥٠ ـ قوله تعالى: ﴿ .. فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾﴾ رتب شهادته على فعلهم، على رجوعهم إليه فى القيامة مع أنه ﴿شهيد﴾ عليهم فى الدنيا أيضًا، لأن المراد بما ذكر نتيجته، وهو العذاب والجزاء، كأنه قال: ثم الله معاقب، أو مجاز على ما يفعلون.

٤٥١ ـ قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا .. ﴿٥٠﴾﴾ الآية.

إن قلت: لم قال ﴿بياتا﴾ ولم يقل «ليلا»، مع أنه أكثر استعمالا، وأظهر مطابقة مع النهار؟

قلت: لأن المعهود فى الاستعمال، عند ذكر الإهلاك والتهديد، ذكر البيات، وأن قرن به النهار.

٤٥٢ - قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ .. (٥٥)﴾ الآية.
قال هنا بلفظ «ما» ولم يكرره، وقاله بعد بلفظ «من» وكرره[1]، لأن «ما» لغير العقلاء، وهو فى الأول المال، المأخوذ من قوله تعالى: ﴿لافتدت به﴾، ولم يكرر «ما» اكتفاء بقوله قبله: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ .. (٥٤)﴾.

و«من» للعقلاء، وهم فى الثانى قوم آذوا النبى ﷺ، فنزل فيهم ﴿ولا يحزنك قولهم﴾ وكرر «من» لأن المراد من فى الأرض، وهم القوم المذكورون وإنما قدم عليهم ﴿من فى السماء﴾ لعلوها، ولموافقته سائر الآيات سوى ما قدمته فى «آل عمران» «واكد»[2] قوله بعد: ﴿له ما فى السموات وما فى الأرض﴾ بلفظ «ما» وكرر لأن بعض الكفار قالوا: ﴿اتخذ الله ولدا﴾ فقال تعالى: ﴿له ما فى السموات وما فى الأرض﴾ أى اتخاذ الولد إنما يكون لدفع أذى، أو جلب منفعة، والله مالك ما فى السموات والأرض[3] فكان المحل محل «ما» ومحل التكرار، للتعميم والتوكيد.

فإن قلت: لم خص ﴿ما فى السموات وما فى الأرض﴾ بالذكر، مع أنه تعالى مالك أيضًا للسموات والأرض وما وراءهما؟

قلت: لأن فى السموات والأرض الأنبياء، والملائكة والعلماء والأولياء، ومن يعقل فيهم أحق بالذكر مع أن غيرهم مفهوم بالأولى.

٤٥٣ - قوله تعالى: ﴿وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .. (٦٠)﴾ الآية.

إن قلت: هذا تهديد فكيف ناسبه قوله بعد: ﴿.. إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ .. (٦٠)﴾.

---

٤٥٢ - راجع البرهان للكرمانى مسألة رقم ١٩٢.

(١) أشار إلى قوله تعالى: ﴿ألا إن لله من فى السموات ومن فى الأرض وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء أن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون﴾.

(٢) فى المطبوعة «وذكر».

(٣) ساقط من إحدى النسخ.

قلت: هو مناسب لأن معناه: أن الله لذو فضل على الناس، حيث أنعم عليهم بالعقل، وإرسال الرسل، وتأخير العذاب، وفتح باب التوبة، أى كيف تفترون على الله الكذب مع تضافر نعمه عليكم؟

٤٥٤ ـ قوله تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ .. ﴿٦١﴾﴾ الآية.

إن قلت: كيف جمع الضمير، مع أنه أفرد قبل فى قوله: «وما تكون فى شأن وما تتلو منه من قرآن والخطاب للنبى ﷺ؟

قلت: جمع ليدل على أن الأمة، داخلون مع النبى ﷺ فيما خوطب به قبل، أو جمع تعظيمًا للنبى ﷺ كما فى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ..﴾ [المؤمنون: ٥١].

٤٥٥ ـ قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ .. ﴿٦٥﴾﴾. أى لك لست مرسلاً، فالمقول محذوف كنظيره فى «يس: ٧٦» والوقف على «قولهم» فيهما لازم، ويمتنع الوصل لأنه ﷺ منزه عن أن يخاطب بذلك.

٤٥٦ ـ قوله تعالى: ﴿ .. إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾﴾[٢].

قال ذلك هنا، وقال فى سورة المنافقين: ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾ لأن المراد هنا، العزة «الخالصة بالله» وهى: عزة الإلهية، والخلق، والأمانة، والإحياء والبقاء الدائم وشبهها.

وهناك العزة المشتركة، وهى فى حق الله تعالى: القدرة، والغلبة. وفى حق رسوله ﷺ. علو كلمته وإظهار دينه. وفى حق المؤمنين: نصرهم على الأعداء.

٤٥٧ ـ قوله تعالى: ﴿قَالَ مُوسَىٰ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَٰذَا .. ﴿٧٧﴾﴾.

إن قلت: كيف قال موسى أنهم قالوا: أسحر هذا؟ بطريق الاستفهام،

---

٤٥٤ ـ انظر تفسير الطبرى ١١/ ٨٦.

مع أنهم إنما قالوه بطريق الإخبار المؤكد، فى قوله تعالى: ﴿فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا إن هذا لسحر مبين﴾؟.

قلت: فيه إضمار تقديره: أتقولون للحق لما جاءكم، إن هذا لسحر مبين؟ ثم قال لهم: أسحر هذا؟ انكارًا ما قالوه، فالاستفهام للإنكار، من قول: «موسى» لا من قولهم.

٤٥٨ ـ قوله تعالى: ﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَىٰ إِلاَّ ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ .. (٨٣)﴾ قاله هنا بضمير الجمع، لعوده إلى الذرية، أو القوم لتقدمهما عليه، بخلاف بقية الآيات، فإنه بضمير المفرد، لعوده إلى فرعون.

٤٥٩ ـ قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً .. (٨٧)﴾ ثنى ضمير المأمور فيها، لعوده إلى موسى وأخيه، للتصريح بهما.

وجمعه ثانيًا، لعوده إليهما مع قومهما، لأن كلا منهم مأمور بجعل بيته قبلة «يصلى إليها» «٠» خوفًا من ظهورها لفرعون. وأفرده ثالثًا لعوده إلى موسى، لأنه الأصل المناسب تخصيصه بالبشارة لشرفها.

٤٦٠ ـ قوله تعالى: ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ (٨٩)﴾ الآية.

إن قلت: لم أضاف الدعوة إليهما، مع أنهما إنما صدرت من موسى عليه السلام، لآية: ﴿وقال موسى ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة...﴾ الآية؟

قلت: أضافهما إليها لأن «هارون» كان يؤمن على دعاء موسى، والتأمين دعاء فى المعنى، أو لأن هارون دعا أيضًا مع موسى إلا أنه تعالى خص موسى بالذكر، لأنه كان أسبق بالدعوة، أو أحرص عليها.

---

(١) راجع تفسير الطبرى ١١/١٠٦,١٠٧.

٤٥٨ ـ انظر: البرهان للكرمانى مسألة رقم ٢٠١.

«٠» كذا فى النسخة المحمودية والمطبوعة.

٤٦١ ـ قوله تعالى: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ .. (٩٤)﴾.

إن قلت: «إن» للشك، والشك في القرآن منتف عنه ﷺ قطعًا، فكيف قال الله ذلك له؟

قلت: لم يقل له، بل لمن كان شاكًا في القرآن، وفي نبوة محمد ﷺ، ولا ينافيه قوله: ﴿مما أنزلنا إليك﴾ لوروده في قوله: ﴿.. وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُّبِيناً﴾ [النساء: ١٧٤] وقوله: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ ..﴾ [التوبة: ٦٤].

وقيل: الخطاب للنبي ﷺ والمراد غيره، كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ..﴾ [الأحزاب: ١]. أو المراد إلزام الحجة على الشاكين الكافرين، كما يقول لعيسى عليه السلام: ﴿.. أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ ..﴾ [المائدة: ١١٦]؟ وهو عالم بانتفاء هذا القول منه، لإلزام الحجة على النصارى.

٤٦٢ ـ قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً .. (٩٩)﴾ الآية. فائدة ذكر ﴿جميعًا﴾ بعد ﴿كلهم﴾ مع أن كلا منهما يفيد الإحاطة والشمول، الدلالة على وجود الإيمان منهم، بصفة الاجتماع الذى لا يدل عليه(٠) ﴿كلهم﴾ كقولك جاء القوم جميعًا أى مجتمعين ونظيره قوله تعالى: ﴿فسجد الملائكة كلهم أجمعون﴾.

٤٦٣ ـ قوله تعالى: ﴿.. وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١٠٤)﴾ قال ذلك هنا، موافقة لقوله قبل: ﴿وكذلك ننجى المؤمنين﴾. وقال فى النمل: ﴿وأمرت أن أكون من المسلمين﴾ موافقة لقوله قبل: ﴿فهم مسلمون﴾ «٨١».

٤٦٤ ـ قوله تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ .. (١٠٧)﴾.

---

٤٦١ ـ راجع الطبرى ١١/ ١١٦.

«٠» كذا فى إحدى النسخ وهو الصحيح.

إن قلت: لم ذكر المس فى الشر، والإرادة فى الخير؟

قلت: لاستعمال كل من المس والإرادة، فى كل من الضر والخير، وأنه لا مزيد لما يصيب به منهما، ولا راد لما يريده فيهما، فأوجز الكلام بأن ذكر المس فى أحدهما، والإرادة فى الآخر، ليدل بما ذكر على ما لم يذكر، مع أنه قد ذكر المس فيهما فى سورة «الأنعام:١٧».

« تمت سورة يونس »

****

سورة هود

٤٦٥ ـ قوله تعالى: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى .. ﴿٣﴾﴾. ﴿ثم﴾ للترتيب الإخبارى لا الوجودى إذ التوبة سابقة على الاستغفار. أو المعنى: استغفروا ربكم من الشرك، ﴿ثم توبوا﴾ أى ارجعوا إليه بالطاعة.

إن قلت: نجد من لم يستغفر الله ولم يتب، يمتعه الله متاعًا حسنا إلى أجله، أى يرزقه ويوسع عليه كما قال ابن عباس، أو يعمره[٠].

كما قال ابن قتيبة، فما فائدة التقييد بالاستغفار والتوبة؟

قلت: قال غيرهما: المتاع الحسن ـ المقيد بالاستغفار والتوبة ـ هو الحياة فى الطاعة والقناعة ولا يكونان إلا للمستغفر التائب.

٤٦٦ ـ قوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا .. ﴿٦﴾﴾ الآية.

لم يقل «على الأرض» مع أنه أنسبَ بتفسير الدابة لغة، لأنها ما يدب على الأرض، لأن «فى» أعم من «على» لأنها تتناول من الدواب ما على الأرض، وما فى بطنها.

وقيل: «فى» بمعنى «على» كما فى قوله تعالى: ﴿.. وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ ..﴾ [طه:٧١] وقوله: ﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ..﴾ [الطور:٣٨] وظاهر أن تفسير الدابة بما يدب على الأرض، يتناول الطير، فلا يرد أن الآية، لا تتناول الطير فى ضمان رزقه.

فإن قلت: «على» للوجوب، والله تعالى لا يجب عليه شىء؟

---

٤٦٥ ـ انظر تفسير الطبرى ١١/ ١٢٤.

[٠] كذا بالأصل، وفى نسخة «يعمره» وهو تحريف.

قلت: المراد بالوجوب هنا «وجوب اختيار» لا «وجوب إلزام» كقوله ﷺ: «غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم» وكقول الإنسان لصاحبه: حك واجب عليّ. أو «على» بمعنى «من» كما فى قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ [المطففين: ٢].

٤٦٧ ـ قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي .. ﴿١٠﴾﴾ قاله هنا، وقال فى «فصلت»: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ ..﴾ [فصلت: ٥٠] بزيادة «منا» و«من» لأنه ثم بين جهة الرحمة، بقوله: «لا يسأم الإنسان من دعاء الخير» فناسب ذكر، «مما» وحذفه هنا اكتفاء بقوله قبل: ﴿ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة﴾. وزاد «من» ثم لأنه لما حد الرحمة وجهتها «جد الظرف»[٠٥] بعدها لتتشاكلا فى التحديد، وهنا لما أهمل الأول، أهمل الثانى ليتشاكلا.

٤٦٨ ـ قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ ..﴿١٢﴾﴾ الآية. إنما قال «ضائق» ولم يقل، ضيق لموافقة قوله قبله: «تارك»، وليدل على أنه ضيق عارض لا ثابت، لأنه ﷺ كان أوسع الناس صدرًا. ونظيره قولك: زيد سائد وجائد، تريد حدث فيه السيادة والجود، فإن أردت وصفه بثبوتهما، قلت: زيد سيد وجواد.

٤٦٩ ـ قوله تعالى: ﴿.. قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ .. ﴿١٣﴾﴾ أى مثله فى الفصاحة والبلاغة، وإلا فما يأتون به مفترى، والقرآن ليس بمفترى. أو معناه: مفتريات كما أن القرآن ـ فى زعمكم ـ مفترى.

فإن قلت: كيف أفرد فى قوله: «قل» ثم جمع فى قوله ﴿فإن لم يستجيبوا لكم﴾؟

قلت: الخطاب للنبى ﷺ فيهما، لكنه جمع فى «لكم» تعظيمًا، وتفخيمًا له، ويعضده قوله فى سورة القصص: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ﴾.

---

[٠٥] كذا بالأصل.

أو الخطاب فى الثانى للمشركين، وفى «يستجيبوا» لـ «من استطعتم» والمعنى: فأتوا أيها المشركون بعشر سور مثله إلى آخره، فإن لم يستجيب لكم من تدعونه، إلى المظاهرة على معارضته لعجزهم ﴿ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ﴾ وبالنظر إلى هذا الجواب، جمع الضمير فى ﴿ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾ هنا، وأفرد فى القصص.

فإن قلت: قال فى سورة يونس ﴿فأتوا بسورة مثله﴾ وقد عجزوا عنه فكيف قال هنا: ﴿فأتوا بعشر سور مثله﴾؟

قلت: قيل: نزلت سورة هود أولاً، لكن أنكره المبرد وقال: بل سورة يونس أولاً، قال: ومعنى قوله فى سورة يونس ﴿فأتوا بسورة مثله﴾ أى فى الاخبار عن الغيب والأحكام، والوعد والوعيد، فعجزوا، فقال لهم فى سورة هود: إن عجزتم عن ذلك، فأتوا بعشر سور مثله فى البلاغة، لا فى غيره مما ذكر، وما قاله هو المتجه.

هذا وتحرير الأول، مع زيادة أن يقال: إن الإعجاز وقع أولاً بالتحدى بكل القرآن فى آية: ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن﴾ فلما عجزوا تحداهم «بعشر سور، فلما عجزوا تحداهم بسورة، فلما عجزوا تحداهم» بدونها بقوله: ﴿فليأتوا بحديث مثله﴾.

٤٧٠ ـ قوله تعالى: ﴿أَلا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الأَخْسَرُونَ (٢٢)﴾ قال ذلك هنا، وقال فى «النحل: ١٠٦» ﴿هم الخاسرون﴾ لأن ما هنا نزل فى قوم صدوا عن سبيل الله، وصدوا غيرهم فضلوا وأضلوا. وما هناك نزل فى قوم صدوا عن سبيل الله، فناسب فى الأول «الأخسرون» وفى الثانى «الخاسرون».

٤٧١ ـ قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ .. (٢٨)﴾.

---

٤٧٠ ـ انظر البرهان مسألة ٢٠٥.

٤٧١ ـ انظر تفسير الطبرى ١٢/١٨.

قال هنا بتقديم «رحمة» على الجار والمجرور، وعكس بعد فى قوله: ﴿وأتانى منه رحمة﴾ وفى قوله: ﴿ورزقنى منه رزقًا حسنا﴾ ليوافق كل منهما ما قبله إذ الأفعال المتقدمة هنا وهى: «ترى، ونرى، ونظن» لم يفصل بينهما وبين مفاعليها جار ومجرور، والفعل المتقدم بعد، وهو «كان» فى الثانى و«نفعل» فى الثالث، فصل بينه وبين مفعوله جار ومجرور، إذ خبر «كان» كالمفعول. فإن قلت: لم قال فى الأولين ﴿وأتانى﴾ وفى الثالث ﴿ورزقنى﴾؟

قلت: لأن الثالث تقدمه ذكر الأموال، وتأخر عنه قوله، ﴿رزقًا حسنا﴾ وهما خاصان، فناسبهما قوله: ﴿ورزقنى﴾ بخلاف الأولين فإنه تقدمهما أمور عامة فناسبها قوله: ﴿وأتانى﴾.

٤٧٢ - قوله تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ .. ﴿٢٩﴾﴾.

إن قلت: لم قال هنا حكاية عن نوح بلفظ ﴿مالاً﴾ وقاله بعد حكاية عن هود بلفظ ﴿أجرا﴾؟

قلت: توسعة فى التعبير عن المراد بمتساويين، ولأن قصة نوح وقع بعدها ﴿خزائن﴾ والمال بها أنسب. فإن قلت: لم قال فى الأولى ﴿وياقوم﴾ بالواو، وفى الثانية ﴿ياقوم﴾ بدونها؟.

قلت: لطول الكلام، الواقع بين النداءين فى قصة نوح، وقصر ما بينهما فى قصة هود، فناسب ذكر الواو فى الأول لتوصيل ما بعدها بما قبلها.

٤٧٣ - قوله تعالى: ﴿ .. قَالَ لا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ .. ﴿٤٣﴾﴾ الآية. الاستثناء فيه منقطع، لأن من رحمه الله معصوم لا عاصم.

أو متصل لأن معنى من رحم الراحم - وهو الله - كأنه قيل: لا عاصم إلا الله.

أو لأن عاصمًا بمعنى معصوم، كـ«ماء دافق» و«عيشة راضية».

٤٧٤ ـ قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي .. ﴿٤٤﴾﴾ الآية.

إن قلت: هما لا يعقلان فكيف أمرا؟

قلت: الأمر هنا أمر «إيجاد» لا أمر «إيجاب»، فلا يشترط فيه فهم ولا عقل، لأن الأشياء كلها منقادة لله تعالى، ومنه قوله تعالى: ﴿إنما أمرنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون﴾ [النحل] وقوله: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت: ١١].

٤٧٥ ـ قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي .. ﴿٤٥﴾﴾ الآية. قاله هنا بالفاء، وقال فى مريم فى قصة زكريا ﴿إذ نادى ربه نداء خفيا قال رب﴾ بلا فاء. لأنه أريد بالنداء هنا إرادته فهى سبب له، فناسبت الفاء الدالة على السببية، وهناك لم يرد ذلك، فناسب ترك الفاء.

٤٧٦ ـ قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ .. ﴿٥٣﴾﴾ الآية.

إن قلت: هود كان رسولاً، فكيف لم يظهر معجزة؟

قلت: قد أظهرها وهى «الريح الصرصر» ولا يقبل قول الكفار فى حقه. قال بعضهم: أو أن الرسول إنما يحتاج إلى معجزة، إذا كان صاحب شريعة، لتنقاد أمته إليها، إذ فى كل شريعة أحكام غير معقولة، فيحتاج الرسول الآتى بها إلى معجزة، تشهد بصحة صدقه، وهو لم يكن له شريعة، وإنما كان يأمر بالعقل، فلا يحتاج إلى معجزة، لأن الناس ينقادون إلى ما يأمرهم به، لموافقته للعقل.

والمعتمد الجواب الأول، ولا يلزم من عدم اظهاره، معجزة، عدمها فى نفس الأمر، فقد قال ﷺ: «ما من نبى إلا وقد أوتى من الآيات، ما مثله آمن عليه البشر..»[1].

وقولهم: ﴿ما جئتنا ببينة﴾ كقول غيرهم: ﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ ..﴾ [المؤمنون: ٢٥] ﴿.. إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ١٠٩].

٤٧٧ ـ قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾﴾.

قاله فى قصة «هود» و«شعيب» بالواو «٩٤» وفى قصة «صالح» و«لوط» بالفاء «هود:٦٦» لأن العذاب فى قصة الأولين تأخر عن وقت الوعيد، فناسب الإتيان بالواو، وفى قصة الأخيرين وقع العذاب عقب الوعيد، فناسب الإتيان بالفاء الدالة على التعقيب.

٤٧٨ ـ قوله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ .. ﴿٥٧﴾﴾ الآية جواب الشرط محذوف، إذ الإبلاغ ليس هو الجواب لتقدمه على توليهم، وإنما هو متعلق بالجواب، والتقدير: فقل لهم: قد أبلغتكم.

٤٧٩ ـ قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾﴾ كرر النتيجة، لأن المراد بالأولى: تنجيتهم من عذاب الدنيا، الذى نزل بقوم هود، وهى «سموم» أرسلها الله عليهم، فقطعتهم عضواً عضواً.

وبالثانية: تنجيتهم من عذاب الآخرة، الذى استحقه قوم هود بالكفر.

٤٨٠ ـ قوله تعالى: ﴿وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ .. ﴿٦٠﴾﴾ الآية. قاله هنا بذكر ﴿الدنيا﴾ وقال فى قصة موسى بعد ﴿واتبعوا فى هذه لعنة﴾ بحذفها، اختصارًا واكتفاءً بما هنا.

٤٨١ ـ قوله تعالى: ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٦٧﴾﴾ قاله هنا فى قصة صالح، بلا «تاء» وقاله بها بعد فى قصة شعيب «هود : ٩٤» ، وكل صحيح ، لكن اختص الثانى بها ، لأن قوم شعيب وقع الاخبار على عذابهم، بثلاثة ألفاظ مؤنثة ـ فى: «الأعراف : ٧٨» و«العنكبوت:٣٧» ﴿فأخذتهم الرجفة﴾ وهنا ﴿الصيحة﴾ وفى «الشعراء:١٨٩» ﴿الظلة﴾ ـ وقعت لهم الثلاثة فى ثلاثة أوقات.

٤٨٢ ـ قوله تعالى: ﴿.. فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلاَّ امْرَأَتَكَ .. ﴿٨١﴾﴾ استثنى فيها ﴿إلا امرأتك﴾ ولم يستثنها منها فى «الحجر: ٦٥» اكتفاء باستثنائها ثم قبله فى قوله ﴿إنا لمنجوهم أجمعين إلا امرأته﴾.

٤٨٣ ـ ﴿.. وَلا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ .. ﴿٨٤﴾﴾ الآية. هذا النهى يتضمن الأمر بالإيفاء، وضرح به بعد فى قوله: ﴿وياقوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط﴾ وهو يتضمن النهى عن النقص، ففى ذلك تأكيد على الحث على عدم البخس، وعلى الحث على العدل، وقدم النهى على الأمر، لأن دفع المفاسد آكد من جلب المصالح.

٤٨٤ ـ قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلاَّ بِإِذْنِهِ .. ﴿١٠٥﴾﴾ الآية. مقيد لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا ..﴾ [النحل: ١١١] أى بإذن الله، ولا ينافى ذلك قوله تعالى: ﴿هَذَا يَوْمُ لا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [المرسلات ٣٥، ٣٦]. لأن فى يوم القيامة مواقف، ففى بعضها لا يؤذن لهم فى الكلام، فيكفون عنه، وفى بعضها يؤذن لهم فيه، فيتكلمون.

٤٨٥ ـ قوله تعالى: ﴿.. فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾﴾.

إن قلت: «من» للتبعيض، ومعلوم أن الناس كلهم، إما شقى أو سعيد، فما معنى التبعيض؟

قلت: التبعيض صحيح لأن أهل القيامة ثلاثة أقسام:

أ ـ قسم شقى، وهم أهل النار.

ب ـ وقسم سعيد، وهم أهل الجنة.

جـ ـ وقسم لا شقى ولا سعيد، وهم أهل الأعراف، وإن كان مصيرهم إلى الجنة، كما قاله قتادة وغيره.

٤٨٦ ـ قوله تعالى: ﴿.. خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ .. ﴿١٠٨﴾﴾ الآية.

إن قلت: كيف قال ذلك، مع أن السموات والأرض يفنيان، وذلك ينافى الخلود الدائم؟

---

٤٨٦ ـ راجع لسان العرب لابن منظور ٤/ ٨١.

قلت: هذا خرج مخرج الألفاظ، التى يعبر العرب فيها عن إرادة الدوام، دون التأقيت، كقولهم: لا أفعل هذا ما اختلف الليل والنهار، ومادامت السموات والأرض، يريد لا يفعله أبداً. أو أنهم خوطبوا على معتقدهم أن السموات والأرض لا يفنيان. أو أن المراد سموات الآخرة وأرضها، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ ..﴾ [إبراهيم:٤٨] وتلك دائمة لا تفنى.

إن قلت: إذا كان المراد بما ذكر الخلود الدائم، فما معنى الاستثناء فى قوله: ﴿إلا ما شاء ربك﴾؟

قلت: هو استثناء من الخلود فى عذاب أهل النار «لأهل التوحيد»، ومن الخلود فى نعيم أهل الجنة، لأن أهل النار لا يخلدون فى عذابهم وحده، بل يعذبون بالزمهرير، وبأنواع أخرى من العذاب، وبما هو أشد من ذلك وهو سخط الله عليهم.

وأهل الجنة لا يخلدون فى نعيمها وحده، بل ينعمون بالرضوان، والنظر إلى وجهه الكريم، وغير ذلك، كما دل عليه قوله تعالى: ﴿عطاء غير مجذوذ﴾. أو «إلا» بمعنى غير، أى خالدين فيها ما دامت السموات والأرض، غير ما شاء الله من الزيادة عليهما، إلى ما لا نهاية له.

أو «إلا» بمعنى الواو، كقوله تعالى: ﴿ .. إِنِّي لا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلاَّ مَن ظَلَمَ ..﴾ [النمل: ١٠ ، ١١].

٤٨٧ ـ قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴿١١٧﴾﴾. قاله هنا بصيغة ﴿ليهلك﴾ لأنه لما ذكر قوله ﴿بظلم﴾ نفى الظلم عن نفسه، بأبلغ لفظ يستعمل فى النفى لأن اللام فيه لام الجحود، والمضارع يفيد الاستمرار، فمعناه ما فعلت الظلم فيما مضى، ولا أفعله فى الحال، ولا فى المستقبل، فكان غاية فى النفى.

---

٤٨٧ ـ انظر تفسير الطبرى ١٢/ ٨٥.

وقاله فى «القصص:٥٩»، بدون ذكر ﴿بظلم﴾ فاكتفى بذكر اسم الفاعل، المفيد للحال فقط، وإن كان يستعمل فى الماضى، والمستقبل مجازًا.

٤٨٨ ـ قوله تعالى: ﴿وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ..﴿١٢٠﴾﴾ الآية.

إن قلت: ما الجمع بينه وبين قوله تعالى: ﴿وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ..﴿١٦٤﴾﴾ [النساء: ١٦٤].

قلت: معناه كل نبأ نقصه عليك من أنباء الرسل، هو ما نثبت به فؤادك، فـ«ما» فى موضع رفع خبر مبتدأ محذوف، فلا يقتضى اللفظ قص أنباء جميع الرسل.

٤٨٩ ـ قوله تعالى: ﴿.. وجاءك في هذه الحق ..﴿١٢٠﴾﴾ أى فى هذه الأنباء، أو الآيات أو السورة. خصها بالذكر، تشريفًا لها، وإن كان قد جاءه الحق فى جميع السور، كقوله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَىٰ..﴾ [البقرة:٢٣٨] والتعريف بـ ﴿فى هذه الحق﴾ إما للجنس، أو للعهد، والمراد به: البراهين الدالة على التوحيد والعدل والنبوة.

« تمت سورة هـود »

****

---

٤٨٨ ـ راجع تفسير الطبرى ٨٨/١١.

٤٨٩ ـ يقول الطبرى: «وقيل: وجاءك فى هذه الدنيا الحق، والأولى: هذه السورة».

سورة يوسف

٤٩٠ ـ قوله تعالى: ﴿.. وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٤﴾﴾.

ذكر الرؤية ثانيًا، جوابًا لسؤال مقدر من «يعقوب» عليه السلام، كأنه قال ليوسف بعد قوله: ﴿إنى رأيت أحد عشر كوكبًا والشمس والقمر﴾ كيف رأيتها؟ سائلاً عن حال رؤيتها، فقال مجيبًا له: رأيتهم لى ساجدين.

وقيل: ذكره توكيدًا، وجمع الكواكب فى قوله: ﴿رأيتهم لى ساجدين﴾ جمع العقلاء، لوصفه لها بما هو من صفات العقلاء وهو السجود، كقوله تعالى: ﴿.. قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ..﴾ [النمل:١٨].

٤٩١ ـ قوله تعالى: ﴿اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ..﴿٩﴾﴾ الآية. هذا قول أخوه يوسف.

إن قلت: كيف قالوا ذلك وهم أنبياء؟

قلت: لم يكونوا أنبياء على الصحيح، وبتقدير أنهم كانوا أنبياء، إنما قالوا ذلك قبل نبوتهم. والجواب، بأن ذلك من الصغائر، أو بأنهم قالوه فى صغرهم ضعيف.

٤٩٢ ـ قوله تعالى: ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١٢﴾﴾.

إن قلت: كيف قالوا ذلك، مع أنهم كانوا بالغين عاقلين، وأنبياء أيضًا على قول؟ وكيف رضى يعقوب بذلك منهم على قراءة النون؟

قلت: كان لعبهم المسايفة والمناضلة، يؤيده ﴿إنا ذهبنا نستبق﴾ وسموه لعبًا لأنه فى صورة اللعب. قال الفخر الرازى: ويرد على أصل السؤال أن

---

٤٩٢ ـ راجع جامع البيان للطبرى وفيه «أن عامة قراءة أهل المدينة (يرتع ويلعب) وقراءة النون للبصريين» ١٢/ ٩٤.

يقال: كيف يتورعون عن اللعب، وهم قد فعلوا ما هو أعظم حرمة من اللعب وأشد، وهو إلقاء أخيهم فى الجب على قصد القتل.

قلت: لم يكن وقت إلقاء أخيهم يوسف فى الجب، وقت طلب تورعهم عن اللعب ولا قتله، وأصل السؤال إنما وقع على طلب التورع المتقدم على الإلقاء، لكن يطلب الجواب عن لقائهم له فى الجب من أن ذلك من المعاصى؟ ويجاب بما مر فى الجواب عن قولهم: ﴿اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضًا﴾.

٤٩٣ ـ قوله تعالى: ﴿.. وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾﴾. ﴿وأوحينا إليه﴾ أى وحى إلهام لا وحى رسالة، لأنه يومئذ لم يكن بالغًا، ووحى الرسالة إنما يكون بعد الأربعين.

٤٩٤ ـ قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾ قاله هنا بدون ﴿واستوى﴾ وقاله فى «القصص: ١٤» به، لأن يوسف أوحى إليه فى الصغر، و«موسى» أوحى بعد أربعين سنة، فقوله: ﴿واستوى﴾ إشارة إلى تلك الزيادة.

٤٩٥ ـ قوله تعالى: ﴿وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ .. ﴿٢٥﴾﴾ الآية. وحد الباب هنا، وجمعه قبل فى قوله: ﴿وغلّقت الأبواب﴾ لأن إغلاق الباب للاحتياط لا يتم إلا بإغلاق الجميع، وأما هروبه منها فلا يكون إلا إلى باب واحد، حتى لو تعددت أمامه لم يقصد منها أولاً إلا الأول، فلهذا وحد الباب هنا وجمعه ثم.

٤٩٦ ـ قوله تعالى: ﴿.. لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾﴾ كرر «لعل» رعاية للفواصل، إذ لو قال: لعلى أرجع إلى الناس فيعملوا بحذف النون، جوابًا لـ «لعل» لفاتت الرعاية «أى رعاية الفواصل».

٤٩٧ ـ قوله تعالى: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾﴾.

---

٤٩٤ ـ انظر تعريف بلوغ الأشد عند علماء اللغة، وتأمل اختلافهم فى اللسان ٤/ ٢٢١.

إن قلت: كيف قال ذلك، مع أن الأنبياء عليهم السلام أعظم الناس، زهدًا في الدنيا، ورغبة في الآخرة.

قلت: إنما طلب ذلك ليتوصل به، إلى إمضاء أحكام الله تعالى، وإقامةالحق وبسط العدل ونحوه، ولعلمه أن أحدًا غيره لا يقوم مقامه في ذلك.

٤٩٨ - قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ..﴿٥٩﴾﴾.

قاله هنا بالواو، وقاله بعد بالفاء «٧٠»، لأنه ذكر هنا أول مجيئهم إلى يوسف فناسبته الواو، الدالة على الاستئناف. وذكر بعد عند انصرافهم عنه، عطفًا على ﴿لما دخلوا﴾ فناسبته الفاء الدالة على الترتيب والتعقيب.

٤٩٩ - قوله تعالى: ﴿.. ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴿٧٠﴾﴾.

إن قلت: كيف جاز ليوسف أن يأمر المؤذن بأن يقول ذلك، مع أن فيه بهتانًا، واتهام من لم يسرق بأنه سرق؟

قلت: إنما قاله «تورية» عما جرى منهم مجرى السرقة، من فعلهم بيوسف ما فعلوا أولاً. أو كان ذلك القول من المؤذن، بغير أمر يوسف عليه السلام.

أو أن حكم ذلك حكم «الحيل الشرعية» التي يتوصل بها إلى مصالح دينية، كقوله تعالى لأيوب: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ ..﴾ [ص:٤٤] وقول إبراهيم في حق زوجته: «هي أختي» لتسلم من يد الكافر.

٥٠٠ - قوله تعالى: ﴿.. إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾. ﴿من روح الله﴾ أي من رحمته، ﴿إلا القوم الكافرون﴾.

إن قلت: من المؤمنين من ييأس من روح الله، لشدة مصيبته، أو كثرة ذنوبه، كما في قصة الذي أمر أهله إذا مات أن يحرقوه. الحديث ثم أن الله تعالى غفر له؟

---

٤٩٩ - راجع تفسير الطبري ١٣/١١.
٥٠٠ - انظر القرطبي.

قلت: إنما ييأس من روح الله الكافر، لا المؤمن عملاً بظاهر الآية، فكل من أيس من روح الله فهو كافر، حتى يعود إلى الإيمان، ولا نسلم أن صاحب القصة مات آيسًا، ولم يسمح له الرجوع عن وصيته.

٥٠١ ـ قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا..﴿٩٦﴾﴾ الآية. قال هنا وفى العنكبوت آخرًا فى قوله تعالى: ﴿ولما أن جاءت رسلنا لوطًا﴾ بذكر ﴿أن﴾.

وقال فى هود: ﴿ولما جاءت رسلنا لوطًا﴾ وفى العنكبوت أولاً ﴿ولما جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى﴾ بحذفها بنيتها على جواز الأمرين.

والقول بأن ذكر «أن» يدل على وقوع جواب «لما» حالاً، بخلاف ما إذا حذفت، يرد بأن آية هود، وآية العنكبوت، التى ذكر فيها «أن» متحدثان شرطًا وجوابًا، مع أن «أن» ذكرت فى إحداهما وحذفت من الأخرى. إلا أن يقال أنها إذا لم تذكر، لم يلزم وقوع جواب «لما» حالا.

٥٠٢ ـ قوله تعالى: ﴿ .. وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا .. ﴿١٠٠﴾﴾ الآية.

إن قلت: كيف جاز لهم أن يسجدوا ليوسف والسجود لغير الله حرام؟

قلت: المراد أنهم جعلوه كالقبلة، ثم سجدوا لله تعالى شكرًا لنعمة وجدان يوسف، كما تقول: سجدت وصليت للقبلة. واللام للتعليل، أى لأجله سجدًا لله، ومنه قوله تعالى: ﴿رأيتهم لى ساجدين﴾ أى إنما سجدت لله لأجل مصلحتى، والسعى فى إعلاء منصبى.

٥٠٣ ـ قوله تعالى: ﴿ .. وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ .. ﴿١٠٠﴾﴾.

إن قلت: لم ذكر «يوسف» عليه السلام، نعمة الله عليه فى إخراجه من السجن، دون إخراجه من الجب، مع أنه أعظم نعمة، لأن وقوعه فى الجب كان أعظم خطرًا؟

قلت: لأن مصيبة السجن كانت عنده أعظم، لطول مدتها، ولمصاحبته الأوباش وأعداء الدين فيه، بخلاف مصيبة الجب، لقصر مدتها، ولكون المؤمن له فيه جبريل عليه السلام وغيره من الملائكة.

أو لأن في ذكر الجب «توبيخًا وتقريعًا» لاخوته بعد قوله: ﴿لا تثريب عليكم اليوم﴾.

٥٠٤ ـ قوله تعالى: ﴿.. أنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (١٠١)﴾.

إن قلت: كيف قال يوسف ذلك، مع علمه بأن كل نبى لا يموت إلا مسلمًا؟

قلت: قاله إظهارًا للعبودية والافتقار، وشدة الرغبة فى طلب سعادة الخاتمة، وتعليمًا للأمة، وطلبًا للثواب.

٥٠٥ ـ قوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ (١٠٦)﴾.

إن قلت: كيف قال ذلك، مع أن الإيمان والشرك لا يجتمعان؟

قلت: معناه: وما يؤمن أكثرهم بأن الله خالقه ورازقه، وخالق كل شيء قولاً، إلا وهو مشرك بعبادة الأصنام فعلاً.

أو أن المراد به المنافقون، يؤمنون بألسنتهم قولاً، ويشركون بقلوبهم اعتقادًا.

٥٠٦ ـ قوله تعالى: ﴿.. أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ .. (١٠٩)﴾ قاله هنا، وفى «الحج»[1]، وفى آخر «غافر»[2] بالفاء، وقاله فى «الروم»[3]، و«فاطر»[4]، وأول «غافر»[5] بالواو. لأن ما فى الثلاثة

(١) فى الحج ﴿أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها﴾ آية (٤٦).

(٢) فى غافر ﴿أفلم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم..﴾ آية (٨٢).

(٣) فى الروم ﴿أو لم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم..﴾ آية (٩).

(٤) فى فاطر ﴿أو لم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم..﴾ آية (٤٤).

(٥) فى أول غافر ﴿أو لم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا هم أشد منهم قوة..﴾ آية (٢١).

الأول، تقدمه التعبير فى الإنكار بالفاء فى قوله هنا ﴿أفأمنوا أن تأتيهم غاشية﴾ وفى الحج ﴿فهى خاوية على عروشها﴾ وفى آخر غافر ﴿فأى آيات الله تنكرون﴾؟

وما فى الثلاثة الأخيرة، تقدمه التعبير بالواو فى قوله فى الروم: ﴿أو لم يتفكروا فى أنفسهم﴾ وفى فاطر: ﴿أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر﴾ وفى أول غافر ﴿وأنذرهم يوم الأزفة﴾ ﴿وما تخفى الصدور﴾ ﴿والله يقضى بالحق والذين يدعون من دونه لا يقضون بشىء﴾.

(تمت سورة يوسف)

****

سورة الرعد

٥٠٧ ـ قوله تعالى: ﴿.. إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ ختم الآية هنا بـ ﴿يتفكرون﴾ وختمها بعد بـ ﴿يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾ لأن التفكر فى الشىء سبب لتعلقه، والسبب مقدم على المسبب، فناسب تقدم التفكر على التعقل.

٥٠٨ ـ قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا..﴿١٥﴾﴾ الآية.

إن قلت: كيف قال ذلك هنا، وقال فى الحج: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ ..﴾ [الحج:١٨] وفى النحل: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ..﴾ [النحل:٤٨].

قلت: لأنه هنا ذكر العلويات، من الرعد، والبرق، والسحاب، ثم الملائكة بتسبيحهم، ثم الأصنام والكفار، فبدأ بذكر ﴿من فى السموات﴾ ليقدم ذكرهم، وأتبعهم من فى الأرض، ولم يذكر ﴿من﴾ استخفافًا بالأصنام والكفار.

وفى الحج تقدم ذكر المؤمنين وسائر الأديان، فقد ذكر ﴿من فى السموات﴾ لشرفهم، ثم قال ﴿ومن فى الأرض﴾، ليقدم ذكر المؤمنين.

وفى النحل تقدم ذكر ما خلقه الله عامًا، ولم يكن فيه ذكر الملائكة والرعد، ولا الإنس بالتصريح فاقتضت الآية ﴿ما فى السموات وما فى الأرض﴾ فقال فى كل آية ما يناسبها.

٥٠٩ ـ قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ .. ﴿٢٦﴾﴾ قاله هنا، وفى «القصص:٨٢» و«الروم:٣٧» بلفظ ﴿الله﴾ وفى «الإسراء:٣٠» وفى «سبأ» فى موضعين بلفظ الرب «٣٦ و٣٩» وفى «الشورى:١٢» بإضمار لفظ ﴿الله﴾ وبزيادة «له» فى «العنكبوت:٤» وفى ثانى موضعى سبأ، موافقة

---

٥٠٨ ـ راجع البرهان مسألة رقم ٢٣٦.

لتقدم تكرر لفظ ﴿الله﴾ فى السور الأربع، ولتقدم تكرر لفظ الرب فى المواضع الثلاثة، ولتقدم تكرر الإضمار فى الشورى.

وزاد فى «العنكبوت: ٦٢» ﴿من عباده﴾ و﴿له﴾ موافقة لبسط الكلام على الرزق المذكور فيها صريحًا.

وزاد فى «القصص: ٨٢» ﴿من عباده﴾ موافقة لذلك، وإن كان لفظ الرزق فيه تضمنًا.

وزاد ﴿له﴾ فى ثانى موضعى «سبأ: ٩»، لأنه نزل فى المؤمنين، وما قبله فى الكافرين. وحذف لفظ ﴿له﴾ فى غير العنكبوت، وفى أول موضعى «سبأ: ٣٦» اختصارًا.

٥١٠ ـ قوله تعالى: ﴿.. قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾﴾.

إن قلت: كيف طابق هذا الجواب قولهم: ﴿لولا أنزل عليه آية من ربه﴾؟

قلت: المعنى قل لهم: إن الله أنزل على آيات ظاهرة، ومعجزات قاهرة، لكن الإضلال والهداية من الله، فأضلكم عن تلك الآيات، وهدى إليها آخرين، فلا فائدة فى تكثير الآيات والمعجزات، أو هو كلام جرى مجرى التعجب من قولهم، لأن الآيات الباهرة المتكاثرة، التى ظهرت على يد النبى ﷺ، وكانت أكثر من أن تشتبه على العاقل، فلما طلبوا بعدها آيات أخر، كان محل التعجب والإنكار فكأنه قيل لهم: ما أعظم عنادكم!! إن الله يضل من يشاء، كمن كان على صنيعكم، من التصميم على الكفر، فلا سبيل إلى هدايتكم، وإن أنزلت كل آية!! ويهدى من كان على خلاف صنيعكم.

٥١١ ـ قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ .. ﴿٣٣﴾﴾ الآية.

إن قلت: كيف طابق قوله عقبه: ﴿وجعلوا لله شركاء قل سموهم﴾؟

قلت: فيه محذوف تقديره: أفمن هو رقيب على كل نفس، صالحة وطالحة، يعلم ما كسبت من خير وشر، كمن ليس كذلك؟ من شركائهم التى

لا تضر ولا تنفع؟ ويدل له قوله تعالى: ﴿وجعلوا لله شركاء﴾ ونحوه قوله تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ ..﴾ [الزمر:٢٢] تقديره: كمن قسا قلبه؟ يدل له قوله: ﴿فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله﴾.

٥١٢ ـ قوله تعالى: ﴿ .. قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلا أُشْرِكَ بِهِ .. ﴿٣٦﴾ ﴾.

إن قلت: كيف اتصل هذا بقوله قبله: ﴿ .. وَمِنَ الأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُ .. ﴾.

قلت: هو جواب للمنكرين معناه: قل إنما أمرت فيما أنزل إليّ، بأن أعبد الله ولا أشرك به، فإنكاركم لبعضه إنكار لعبادة الله وتوحيده.

٥١٣ ـ قوله تعالى: ﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا .. ﴿٤٢﴾ ﴾.

إن قلت: كيف أثبت لهم مكرًا ثم نفاه عنهم بقوله: ﴿فلله المكر جميعًا﴾؟

قلت: معناه أن مكر الماكرين مخلوق له، ولا يضر إلا بإرادته، فإثباته لهم باعتبار الكسب، ونفيه عنهم باعتبار الخلق.

« تمت سورة الرعد »

****

---

٥١١ ـ انظر مشكل القرآن لابن قتيبة ص ١٣٨، ١٣٩.

سورة إبراهيم

٥١٤ ـ قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ.. ﴿٤﴾﴾.

إن قلت: هذا يقتضى أن النبى ﷺ إنما بعث إلى العرب خاصة، فكيف الجمع بينه وبين قوله: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ..﴾ [الأعراف:١٥٨]؟

وقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ..﴾ [سبأ:٢٨].

قلت: أرسل إلى الناس كافة بلسان قومه وهم العرب، ونزوله بلسانهم مع الترجمة لباقى الألسن كاف، لحصول الغرض بذلك، ولأنه أبعد عن التحريف والتبديل، وأسلم من التنازع والاختلاف.

٥١٥ ـ قوله تعالى: ﴿.. يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى .. ﴿١٠﴾﴾.

«من» زائدة، إذ الإسلام يغفر به ما قبله، أو تبعيضه لإخراج حق العباد.

٥١٦ ـ قوله تعالى: ﴿.. وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾.

قال ذلك هنا، وقال بعده: ﴿وعلى الله فيتوكل المتوكلون﴾ لإن الإيمان سابق على التوكل.

٥١٧ ـ قوله تعالى: ﴿.. لاَّ يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ .. ﴿١٨﴾﴾ قدم ﴿مما كسبوا﴾ على ما بعده، لأن الكسب هو المقصود بالذكر، بقرينة ما قبله، وإن كان القياس عكس ذلك كما فى «البقرة:٢٦٤»، لأن ﴿على شىء..﴾ المطبوعة «صلة» «ليقدرون» و ﴿مما كسبوا﴾ صفة لشىء.

٥١٨ ـ قوله تعالى: ﴿ .. وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ .. ﴿٣٢﴾ ﴾.

قاله هنا بدون «لكم» وقاله فى النمل بذكر «لكم» اكتفاء هنا بذكره بعد، لاسيما وقد ذكر مكرراً.

٥١٩ ـ قوله تعالى: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ .. ﴿٣٦﴾ ﴾.

إن قلت: كيف جعل الأصنام مضلة والمضل ضار، وقد نفى عنهم الضرر بقوله: ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم﴾؟

قلت: نسبة الاضلال إليها مجاز، من باب نسبة الشىء إلى سببه، كما يقال: فتنتهم الدنيا، ودواء مسهل، فهى سبب للإضلال، وفاعله حقيقة هو الله تعالى.

٥٢٠ ـ قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴿٤١﴾ ﴾.

إن قلت: كيف استغفر إبراهيم عليه السلام لوالديه وهما كافران، والاستغفار للكافر حرام؟

قلت: المعنى: واغفر لوالدى إن أسلما، أو أراد بهما آدم وحواء.

٥٢١ ـ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ .. ﴿٤٢﴾ ﴾.

إن قلت: كيف يحسبه النبى ﷺ غافلاً، وهو أعلم الخلق بالله؟

قلت: المراد دوام نهيه عن ذلك، كقوله تعالى: ﴿ولا تكونن من المشركين﴾ وقوله: ﴿ولا تدع من الله إلهًا آخر﴾.

ونظيره فى الأمر قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ..﴾ [النساء: ١٣٦].

أو هو نهى لغير النبى ﷺ ممن يحسبه غافلاً، لجهله بصفاته تعالى.

« تمت سورة إبراهيم »

****

---

٥١٨ ـ راجع القرطبى ١٣/ ٢٢١.

سورة الحجر

٥٢٢ ـ قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾﴾.

إن قلت: كيف وصفوه بالجنون، مع قولهم: ﴿نزل عليه الذكر﴾ أى القرآن، المستلزم ذلك لاعترافهم بنبوته؟

قلت: إنما قالوا ذلك استهزاء وسخرية، لا اعترافًا كما قال فرعون لقومه: ﴿.. إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ [الشعراء: ٢٧].

أو فيه حذف: أى يا أيها الذى تدعى إنك نزل عليك الذكر.

٥٢٣ ـ قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

إن قلت: كيف قال ذلك، والوارث من يتجدد له الملك بعد فناء المورث، والله تعالى لم يتجدد له ملك، لأنه لم يزل مالكًا للعالم؟

قلت: الوارث لغة هو الباقى بعد فناء غيره، وإن لم يتجدد له ملك، فمعنى الآية: ونحن الباقون بعد فناء الخلائق، أو أن الخلائق لما كانوا يعتقدون أنهم مالكون، ويسمون بذلك أيضًا مجازًا ثم ماتوا، خلصت الأملاك كلها لله تعالى عن ذلك التعلق، فبهذا الاعتبار سمى وارثًا. ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿.. لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦]، والملك له أزلى وأبدى.

٥٢٤ ـ قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٣٥﴾﴾ قال ذلك هنا بتعريف الجنس، ليناسب ما قبله من التعبير بالجنس، فى قوله تعالى: ﴿ولقد خلقنا الإنسان﴾، ﴿والجان خلقناه﴾، ﴿فسجد الملائكة﴾.

---

٥٢٤ ـ انظر متشابه القرآن.

وقال فى ص: ﴿وإن عليك لعنتى إلى يوم الدين﴾. بالإضافة، ليناسب ما قبله من قوله ﴿ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى﴾؟

٥٢٥ ـ قوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾ قاله هنا بزيادة ﴿إخوانا﴾ لأنه نزل فى أصحاب رسول الله ﷺ وقال فى غير هذه السورة «كما فى الأعراف ٤٣» بدونهم، لأنه نزل فى عامة المؤمنين.

٥٢٦ ـ قوله تعالى: ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلامًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ﴾ [الحجر: ٥٢].

حذف منه قبل قال اختصارًا، قوله فى هود ﴿قال سلام﴾ وفى هود «البرهان» ﴿قالوا سلامًا قال سلام فما لبث أن جاء بعجل حنيذ. فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة﴾ فحذف للدلالة عليه.

٥٢٧ ـ قوله تعالى: ﴿قَالُوا لا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾﴾.

﴿لا توجل﴾ أى لا تخف، وربه عبر فى «هود: ٧٠» توسعة فى التعبير عن الشىء الواحد بمتساويين، وخص ما هنا بالأول لموافقته قوله: ﴿إنا منكم وجلون﴾ وما فى هود بالثانى لموافقته قوله: ﴿خيفة﴾.

٥٢٨ ـ قوله تعالى: ﴿إِلاَّ امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾.

إسناد التقدير إلى الملائكة مجاز، إذ المقدر حقيقة هو الله تعالى، وهذا كما يقول خواص الملك: دبرنا كذا، وأمرنا بكذا، والمدبر، والأمر هو الملك، وفى ذلك إظهار لمزيد قربهم بالملك.

٥٢٩ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾﴾.

إن قلت: كيف جمع الآية أولاً، ووحدها ثانيًا، والقصة واحدة؟

قلت: جمع أولاً باعتبار تعدد ما قص من حديث لوط، وضيف إبراهيم، وتعرض أهل لوط لهم، وما كان من إهلاكهم، وقلب المدينة على من فيها، وإمطار الحجارة على من غاب عنها.

«ووحد» ثانيًا: باعتبار وحدة قرية قوم لوط، المشار إليها بقوله: ﴿وإنها لسبيل مقيم﴾.

٥٣٠ ـ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾﴾.

«الحجر» اسم واديهم أو مدينتهم. فإن قلت: أصحابه وهم قوم صالح، إنما كذبوا صالحًا، لأنه المرسل إليهم، لا المرسلين كلهم؟

قلت: من كذب رسولاً واحدًا، كذب جميع الرسل، لاتفاقهم فى دعوة الناس إلى توحيد الله تعالى.

٥٣١ ـ قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴿٩٣﴾﴾.

إن قلت: كيف قال ذلك هنا، وقال فى الرحمن ﴿فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان﴾؟

قلت: لأن فى يوم القيامة مواقف، ففى بعضها يسألون، وفى بعضها لا يسألون، وتقدم نظيره فى هود. أو لأن المراد هنا أنهم يسألون سؤال توبيخ، وهو لم فعلتم أو نحوه، وثم لا يسألون سؤال استعلام واستخبار.

﴿ تمت سورة الحجر ﴾

****

---

٥٣١ ـ انظر تفسير الطبرى ١٤/٤٧.

سورة النحل

٥٣٢ ـ قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾﴾.

قدم الإراحة على السرح، مع أنها مؤخرة عنها فى الواقع، لأن الأنعام وقت الإراحة ـ وهى ردها عشاء إلى مراحلها ـ أجمل وأحسن من سرحها، لأنها تقبل مالئة البطون، حافلة الضروع متهادية فى مشيها، بخلاف وقت سرحها، وهو إخراجها إلى المرعى.

٥٣٣ ـ قوله تعالى: ﴿.. إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾﴾ وحد الآية فى هذه السورة فى خمسة مواضع، نظرًا لمدلولها. وجمعها فى موضعين لمناسبة قوله قبلها ـ ﴿والنجوم مسخرات بأمره﴾.

٥٣٤ ـ قوله تعالى: ﴿.. وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾﴾.

قاله هنا بتأخير ﴿فيه﴾ عن ﴿مواخر﴾ وبالواو فى ﴿ولتبتغوا﴾، وقاله فى «فاطر:١٢» بتقديم ﴿فيه﴾ وحذف الواو، جريًا هنا على القياس، إذ ﴿الفلك﴾ مفعول أول لترى و﴿مواخر﴾ مفعول ثان، و﴿فيه﴾ ظرف وحقه التأخير، والواو للعطف على لام العلة ففى قوله : ﴿لتأكلوا منه لحمًا طريًا﴾ وحذف الواو، لعدم المعطوف عليه هنا.

٥٣٥ ـ قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾﴾ هذا من عكس التشبيه إذ مقتضى الظاهر العكس، لأن الخطاب لعباد الأوثان حيث سموها آلهة، تشبيهًا به تعالى فجعلوا غير الخالق كالخالق، فخولف فى خطابهم لأنهم بالغوا فى عبادتها، حتى صارت عندهم أصلاً فى العبادة، والخالق فرعًا، فجاء الإنكار على وفق ذلك، ليفهموا المراد على معتقدهم.

---

٥٣٤ ـ انظر فتاوى النووى ٢٢٦.

إن قلت: المراد بـ﴿من لا يخلق﴾ الأصنام، فكيف جيء بـ ﴿من﴾ المختصة بأولى العلم؟

قلت: خاطبهم على معتقدهم، لأنهم سموهم آلهة وعبدوها، فأجروها مجرى أولى العلم، ونظيره قوله تعالى: ﴿ألهم أرجل يمشون بها﴾ الآية.

٥٣٦ ـ قوله تعالى: ﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾﴾.

إن قلت: ما فائدة قوله فى وصف الأصنام ﴿غير أحياء﴾ بعد قوله: ﴿أموات﴾؟

قلت: فائدته أنها أموات لا يعقب موتها حياة، احترازًا عن أموات يعقب موتها حياة، كالنطف والبيض، والأجساد الميتة، وذلك أبلغ فى موتها، كأنه قال: أموات فى الحال، غير أحياء فى المآل.

٥٣٧ ـ قوله تعالى: ﴿.. وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾﴾.

إن قلت: كيف عاب الأصنام بأنهم لا يعلمون، مع أن المؤمنين كذلك؟

قلت: معناه وما تشعر الأصنام متى تبعث عبادها؟ فكيف تكون آلهة مع الجهل؟ بخلاف المؤمنين فإنهم يعلمون أنه يوم القيامة.

٥٣٨ ـ قوله تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم .. ﴿٢٥﴾﴾.

أى ليحملوا أوزار كفرهم مباشرة، ومثل أو بعض أوزار كفر من أضلوهم، بتسببهم فى كفرهم.. فـ ﴿من﴾ زائدة، أو تبعيضية.

وأما قوله تعالى: ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ فمعناه وزرًا لا مدخل لها فيها، ولا تعلق له بها بتسبب ولا غيره. ونظير هاتين الآيتين، سؤالاً وجوابًا، قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُم بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُم مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَّعَ أَثْقَالِهِمْ.. ﴿١٣﴾﴾ [العنكبوت: ١٢ ، ١٣].

---

٥٣٨ ـ انظر تفسير أبى السعود ٤/ ٣١١ والقرطبى.

٥٣٩ ـ قوله تعالى: ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٤﴾﴾ قال فيه وفى «الجاثية:٣٣» ﴿ما عملوا﴾ وفى «الزمر:٥١» ﴿ما كسبوا﴾ موافقة لما قبل كل منها، أو بعده أو قبله وبعده، إذ ما هنا قبله ﴿ما كنا نعمل من سوء﴾ و﴿تعملون﴾ مرتين. وقبل ما فى الجاثية ﴿ما كنتم تعملون﴾ و﴿عملوا الصالحات﴾ وبعده ﴿سيئات ما عملوا﴾. وقبل ما فى الزمر ﴿وذوقوا ما كنتم تكسبون﴾ وبعده ﴿فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون﴾.

٥٤٠ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾.

إن قلت: هذا يدل على أن المعدوم شىء، وعلى أن خطاب المعدوم جائز، مع أن الأول منتف عند أكثر العلماء، والثانى بالاجماع.

قلت: أما تسميته «شيئا» فمجاز بالأول، وأما الثانى فلان ذلك خطاب تكوين، لا خطاب إيجاد[٤٠]، فيمتنع أن يكون المخاطب به موجودًا قبل الخطاب، لأنه إنما يكون بالخطاب.

٥٤١ ـ قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مِن دَابَّةٍ ..﴿٤٩﴾﴾، تجوز بالسجود عن الانقياد، فيما لا يعقل، والسجود على الجبهة فيمن يعقل، ففيه جمع بين الحقيقة والمجاز، وإنما لم يغلب العقلاء من الدواب على غيرهم، كما فى آية ﴿والله خلق كل دابة من ماء﴾ لأنه أراد هنا عموم كل دابة ولم يقترن بتغليب، فجاء بـ «ما» التى تعم النوعين، وفى تلك ـ وإن أراد العموم ـ لكنه اقترن بتغليب، وهو ذكر ضمير العقلاء، فى قوله: ﴿فمنهم من يمشى﴾ فجاء بـ ﴿من﴾ تغليبًا للعقلاء.

٥٤٢ ـ قوله تعالى: ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾﴾ قاله هنا، وفى «الروم:٣٤» بالتاء، بإضمار القول، أى قل لهم: تمتعوا، كما فى قوله تعالى: ﴿.. قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾ [إبراهيم: ٣٠] وقوله: ﴿.. قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً ..﴾ [الزمر:٨].

٤٠ كذا فى المصورة (الأصل المخطوط).

وقال فى العنكبوت: ﴿وليتمتعوا فسوف يعلمون﴾ باللام والياء، على القياس، إذ هو معطوف على اللام ومدخولها فى قوله: ﴿ليكفروا بما آتيناهم﴾ ومدخولها غائب.

٥٤٣ - قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ..﴿٦١﴾﴾ ﴿ما ترك عليها﴾ أى على الأرض، قال ذلك هنا، وقال فى فاطر: ﴿بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة﴾.

ترك لفظ ﴿ظهر﴾ هنا، احترازاً عن الجمع بين الظائين: فى ظهرها، وظلمهم، بخلافه فى «فاطر: ٤٥»، إذ لم يذكر فيها «بظلمهم».

فإن قلت: الآية تقتضى مؤاخذة البرى بظلم الظالم، وذلك لا يحسن من الحكيم؟

قلت: المراد بالظلم هنا: الكفر، وبالدابة: الدابة الظالمة وهى الكافر، كما نقل عن ابن عباس رضى الله عنهما.

٥٤٤ - قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا..﴿٦٥﴾﴾ قاله هنا بحذف ﴿من﴾ لعدم ذكرها قبله، وليوافق حذفها بعده من قوله: ﴿لكيلا يعلم بعد علم شيئا﴾. وقاله فى «العنكبوت:٦٣» بإثباتها، ليوافق التعبير بها فى قوله قبل: ﴿ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء﴾.

وأثبتها فى قوله فى الحج: ﴿لكيلا يعلم من بعد علم شيئا﴾ ليوافق التعبير بها قبل فى قوله ﴿فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة﴾ الآية.

٥٤٥ - قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ..﴿٦٦﴾﴾ الآية. قاله هنا بإفراد الضمير مذكراً، وفى المؤمنين ﴿بطونها﴾ بجمعه مؤنثاً، نظراً هنا إلى أن الأنعام «مفرد» كما نقله الزمخشرى عن سيبويه، وثم إلى أنه «جمع» كما هو الشائع.

---

٥٤٤ - راجع تفسير القرطبى ١٠/١٢٣، ١٢٤.
٥٤٦ - راجع تفسير الطبرى ١٤/٩٧.

٥٤٦ ـ قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا .. ﴿٧٢﴾﴾ الآية. أى من جنسكم كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة:١٢٨] الآية.

٥٤٧ ـ قوله تعالى: ﴿.. أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ قاله بزيادة ﴿هم﴾ وفى «العنكبوت:٦٧» بدونها. لأن ما هنا اتصل بقوله: ﴿والله جعل لكم من أنفسكم أزواجًا﴾ إلى آخره، وهو بالخطاب ثم انتقل إلى الغيبة فقال: ﴿أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون﴾ فلو ترك ﴿هم﴾[٠٠] لالتبست الغيبة بالخطاب، بأن تبدل الياء تاء.

٥٤٨ ـ قوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾﴾. غلب فيه من يعقل على من لا يعقل، فعبر بالواو والنون، إذ فى من يعبد، من يعقل كالعزير والمسيح، ومن لا يعقل كالأصنام، وأفرد ﴿يملك﴾ نظرًا إلى لفظ ﴿ما﴾ وجمع نظرًا إلى معناها، كما قال تعالى: ﴿وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون لتستووا على ظهوره﴾. فإن قلت: ما فائدة نفى استطاعة الرزق، بعد نفى ملكه؟

قلت: ليس فى ﴿يستطيعون﴾ ضمير مفعول هو الرزق، بل الاستطاعة منفية عنهم مطلقًا، فى الرزق وغيره، وبتقدير أن فيه ضميرًا، لا يلزم من نفى الملك نفى استطاعته، لجواز بقاء الاستطاعة على اكتساب الملك، بخلاف هؤلاء فإنهم لا يملكون، ولا يستطيعون أن يملكوا.

٥٤٩ ـ قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ.. ﴿٧٥﴾﴾ الآية.

فائدة ذكره ﴿مملوكًا﴾ بعد قوله ﴿عبدًا﴾ الاحتراز عن الحر، فإنه عبد الله تعالى، وليس مملوكًا لغيره، وفائدة ﴿لا يقدر على شىء﴾ بعد قوله: ﴿مملوكًا﴾ الاحتراز عن المأذون له، والمكاتب، لقدرتهما على التصرف استقلالاً.

---

[٠٠] كذا فى المطبوعة وفى المخطوطة المصورة «فلو ترهم» وهو تحريف من النساخ.
٥٤٩ ـ انظر جامع البيان للطبرى ١٤/ ١٠٠.

٥٥٠ ـ قوله تعالى: ﴿.. هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾.

إن قلت: لم جمع ولم يثن، مع أن المضروب به المثل إثنان: مملوك، ومن رزق الله رزقًا حسنا؟!

قلت: جمع باعتبار جنس المماليك، والمالكين.

أو انظر إلى أن أقل الجمع إثنان.

٥٥١ ـ قوله تعالى: ﴿.. وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلاَّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ.. ﴿٧٧﴾ ﴾.

إن قلت: ﴿أو﴾ للشك، وهو على الله محال، فما معنى ذلك:

قلت: ﴿أو﴾ هنا بمعنى الواو، أو للشك بالنسبة إلينا، أو بمعنى «بل» ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿وأرسلنا إلى مائة ألف أو يزيدون﴾، وقوله: ﴿فهى كالحجارة أو أشد قسوة﴾. وأورد على الأخيران «بل» للاضراب، وهو رجوع عن الاخبار، وهو على الله محال.. ويجاب بمنع أنه محال، بناء على جواز وقوع النسخ فى الاخبار، وهو جائز عند الأشاعرة مطلقًا، خلافًا للمعتزلة فيما لا يتغير.

٥٥٢ ـ قوله تعالى: ﴿.. وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ.. ﴿٨١﴾ ﴾.

﴿سرابيل تقيكم الحر﴾ أى والبرد، وإنما حذفه لدلالة ضده عليه، كما فى قوله تعالى: ﴿بيدك الخير﴾ أى والشر.

وخص الحر، والخير بالذكر، لأن الخطاب بالقرآن أول ما وقع بالحجاز، والوقاية من الحر، أهم عند أهله، لأن الحر عندهم أشد من البرد، والخير مطلوب العباد من ربهم دون الشر.

٥٥٣ ـ قوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾.

---

٥٥٢ ـ تفسير الطبرى ١٤/١٠٤.

٥٥٣ ـ تفسير الطبرى ١٤/١٠٦.

إن قلت: بل كلهم كافرون؟

قلت : المراد بالأكثر هنا الجمع.

٥٥٤ ـ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُو مِن دُونِكَ .. ﴿٨٦﴾﴾.

إن قلت: ما فائدة قولهم ذلك، مع أنه تعالى عالم بهم؟

قلت: لما أنكروا الشرك بقولهم ﴿والله ربنا ما كنا مشركين﴾ عاقبهم الله باصمات ألسنتهم، وأنطق جوارحهم، فقالوا عند معاينة آلهتهم: ﴿ربنا هؤلاء شركاؤنا﴾. فأقروا بعد انكارهم طلبًا للرحمة، وفرارًا من الغضب، فكان هذا القول على وجه الاعتراف منهم بالذنب، لا على وجه إعلام من لا يعلم، أو انهم لما عاينوا عظيم غضب الله، قالوا ذلك رجاء أن يلزم الله الأصنام ذنوبهم فيخف عنهم العذاب.

٥٥٥ ـ قوله تعالى: ﴿ .. فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٨٦﴾﴾.

﴿فألقوا﴾ أى الشركاء كالأصنام ﴿إليهم القول﴾ فسر القول بقوله: ﴿إنكم لكاذبون﴾ أى فى قولكم: إنكم عبدتمونا.

فإن قلت: لم قالت الأصنام للمشركين ذلك، مع أنهم كانوا صادقين فيه؟

قلت: قالوه لهم لتظهر فضيحتهم، حيث عبدوا من لا يعلم بعبادتهم.

فإن قلت: كيف أثبت للأصنام نطقًا هنا، ونفاه عنها فى قوله فى الكف: ﴿فدعوهم فلم يستجيبوا لهم﴾؟

قلت: المثبت لهم هنا، النطق بتكذيب المشركين، فى دعوى عبادتهم لها، والمنفى عنها فى الكهف النطق بالإجابة إلى الشفاعة لهم، ودفع العذاب عنهم، فلا تنافى.

٥٥٦ ـ قوله تعالى: ﴿ .. وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾.

إن قلت: إذا كان كذلك، فكيف اختلفت الإئمة فى كثير من الأحكام؟

قلت: لأن أكثر الأحكام ليس منصوصًا«٠» عليه فيه، وبعضها مستنبط منه، وطرق الاستنباط مختلفة، فبعضها بالإحالة إما على ألسنة، بقوله تعالى: ﴿وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ وقوله ﴿وما ينطق عن الهوى﴾ أو على الإجماع بقوله تعالى: ﴿فاعتبروا يا أولى الأبصار﴾ والاعتبار: النظر والاستدلال اللذان يحصل بهما القياس.

٥٥٧ ـ قوله تعالى: ﴿.. وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ قاله هنا بلفظ «ما» وفى الزمر بلفظ ﴿الذى﴾ موافقة فى كل منهما لما قبله، إذ قبل ما هنا ﴿إنما عند الله هو خير لكم﴾ وقوله: ﴿ما عندكم ينفد وما عند الله باق﴾ وقبل ما هنالك ﴿أسوأ الذى كانوا يعملون﴾ وقوله: ﴿والذى جاء بالصدق﴾.

٥٥٨ ـ قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا .. ﴿١١٠﴾﴾ الآية. كرر فيها وفى قوله بعد: ﴿ثم أن ربك للذين عملوا السوء بجهالة﴾ الآية ﴿إن ربك﴾ لطول الكلام بين اللفظين، قيل: ومثله: ﴿أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم ترابًا وعظامًا إنكم مخرجون﴾.

٥٥٩ ـ قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا .. ﴿١١١﴾﴾ الآية.

إن قلت: ما معنى إضافة النفس إلى النفس، مع أن النفس لا نفس لها؟

قلت: النفس تقال للروح، وللجوهر القائم بذاته، المتعلق بالجسم، تعلق التدبير، ولجملة الإنسان، ولعين الشىء وذاته، كما يقال: نفس الذهب والفضة محبوبة أى ذاتهما.

فالمراد بالنفس الأولى الإنسان وبالثانية ذاته فكأنه قال: يوم يأتى كل إنسان يجادل عن ذاته، لا يهمه شىء آخر غيره، كل يقول: نفسى، نفسى.

«٠» فى المصورة: ليس منصوبًا عليه وهو تحريف من النساخ، والتصحيح من المطبوعة.
٥٥٩ ـ انظر تفسير القرطبى والبرهان ٢٧١.

٥٦٠ ـ قوله تعالى: ﴿.. وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾.

قاله هنا بحذف النون، وفى «النمل: ٧٠» بإثباتها تشبيهًا لها بحروف العلة، وخص ما هنا بحذفها موافقة لقوله قبل: ﴿قانتًا لله حنيفًا ولم يك من المشركين﴾ ولسبب نزول هذه الآية، لأنها نزلت تسلية للنبى ﷺ حين قتل عمه «حمزة» ومثل به، فقال ﷺ : لأفعلن بهم ولأصنعن، فأنزل الله تعالى: ﴿ولئن صبرتم لهو خير للصابرين﴾ الآية، فبالغ فى الحذف فيكون ذلك مبالغة فى التسلية وإثباتها فى النمل، جاء على القياس، ولأن الحزن ثم، دون الحزن هنا.

« تمت سورة النحل »

****

---

٥٦٠ ـ انظر الطبرى ١٤/١٣٣ ولسان العرب ١٣/٣٠٤.

سورة الإسراء

٥٦١ ـ قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا .. ①﴾ قال ﴿بعبده﴾ دون نبيه أو حبيبه، لئلا تصل به أمته، كما ضلت أمة المسيح، حيث دعته إلهًا.

أو لأن وصفه بالعبودة، المضافة إلى الله تعالى أشرف المقامات، وقال ﴿ليلاً﴾ منكرًا، ليدل على قصر زمن الإسراء، مع أن بين مكة وبيت المقدس، مسيرة أربعين ليلة، لأن التنكير يدل على البعضية.

والحكمة فى إسرائه ﷺ من بيت المقدس، دون مكة، لأنه محشر الخلائق، فيطؤه بقدمه ليسهل على أمته يوم القيامة، وقوفهم ببركة أثر قدمه. أو لأنه مجمع أرواح الأنبياء، فأراد الله أن يشرفهم بزيارته ﷺ.

أو أسرى به منه، ليشاهد من أحواله وصفاته، ما يخبر به كفار مكة، صبيحة تلك الليلة، فيكون اخباره بذلك مطابقًا لما رأوا، وشاهدًا ودليلاً على صدقه فى الإسراء.

٥٦٢ ـ قوله تعالى: ﴿.. الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ .. ①﴾ هو أعم من أن يقال: باركنا عليه أو فيه، لإفادته شمول البركة لما أحاط بالمسجد من أرض الشام بالمنطوق، وللمسجد لمفهوم الأولى.

٥٦٣ ـ قوله تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ..⑦﴾ الآية.

﴿فلها﴾ اللام للاختصاص، أو بمعنى «على» كما فى قوله تعالى: ﴿ويخرون للأذقان سجدا﴾.

٥٦٤ ـ قوله تعالى: ﴿.. وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ⑨﴾.

قال ذلك هنا بلفظ ﴿كبيرا﴾ وقاله فى الكهف بلفظ ﴿حسنا﴾ موافقة للفواصل قبلهما وبعدهما.

٥٦٥ ـ قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ .. ﴿١٢﴾﴾.

إن قلت: لم ثنى الآية هنا، وأفردها فى قوله ﴿وجعلناها وابنها آية﴾ [الأنبياء: ٩١]؟

قلت: لتباين الليل والنهار من كل وجه، ولتكررهما، فناسبهما التثنية، بخلاف «عيسى» مع أمه، فإنه جزء منها، ولا تكرر فيهما، فناسبهما الإفراد.

٥٦٦ ـ قوله تعالى: ﴿.. وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً .. ﴿١٢﴾﴾ أى مضيئة لأن النهار لا يبصر.

٥٦٧ ـ قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾.

لا ينافى قوله تعالى: ﴿وكفى بنا حاسبين﴾ لأن فى يوم القيامة مواقف مختلفة، ففى موقف يكل الله حسابهم إلى أنفسهم، وعلمه محيط به، وفى موقف يحاسبهم هو تعالى.

وقيل: هو الذى يحاسبهم لا غير، وقوله ﴿كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا﴾ أى يكفيك أنك شاهد على نفسك بذنوبها، فهو توبيخ وتقريع، لا تفويض حساب العبد إلى نفسه.

وقيل: من يريد «مناقشته»(٠) فى الحساب يحاسبه بنفسه، ومن يريد مسامحته يكل حسابه إليه.

٥٦٨ ـ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا.. ﴿١٦﴾﴾ الآية ﴿أمرنا مترفيها﴾ أى أربنا منهم الفسق، أو أمرناهم بالطاعة، أو كثرناهم ففسقوا، يقال: امرته، وآمرته، بالقصر والمد بمعنى

---

٥٦٥ ـ انظر تأويل مشكل القرآن ص ٢٢٨.

(٠) كذا فى المخطوطة المصورة الأسبانية.

كثرته. وقيد بالمترفين وإن كان الأمر لا يختص بهم، لأن صلاحهم أو فسادهم، مستلزم لصلاح غيرهم أو فساده.

٥٦٩ ـ قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ..﴿١٨﴾﴾ الآية.

إن قلت: قضيته أن من لم يترك الدنيا يكون من أهل النار، وليس كذلك؟

قلت: المراد من لم يرد بإسلامه وعبادته إلا الدنيا، وهذا لا يكون إلا كافرًا، أو منافقًا.

٥٧٠ ـ قوله تعالى: ﴿..وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾﴾ أى ممنوعا.

إن قلت: كيف قال ذلك، مع أنا نشاهد الواحد، لا يقدر على دانق، وآخر معه الألوف؟

قلت: المراد بالعطاء هنا الرزق، والله سوى فى ضمانه بين المطيع والعاصى من العباد، فلا تفاوت بينهم فى أصل الرزق، وإنما التفاوت بينهم فى مقادير الأملاك، وإنما لم يمنع الكفار الرزق كما منعهم الهداية، لأن فى منعه له هلاكهم، وقيام الحجة لهم، بأن يقولوا: لو أمهلتنا ورزقتنا، لبقينا أحياء فآمنا. ولأنه لو منعهم الرزق لكان قد عاجلهم بالعقوبة، ولكان ذلك من صفات البخلاء، والله منه عن ذلك لأنه حليم كريم.

ولأن اعطاء الرزق لجميع العباد عدل، وعدل الله عام، وهبة الهداية فضل، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء.

٥٧١ ـ قوله تعالى: ﴿لا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولاً﴿٢٢﴾﴾. قال ذلك هنا، ثم قال: ﴿ولا تجعل مع الله إلهًا آخر فتلقى فى جهنم ملومًا مدحورا﴾.

ولا تكرار فيها، لأن الأولى فى الدنيا، والثالثة فى الأخرى. والخطاب فيهما للنبى ﷺ على الراجح والمراد به غيره، كما فى آية ﴿إما يبلغن عندك

---

٥٦٩ ـ راجع الطبرى ١٥/٤٢، ٤٣ ولسان العرب لابن منظور ٥/٨٨.

الكبر أحدهما أو كلاهما﴾. وأما الثانية فخطاب للنبى ﷺ أيضًا، وهو المراد به، وذلك أن امرأة بعثت صبيًا إليه مرة بعد أخرى، سألته قميصًا، ولم يكن عليه ولا له قميص غيره، فنزعه ودفعه إليه، فدخل وقت الصلاة فلم يخرج فى الحين، فدخل عليه أصحابه فرأوه على تلك الصفة، فلاموه على ذلك، فأنزل الله ﴿فتقعد ملومًا﴾ أى يلومك الناس ﴿محسورًا﴾ أى مكشوفًا، وقيل: مقطوعًا عن الخروج إلى الجماعة.

٥٧٢ ـ قوله تعالى: ﴿ .. إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا .. ﴿٢٣﴾ ﴾ الآية.

فائدة ذكر ﴿عندك﴾ أنهما يكبران فى بيته وكنفه، ويكونا كلا عليه، لا كافل لهما غيره، وربما ناله منهما من المشاق، ما كان ينالهما منه حال الصغر.

٥٧٣ ـ قوله تعالى: ﴿وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً ﴿٣٢﴾ ﴾ هو أعم من أن يقال: «ولا تزنوا» ليفيد النهى عن مقدمات الزنا كاللمس والقبلة بالمنطوق، وعن الزنا بمفهوم الأولى.

٥٧٤ ـ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ نُفُورًا ﴿٤١﴾ ﴾. قال ذلك هنا بحذف «للناس» اكتفاء بذكره قبل، بلفظ ﴿وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه﴾. وقاله بعد بذكره«١»، ليتميز عن الجن، لجريان ذكرهما معا قبل.

وقدم على ﴿فى هذا القرآن﴾ هنا فى الآية الثانية، اهتمامًا بالتمييز المذكور، وبالناس لأنهم الأصل فى التكليف، ولهذا اقتصر عليهم فى غالب الآيات كقوله: ﴿يا أيها الناس﴾ وقوله: ﴿من بعد ما بيناه للناس﴾ وقوله: ﴿الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس﴾ [البقرة:١٨٥]. وعكس فى «الكهف:٤٩» لمناسبة قوله قبل ﴿ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة﴾؟

---

٥٧٤ ـ انظر فتاوى النووى، مسألة ٢٣٦.

«١» فى قوله تعالى: ﴿لقد صرفنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل فأبى أكثر الناس إلا كفورا﴾ آية «٨٩» فقد سبقها قوله تعالى: ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن﴾ الآية.

٥٧٥ ـ قوله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ..﴿٤٤﴾﴾ الآية. ضمير «فيهن» عائد إلى السموات والأرض، والتسبيح ـ وهو التنزيه ـ شامل للتسبيح بلسان المقال، كما فى المؤمنين، وبلسان الحال كما فى سائر الموجودات، إذ كل موجود يدل على قدرته تعالى، وفى ذلك جمع بين الحقيقة والمجاز، وهو جائز عند الشافعى رضى الله عنه.

فإن قلت: يمنع من شموله للثانى قوله: ﴿ولكن لا تفقهون تسبيحهم لأنه مفقوه لنا؟

قلت: الخطاب فيه للكفار، وهم لم يفقهوا تسبيح الموجودات، لأنهم أثبتوا لله شركًا، وزوجًا وولدا، بل هم غافلون عن أكثر دلائل التوحيد، والنبوة، والمعاد.

٥٧٦ ـ قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾﴾ أعادها بعينها آخر السورة، وليس تكرارًا، لأن الأولى من كلامهم فى الدنيا، حين أنكروا البعث، والثانية من كلام الله تعالى، حين جازاهم على كفرهم وإنكارهم البعث فقال: ﴿.. مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾﴾ [الإسراء: ٩٧] الآية.

وقال هنا: ﴿ذلك جزاؤهم بأنهم كفروا بآياتنا﴾ وفى الكهف: ﴿ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا﴾ بزيادة ﴿جهنم﴾ اكتفى هنا بالإشارة ولتقدم ذكر جهنم وهى ـ وأن تقدمت فى الكهف ـ لم يكتف بالإشارة بل جمع بينها وبين العبارة لاقتران الوعيد بالوعد بالجنات فى قوله: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا﴾ ليكون الوعد والوعيد ظاهرين للمستمعين.

٥٧٧ ـ قوله تعالى: ﴿.. وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾﴾.

إن قلت: لم خص «داود» بالذكر؟

---

٥٧٦ ـ راجع التفسير الكبير ٢٠/٢٢٦.

قلت: لأنه اجتمع له ما لم يجتمع لغيره من الأنبياء، وهو الرسالة، والكتابة، والخطابة، والخلافة والملك والقضاء، فى زمن واحد، قال تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ ۝٢٠﴾ [ص: ٢٠] وقال ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ .. ۝٢٦﴾ [ص: ٢٦].

فإن قلت: لم نكر الزبور هنا، وعرفه فى قوله: ﴿ولقد كتبنا فى الزبور﴾؟

قلت: يجوز أن يكون الزبور من الأعلام التى يستعمل بـ «أل» وبدونها كالعباس، والفضل.

أو نكرة هنا بمعنى آتيناه بعض الزبور وهى الكتب، أو أراد به ما فيه ذكر النبى ﷺ من الزبور، فسمى بعض الزبور زبورا، كما سمى بعض القرآن قرآنا فى قوله تعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ .. ۝١٠٦﴾.

٥٧٨ ـ قوله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ .. ۝٥٦﴾ قاله هنا بالضمير لقرب مرجعه وهو الرب فى قوله: ﴿وربك أعلم﴾. وقال فى سبأ ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله﴾ بالاسم الظاهر، لبعد مرجع الضمير لو أتى به، والمراد فيهما: قل ادعوا الذين زعمتموهم آلهة من دون الله أى غيره لينفعوكم بزعمكم.

فإن قلت: كيف قال ﴿من دونه﴾ مع أن المشركين ما زعموا غير الله إلهًا دون الله، بل مع الله على وجه الشركة؟.

قلت: فى الكلام تقديم وتأخير، تقديره: قل ادعوا الذين من دون الله زعمتم أنهم شركاء.

٥٧٩ ـ قوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَن كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ .. ۝٥٩﴾، أى وما منعنا أن نرسل رسولاً بالآيات التى اقترحها أهل مكة على النبى ﷺ، كجعل الصفا ذهبًا، وإزالة جبال مكة[١] ليزرعوا، إلا تكذيب الأولين بها أى بآيات اقترحوها على رسلهم لما أرسلناهم فأهلكناهم،

---

٥٧٨ ـ راجع تفسير القرطبى ١٥/ ٢٨٦.

«١» فى المصورة: وإزالة مكة وقد سقط منها لفظ «جبال» وما أثبتناه فى مخطوطة الجامعة نقلاً عن المطبوعة.

ولو أرسلنا إلى هؤلاء لكذبوا بها واستحقوا الإهلاك، وقد حكمنا بإمهالهم ليتم أمر النبى ﷺ، ولأنا لا نعجل بالعقوبة.

فإن قلت: كيف قال: ﴿وما منعنا﴾ الخ مع أنه تعالى لا يمنعه عن إرادته مانع؟

قلت: المنع هنا مجاز عن الترك، كأنه قال: وما كان سبب ترك الإرسال بالآيات، إلا تكذيب الأولين.

٥٨٠ ـ قوله تعالى: ﴿ .. وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً .. ﴿٥٩﴾ ﴾ أى دالة كما يقال: الدليل مرشد وهاد. فإن قلت: ما وجه ارتباط هذا بما قبله؟

قلت: لما أخبر[1] بأن الأولين كذبوا بالآيات المقترحة، عين منها «ناقة صالح» لأن آثار ديارهم الهالكة باقية فى بلاد العرب، قريبة من حدودهم، يبصرها صادرهم وواردهم.

٥٨١ ـ قوله تعالى: ﴿ .. فَظَلَمُوا بِهَا .. ﴿٥٩﴾ ﴾ أى الناقة.

الباء ليست للتعدية، لأن الظلم يتعدى بنفسه، فالمعنى: فظلموا أنفسهم بقتلها أى بسببه.

٥٨٢ ـ قوله تعالى: ﴿ .. وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلاَّ تَخْوِيفاً ﴿٥٩﴾ ﴾.

إن قلت: هذا يدل على الإرسال بالآيات، وقوله قبل ﴿وما منعنا أن نرسل بالآيات﴾ يدل على عدمه؟

قلت: المراد بالآيات هنا: العبر، والدلالات، وفيما قبل: الآيات المقترحة.

٥٨٣ ـ قوله تعالى: ﴿ .. وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ .. ﴿٦٠﴾ ﴾.

إن قلت: ليس فى القرآن لعن شجرة؟

قلت: فيه إضمار تقديره: والشجرة الملعونة المذكورة فى القرآن.

أو معناه: الملعون أكلوها وهم الكفرة، أو الملعونة بمعنى المذمومة، وهى مذمومة فى القرآن بقوله تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الأَثِيمِ﴾

[1] كذا فى الأصل «المصورة الأسبانية».

[الدخان:٤٣ ،٤٤] وبقوله تعالى: ﴿طلعها كأنه رءوس الشياطين﴾ أو الملعونة بمعنى المبعدة، لأن اللعن لغة: الطرد والابعاد. وهذه الشجرة مبعدة عن مكان رحمة الله تعالى وهو الجنة، لأنها فى قعر جهنم، وهذا الإبعاد مذكور فى القرآن بقوله تعالى: ﴿إنها شجرة تخرج فى أصل الجحيم﴾.

٥٨٤ ـ قوله تعالى: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ .. ﴿٦٢﴾﴾ قاله هنا بتكرير الخطاب كنظيره فى ﴿أرأيتكم﴾«١» فى الأنعام، لدلالته على أن المخاطب به أمر عظيم، وهو هنا كذلك، لأنه ـ لعنه الله ـ ضمن بقوله: ﴿لاحتنكن ذريته إلا قليلا﴾ إغواء أكثرهم.

٥٨٥ ـ قوله تعالى: ﴿.. فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُوْلَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً ﴿٧١﴾﴾.

إن قلت: لما خصهم بذلك، مع أن أصحاب الشمال كذلك؟

قلت: لأن أصحاب الشمال، إذا نظروا إلى ما فى كتابهم من الفضائح والقبائح«٢» أخذهم من الحياء والخجل والخوف، ما يوجب انقباض أنفسهم عن إقامة الحروف، فتكون قراءتهم كلا قراءة، وأمر أصحاب اليمين على العكس.

وأما قوله تعالى: ﴿ولا يظلمون فتيلا﴾ فعائد إلى كل الناس، لا إلى أصحاب اليمين خاصة، وإنما خصهم بذلك لأنهم يعلمون أنهم لا يظلمون، ويعتقدون ذلك بخلاف أصحاب الشمال، فإنهم يعتقدون أو يظنون أنهم يظلمون.

٥٨٦ ـ قوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى .. ﴿٩٤﴾﴾.

قال ذلك هنا. وقال فى الكهف«٥٥» بزيادة ﴿ويستغفروا ربهم﴾ لأن المعنى هنا: ما منعهم عن الإيمان بمحمد، إلا قولهم: ﴿أبعث الله بشراً

---

٥٨٤ ـ انظر البرهان ٢٧٨.

«١» فى قوله تعالى: ﴿قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة﴾ آية (٤٠).

«٢» فى نسخة: «الفتايح» وهو تحريف خطير من الناسخ.

٥٨٦ ـ انظر النووى ٢٤٠.

رسولا﴾؟ هلا بعث ملكا!! وجهلوا أن التجانس يورث التوانس، والتغاير يورث التنافر. والمعنى فى الكهف: ما منعهم عن الإيمان والاستغفار، إلا اتيان سنة الأولين، فزاد فيها ﴿ويستغفروا ربهم﴾ لاتصاله بقوله ﴿سنة الأولين﴾ وهم قوم نوح، وهود، وصالح، وشعيب، حيث أمروا بالاستغفار.

فنوح قال: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً ﴿١٠﴾﴾ [نوح: ١٠] وهود قال: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴿٦١﴾﴾ [هود: ٦١] وشعيب قال: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾﴾ [هود: ٩٠].

٥٨٧ ـ قوله تعالى: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً ﴿٩٦﴾﴾ قال ذلك هنا بتقديم ﴿شهيدا﴾ على ﴿بينى وبينكم﴾ وقاله فى «العنكبوت: ٥٢» بالعكس. . لأن ما هنا جاء على الأصل من تقديم ألمفعول، وما فى العنكبوت جاء على خلاف الأصل، ليتصل وصف الشهيد به، وهو قوله تعالى: ﴿يعلم ما فى السموات و الأرض﴾.

٥٨٨ ـ قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ .. ﴿٩٩﴾﴾ قال ذلك هنا بلفظ ﴿قادر﴾ وفى «الأحقاف: ٣٣» بلفظ ﴿بقادر﴾ وفى يس ﴿أوليس الذى خلق السموات والأرض بقادر﴾. لأن ما هنا خبر «إن»، وما فى يس خبر «ليس» وخبرها تدخله الباء، وما فى الأحقاف خبر «إن» وكان القياس عدم دخول الباء فيه، لكنها دخلته تشبيهًا لـ «لم» بـ «ليس» فى النفى.

٥٨٩ ـ قوله تعالى: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَؤُلاءِ إِلاَّ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ بَصَائِرَ .. ﴿١٠٢﴾﴾.

إن قلت: كيف قال موسى عليه السلام لفرعون ذلك، مع أن فرعون لم يعلم ذلك، لأنه لو علم ذلك لم يقل لموسى عليه السلام «مسحورا» بل كان يؤمن به؟!

قلت: معناه: لقد علمت لو نظرت نظرًا صحيحًا، ولكنك معاند مكابر، تخشى فوات دعوى الألوهية لو صدقتنى.

٥٩٠ ـ قوله تعالى: ﴿ .. وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ ﴾.

أى هالكًا، أو ملعونًا، أو خاسرًا.

فإن قلت: كيف قال له ﴿لأظنك﴾ مع أنه يعلم أنه مثبور؟!

قلت: الظن هنا بمعنى العلم، كما فى قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاقُوا رَبِّهِمْ ..﴾ [البقرة:٤٦] وإنما عبر بالظن، ليقابل قول فرعون له: ﴿لأظنك مسحورا﴾ كأنه قال: «إذا ظننتنى مسحورا فأنا أظنك مثبورا».

٥٩١ ـ قوله تعالى: ﴿ .. يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ ﴾ الآية.

كرره لأن الأول واقع فى حال السجود، والثانى فى حال البكاء، أو الأول واقع فى قراءة القرآن، أو سماعه، والثانى فى غير ذلك.

« تمت سورة الإسراء »

****

سورة الكهف

٥٩٢ ـ قوله تعالى: ﴿ .. وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا ﴿١﴾ ﴾.

إن قلت: ما فائدة ذكره ﴿قيمًا﴾ بعد قوله ﴿ولم يجعل له عوجا﴾ لأن نفى العوج يستلزم الإقامة؟

قلت: فائدته التأكيد فى وصف كتاب الله العظيم، أو معنى «قيما» أنه قائم على الكتب السماوية كلها، مصدقة لها، ناسخًا لبعض شرائعها.

ونصب «قيمًا» بمقدر تقديره: لكن جعله قيما.

٥٩٣ ـ قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ﴿١٢﴾ ﴾.

أى لنعلمه علم ظهور ومشاهدة.

٥٩٤ ـ قوله تعالى: ﴿ .. وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ .. ﴿٢٢﴾ ﴾.

﴿وثامنهم﴾ الواو فيه زائدة، وقيل: مستأنفة، وقيل: واو الثمانية كما فى قوله تعالى ﴿وفتحت أبوابها﴾ «الزمر:٧٣» وقال الزمخشرى وغيره: هى الواو التى تدخل على الجملة الواقعة صفة للنكرة، كما تدخل على الصفة الواقعة حالاً فى المعرفة، تقول: جاءنى رجل ومعه آخر، ومررت بزيد وبيده سيف، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلاَّ وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ﴾ «الحجر: ٤».

وفائدتها توكيد اتصال الصفة بالموصوف، والدلالة على أن اتصالها أمر ثابت مستقر.

٥٩٥ ـ قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ .. ﴿٢٧﴾ ﴾.

---

٥٩٤ ـ انظر النووى ٢٤٥، والبرهان ٢٨٣.

أى من البشر، وإلا فالله يبدلها، قال تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا ..﴾ «البقرة: ١٠٦» وقال: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ ..﴾ «النحل: ١٠١» الآية.

٥٩٦ - قوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ .. ﴿٢٩﴾﴾.

إن قلت: فى هذا إباحة الكفر؟

قلت: لا، لأن هذا إنما ذكر تهديدًا لهم، بناء على أن الضمير فى «شاء» لـ«من» وعليه الجمهور. أو المعنى: فمن شاء الله إيمانه آمن، ومن شاء كفره كفر، بناء على أن الضمير فيه «لله» كما قاله ابن عباس رضى الله عنهما.

٥٩٧ - قوله تعالى: ﴿.. يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ .. ﴿٣١﴾﴾ الآية.

إن قلت: لبسها فى الدنيا حرام على الرجال، فكيف وعد الله بها المؤمنين فى الجنة؟

قلت: عادة ملوك الفرس والروم، لبس الأساور والتيجان، دون من عداهم، فلذلك وعد الله المؤمنين بها لأنهم ملوك الآخرة.

٥٩٨ - قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ .. ﴿٣٥﴾﴾ الآية.

أفردها بعد تثنيتها ليدل على الحصر، أى لا جنة له غيرها، ولا نصيب له فى جنة غيره، ولم يقصد جنة معينة من الجنتين، بل جنس ما كان له فى الدنيا.

٥٩٩ - قوله تعالى: ﴿.. وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾﴾.

إن قلت: كيف قال الكافر ذلك وهو ينكر البعث؟

قلت: معناه: ولئن رددت إلى ربى على زعمك، ليعطينى هناك خيرًا منها، ونظيره قوله تعالى فى فصلت: ﴿ولئن رجعت إلى ربى إن لى عنده للحسنى﴾ وعبر هنا بـ «رددت» وثم بـ «رجعت» توسعة فى التعبير عن الشىء بمتساويين.

---

٥٩٦ - راجع الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ١٠/٣٩٥.
٥٩٩ - انظر النووى ٢٤٧، والتفسير الكبير ٢١/١٢٦.

٦٠٠ ـ قوله تعالى: ﴿ .. إن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ منكَ مَالاً وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ ﴾.

فائدة ذكر «أنا» فى مثل ذلك، حصر الخبر فى المبتدأ، كما فى قوله تعالى: ﴿إنى أنا ربك» وقوله: ﴿إنى أنا الله﴾.

٦٠١ ـ قوله تعالى: ﴿ هُنَالِكَ الْوَلايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾ ﴾.

﴿خير﴾ هنا ليست على بابها، إذ غير الله لا يثيب، ولا تحمد طاعته فى العاقبة، ليكون الله خيرًا منه ثوابًا وعقبا، أو ذلك على سبيل الفرض والتقدير.

٦٠٢ ـ قوله تعالى: ﴿ .. وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ ﴾.

أتى به ماضيًا، مع أن ما قبله مضارعين وهما: ﴿ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة﴾ ليدل على أن حشرهم، كان قبل السير والبروز، ليعاينوا تلك الأهوال والعظائم، كأنه قال: وحشرناهم قبل ذلك.

٦٠٣ ـ قوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا .. ﴿٤٩﴾ ﴾.

إن قلت: كيف قال ذلك، مع أن الصغائر تكفر باجتناب الكبائر، لقوله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ..﴾ [النساء: ٣١]؟

قلت: الآية الأولى فى حق الكافرين، بدليل قوله ﴿فترى المجرمين﴾ والثانية فى حق المؤمنين لأن اجتناب الكبائر لا يتحقق مع الكفر.

أو يقال: الأولى فى حق المؤمنين أيضًا، لكن يجوز أن يكتب الصغائر، ليشاهدها العبد يوم القيامة، ثم يكفر عنه فيعلم قدر نعمة العفو عليه.

٦٠٤ ـ قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ .. ﴿٥٠﴾ ﴾.

إن قلت: هذا يدل على أن «إبليس» من الجن، وهو مناف لقوله تعالى

---

٦٠٤ ـ راجع تفسير الطبرى ١٥/ ١٧٠.

فى البقرة: ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس﴾ فإنه يدل على أنه من الملائكة؟

قلت: فى ذلك قولان: أحدهما: أنه من الجن لظاهر هذه الآية، ولأن له ذرية كفرة، بل أكفر الكفرة. بخلاف الملائكة لا ذرية لهم، ولا يعصون الله ما أمرهم، لأنهم عقول مجردة لا شهوة لهم، ولا معصية إلا عن شهوة، فالاستثناء فى تلك الآية منقطع.

وثانيهما: وهو المختار أنه من الملائكة، قبل أن يعصى الله تعالى، فلما عصاه مسخه شيطانًا، وروى ذلك عن ابن عباس، كما روى عنه أيضًا أنه كان من خزان الجنة، وهم جماعة من الملائكة يسمون الجن، فـ «كان» بمعنى صار. أو المعنى كان فى سابق علمه تعالى، أو من الجن الذين هم من الملائكة، فالإستثناء متصل، ولا منافاة بين الآيتين.

٦٠٥ ـ قوله تعالى: ﴿ .. أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ ..(٥٠)﴾.

إن قلت: كيف قال ذلك، مع أن الشيطان وذريته، ليسوا أولياء بل أعداء، لأن الأولياء هم الأصدقاء؟

قلت: المراد بالآية هنا، اتباع الناس لهم فيما يأمرونهم به من المعاصى، فالموالاة مجاز عن هذا، لأنه من لوازمها.

٦٠٦ ـ قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا ..(٥٧)﴾.

قاله هنا بالفاء، الدالة على التعقيب، لأن ما هنا فى الاحياء من الكفار، فإنهم ذكروا فأعرضوا عقب ما ذكروا، وقاله فى «السجدة: ٢٢» بـ «ثم» الدالة على التراخى، لأن ما هناك فى الأموات من الكفار، فإنهم ذكروا مرة بعد أخرى، ثم أعرضوا بالموت فلم يؤمنوا.

٦٠٧ ـ قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا .. (٦١)﴾ الآية.

---

٦٠٧ ـ انظر القرطبى ١١/١١، والطبرى ١٥/١٧٦، ومتشابه القرآن ٤٤٤.

إن قلت: كيف قال ذلك، مع أن الناس «يوشع» وحده؟

قلت: نسبة النسيان إليهما مجاز، أو المراد أحدهما، كنظيره فى قوله تعالى: ﴿يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان﴾.

وقيل: «موسى» بفقده الحوت، و«يوشع» أن يخبره بخبره.

٦٠٨ ـ قوله تعالى: ﴿ .. حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا .. ﴿٧١﴾ ﴾ الآية قاله بغير فاء، وقال بعد: ﴿حتى إذا لقيا غلامًا فقتله﴾ بالفاء، لأنه جعل خرقها جزاء الشرط، فلم يحتج للفاء، وجعل قتل الغلام من جملة الشرط، فعطفه عليه بالفاء، وجزاء الشرط قوله: ﴿قال أقتلت نفسًا زكية بغير نفس﴾.

٦٠٩ ـ قوله تعالى: ﴿ .. لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٧١﴾ ﴾.

قاله بفظ «الأمر» لأنه للعجب كما يكون فى الخير، يكون فى الشر، وقاله بعد فى قتل الغلام بلفظ «نكرا» لأنه لا يكون إلا فى الشر، وقتل النفس أعظم من مجرد خرق السفينة، فناسب كل ما هو فيه، ولذلك قال فى خرق السفينة ﴿ألم أقل إنك﴾ بحذف «لك» وفى قتل الغلام ﴿ألم أقل لك أنك﴾ بذكره، ولأن فى ذكره قصد زيادة المواجهة، بالعتاب على ترك الوصية مرة ثانية.

٦١٠ ـ قوله تعالى: ﴿ .. سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ ﴾ جاء بالأول بالتاء «تستطيع» على الأصل، وفى الثانى «تسطع» بحذفها تخفيفًا لأنه الفرع، وعكس ذلك فى قوله ﴿فما اسطاعوا له نقبا﴾ لأن مفعول الأول اشتمل على حرف، وفعل وفاعل، ومفعول، فناسبه الحذف تخفيفًا، بخلاف مفعول الثانى فإنه اسم واحد، وهو قوله «نقبا» فناسبه البقاء على الأصل.

٦١١ ـ قوله تعالى: ﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا .. ﴿٧٩﴾ ﴾ قاله الخضر فى خرق السفينة، وقال فى قتل الغلام ﴿فأردنا

---

٦١١ ـ انظر النووى ٢٥٣، والفخر الرازى ٢١/ ١٥٩، والقرطبى ١١/ ٣٤، وجامع البيان للطبرى ١٦/ ٢.

أن يبدلهما ربهما خيرًا منه﴾ وفى إقامة جدار اليتيمين ﴿فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما﴾.

لأن الأول فى الظاهر إفساد محض، فأسنده إلى نفسه.

وفى الثالث إنعام محض، فأسنده إلى ربه تعالى.

وفى الثانى إفساد من حيث القتل وإنعام من حيث التبديل فأسنده إلى ربه ونفسه، كذا قيل فى الأخيرة.

والأوجه فيه ما قيل: أنه عبر عن نفسه فيه بلفظ الجمع، تنبيهًا على أنه من العظام فى علوم الحكمة، فلم يقدم على القتل إلا لحكمة عالية.

٦١٢ - قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ.. ﴿٨٦﴾﴾.

إن قلت: الشمس فى السماء الرابعة، وهى بقدر كرة الأرض مائة وستين، أو وخمسين، أو وعشرين مرة، فكيف تسعها عين فى الأرض تغرب فيها؟

قلت: المراد وجدها فى ظنه، كما يرى راكب البحر، الشمس طالعة وغاربة فيه، فذو القرنين «انتهى إلى آخر البنيان فى جهة الغرب، فوجد عينًا واسعة، فظن أن الشمس تغرب فيها».

فإن قلت: «ذو القرنين» كان نبيًا أو تقيًا حكيمًا، فكيف خفى عليه هذا حتى وقع فى ظن ما يستحيل وقوعه.

قلت: الأنبياء والحكماء لا يبعد أن يقع منهم مثل ذلك، ألا ترى إلى ظن موسى فيما أنكره على الخضر، وأيضًا فالله قادر على تصغير جرم الشمس، وتوسيع العين وكرة الأرض بحيث تسع عين الماء عين الشمس، فلم لا يجوز ذلك، ولم يعلم به لقصور عقولنا عن الإحاطة بذلك!!

٦١٤ - قوله تعالى: ﴿ .. فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴿١٠٥﴾﴾.

أى قدرًا لحقارتهم، وليس المراد فلا ننصب لهم ميزانًا لأن الميزان إنما ينصب ليوزن به الحسنات، فى مقابلته السيئات، والكافر لا حسنة له، وأما قوله تعالى: ﴿وأما من خفت موازينه فأمه هاوية﴾ فهو فيمن غلب سيئاته على حسناته من المؤمنين، فإنه يدخل النار لكن لا يخلد فيها.

« تمت سورة الكهف »

****

سورة مريم

٦١٤ ـ قوله تعالى: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ .. ﴿٦﴾﴾ أى يرث العلم والنبوة لا المال، لخبر «نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة» وورث يتعدى بنفسه وبـ «من» وقد جمع بينهما فى الآية، وقيل: «من» للتبعيض لا للتعددية، لأن آل يعقوب لم يكونوا كلهم أنبياء ولا علماء، وعلى الأول المراد من «آل يعقوب» الأنبياء، لأنهم الذين لا يورثون إلا العلم والنبوة.

٦١٥ ـ قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا.. ﴿٨﴾﴾ الآية.

إن قلت: كيف استبعد زكريا ذلك وأنكره؟

قلت: لم يفعله إنكارًا، بل ليجاب بما أجيب به عن طلبه الولد، وهو قوله تعالى: ﴿يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى﴾ فيزداد الموقنون إيقانًا، ويرتدع المبطلون.

أو قاله: تعجب فرح وسرور، لا تعجب إنكار واستبعاد، ويعقوب المذكور هو أبو «يوسف» وقيل: هو أخو زكريا، وقيل: هو أخو عمران أبى مريم عليه السلام.

٦١٦ ـ قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً .. ﴿١٠﴾﴾ أى علامة.

فإن قلت: كيف طلب العلامة على وجود الولد، بعدما بشره الله تعالى؟

قلت: ليبادر إلى الشكر، ويتعجل السرور، إذ الحمل لا يظهر فى أول العلوق، فأراد معرفته أول وجوده، فجعل الله آية وجوده عجزه عن كلام الناس.

---

٦١٥ ـ تفسير القرطبى ١٦/٣٩.
٦١٦ ـ القرطبى ١١/٨٥.

٦١٧ ـ قوله تعالى: ﴿ .. وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ ﴾.

قال ذلك هنا، وقال بعده ﴿ولم يجعلنى جبارًا شقيا﴾ لأن الأول فى حق «يحيى» والثانى فى حق «عيسى» عليهما السلام.

٦١٨ ـ قوله تعالى: ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾ ﴾.

قاله هنا: فى قصة «يحيى» منكرًا، وقال بعد فى قصة «عيسى»: ﴿والسلام علىّ يوم ولدت﴾ معرفًا، لأن الأول من الله والقليل منه كثير، والثانى من عيسى و«ال» للاستغراق أو للعهد كما فى قوله تعالى: ﴿كما أرسلنا إلى فرعون رسولا. فعصى فرعون الرسول﴾ أى ذلك السلام الموجه إلى يحيى موجه إلىّ.

٦١٩ ـ قوله تعالى: ﴿ .. فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا .. ﴿١٧﴾ ﴾ أى جبريل.

فإن قلت: كيف قال ذلك، مع اتفاق العلماء على أن الوحى لم ينزل على امرأة، ولهذا قالوا فى قوله: ﴿وأوحينا إلى أم موسى﴾ أنه وحى إلهام، وقيل: وحى منام.

قلت: لا نسلم أن الوحى لم ينزل على امرأة، فقد قال مقاتل فى قوله تعالى: ﴿وأوحينا إلى أم موسى﴾ أنه كان وحيا بواسطة جبريل، والمتفق عليه إنما هو وحى الرسالة، لا مطلق الوحى، والوحى هنا إنما هو ببشارة الولد لا بالرسالة.

٦٢٠ ـ قوله تعالى: ﴿ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ ﴾.

إن قلت: كيف قالت مريم ذلك، مع أنه إنما يتعوذ من الفاسق لا من التقى؟

قلت: معناه إن كنت ممن يتقى الله، فأنت تنتهى عنى بتعوذى بالله منك.

وقيل: ظنته رجلاً اسمه «تقى» ـ وكان فاجرًا ـ فتعوذت منه.

---

٦١٧ ـ متشابه القرآن ٤٥١، والبرهان وروح المعانى للألوسى ١٦/٧٢.

٦١٩ ـ تفسير القرطبى ١٦/٤٦.

٦٢١ ـ قوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لأَهَبَ لَكِ غُلامًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ ﴾ بتقدير إنما أنا رسول ربك، يقول لك، أرسلت رسولاً إليك لأهب لك، فيكون حكاية عن الله لا من قول جبريل، وقرىء ﴿ليهب لك﴾ أى ليهب ربك لك غلامًا، أو بإسناد الهبة إلى جبريل مجازًا، أى لأكون سببًا فى هبة الولد، بواسطة نفخى فى درعها، فهو من قول جبريل.

٦٢٢ ـ قوله تعالى: ﴿ .. وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ ﴾ لم تقل: بغية، لما قاله ابن الانبارى من أن «بغيا» غالب فى النساء، وقل ما يقول العرب: رجل بغى، فتركوا التاء فيه إجراء له مجرى حائض، وعاقر.

أو هو: «فعيل» بمعنى فاعل، فتركوا التاء فيه كما فى قوله تعالى: ﴿إن رحمة الله قريب من المحسنين﴾ . . أو لموافقة الفواصل.

٦٢٣ ـ قوله تعالى: ﴿ .. فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ ﴾ مرتب على مقدر بينه وبين الشرط تقديره: فإما ترين من البشر أحدًا، فيسألك الكلام، فقولى إنى نذرت الآية، وبهذا سقط ما قيل من أن قولها ﴿فلن أكلم اليوم إنسيا﴾ كلام بعد النذر، إذ هو بهذا التقدير من تمام النذر لا بعده.

٦٢٤ ـ قوله تعالى: ﴿ .. وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ ﴾.

إن قلت: كيف أمر بذلك مع أنه كان طفلاً، وخطاب التكليف إنما يكون بعد البلوغ والتمييز؟

قلت: ذلك لا يدل على أنه أوصاه بأداء ذلك فى الحال، بل أوصاه فى الحال بالأداء، بعد البلوغ والتمييز، أو أن الله صيره عقب ولادته بالغًا مميزًا، بدليل قوله تعالى: ﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم﴾ فكما أنه تعالى خلق آدم تامًا كاملاً دفعة، فكذا القول فى «عيسى» عليهما السلام، وهو أقرب إلى ظاهر قوله ﴿ما دمت حيا﴾، فما أوصاه بذلك إلا بعد بلوغه وتمييزه.

فإن قلت: الزكاة إنما تجب على الأغنياء، وعيسى لم يزل فقيرًا، لابسًا كساء مدة مكثه فى الأرض، مع علمه تعالى بحاله، فكيف أوصاه بها؟

قلت المراد: بالزكاة هنا تزكية النفس وتطهيرها من المعاصى، لا زكاة المال.

٦٢٥ ـ قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ ﴾.

قال ذلك هنا، وقال فى الزخرف: ﴿وإن الله هو ربى وربكم﴾ بزيادة «هو» لأنه تعالى ذكر قصة عيسى عليه السلام هنا مستوفاة، فأغنى ذلك عن التأكيد، بخلافه ثم، ولذلك قال هنا: ﴿فويل للذين كفروا﴾ وفى الزخرف ﴿فويل للذين ظلموا﴾ إذ الكفر أشد قبحًا من الظلم، فكان وصف من ذكر بالكفر، فى المحل الذى استوفى فيه قصة عيسى، أنسب بالمحل الذى أجمل فيه قصته.

وقال هنا: ﴿أسمع بهم وأبصر﴾ وعكس فى «الكهف:٢٦» لأن معناه أنه تعالى ذكر قصص الأنبياء، فاسمعها وتدبرها، واستعمل النظر فيها ببصيرتك، ومعناه فى الكهف أنه تعالى له غيب السموات والأرض، فاجعل بصيرتك فى الفكر فى مخلوقاته، وتدبرها بحيث تصل إلى معرفته، واسمع لصفاته ووحده، فناسب تقديم السمع هنا، والبصر ثم.

٦٢٦ ـ قوله تعالى: ﴿قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ ﴾.

أن قلت: الاستغفار للكافر حرام، فكيف وعد إبراهيم عليه السلام أباه، بالاستغفار له مع أنه كافر:

قلت: معناه سأسأل الله لك توبة، تنال بها مغفرته يعنى الإسلام، والاستغفار للكافر بهذا الوجه جائز، كأن يقول: اللهم وفقه للإسلام، أو تب عليه واهده. أو أنه وعده ذلك قبل تحريم الاستغفار للكافر.

٦٢٧ ـ قوله تعالى: ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ .. ﴿٥٢﴾ ﴾ أى الذى يلى يمين موسى، حين أقبل من مدين.

٦٢٨ ـ قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾﴾.

إن قلت: هارون كان أكبر من موسى، فما معنى هبته له؟

قلت: معناه أن الله تعالى أنعم على موسى عليه السلام، بإجابته دعوته فيه، حيث قال: ﴿واجعل لى وزيرا من أهلى. هارون أخى﴾ الآية، فمعنى هبته له جعله عضدا له وناصرًا ومعينًا.

٦٢٩ ـ قوله تعالى: ﴿إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴿٦٠﴾﴾.

قاله هنا: وقال فى الفرقان: ﴿وعمل عملاً صالحًا﴾ لأنه تعالى أوجز هنا فى ذكر المعاصى، فأوجز فى التوبة، وأطال ثم فأطال.

٦٣٠ ـ قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾﴾.

إن قلت: ما فائدة ذكر العدد بعد الإحصاء، مع أن الإحصاء هو العد أو الحصر، والحصر لا يكون إلا بعد معرفة العدد؟

قلت: له معنى ثالث، وهو العلم كقوله تعالى: ﴿وأحصى كل شىء عددا﴾ أى علم عدد كل شىء، فالمعنى هنا: لقد علمهم وعدهم عدا.

﴿ تمت سورة مريم ﴾

****

---

٦٢٩ ـ انظر القرطبى ١١/١٢٦، والبرهان ٢٩٤.

سورة طه

٦٣١ ـ قوله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ﴿٩﴾ إِذْ رَأَىٰ نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا .. ﴿١٠﴾﴾ الآية.

إن قلت: كيف حكى الله تعالى قول موسى عليه السلام لأهله، عند رؤية النار هنا، وفى «النمل:٨»، و«القصص: ٣٠» بعبارات مختلفة، وهذه القصة لم تقع إلا مرة واحدة، فكيف اختلفت عبارة موسى فيها؟

قلت: قد مر فى الأعراف فى قصة موسى عليه السلام، مثل هذا السؤال، مع جوابه، وجوابه ثم يأتى هنا.

٦٣٢ ـ قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَىٰ ﴿١١﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ .. ﴿١٢﴾﴾ الآية.

قاله هنا وفى القصص بلفظ «أتى» وفى النمل بلفظ «جاء» لأنهما وإن كانا بمعنى واحد، غاير بينهما لفظًا، توسعة فى التعبير عن الشىء بمتساويين.

وخص «أتى» بهذه السورة لكثرة التعبير بالاتيان فيها، وجاء «بالنمل» لكثرة التعبير بالمجىء فيها، والحق ما فى القصص بما فى «طه» لفور ما بينهما، أى من حيث قوله هنا ﴿يا موسى إنى أنا ربك﴾ وقوله فى القصص ﴿يا موسى إنى أنا الله﴾ وان اختلف محلهما بخلاف ذلك فى النمل.

٦٣٣ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾﴾.

قاله هنا: وفى «الحج:١٧» بحذف لام التأكيد، وقاله فى «غافر:٥٩» بإثباتها، لأنها إنما تزاد لتأكيد الخبر، وتأكيده إنما يحتاج إليه، إذا كان المخبر به شاكًا فى الخبر، والمخاطبون فى «غافر» هم الكفار، فأكد فيها باللام بخلاف تينك.

---

٦٣١ ـ انظر البرهان ٢٩٥.

٦٣٤ ـ قوله تعالى: ﴿ فَلا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لاَّ يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾ ﴾.

ضمير «عنها» و«بها» للساعة، والمنهى ظاهرًا من لا يؤمن بها، وحقيقة موسى عليه السلام، إذ المقصود نهى موسى عن التكذيب بالساعة.

٦٣٥ ـ قوله تعالى: ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ ﴿١٧﴾ ﴾.

إن قلت: ما فائدة سؤاله تعالى لموسى، مع أنه أعلم بما فى يده؟

قلت: فائدته تأنيسه، وتخفيف ما حصل عنده من دهشة الخطاب، وهيبة الإجلال، وقت التكلم معه، أو اعترافه بكونها عصا، وازدياد علمه بذلك فلا يعترضه شك إذا قلبها الله ثعبانًا، إنها كانت عصى ثم انقلبت ثعبانًا بقدرة الله تعالى.

٦٣٦ ـ قوله تعالى: ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي..﴿١٨﴾ ﴾ الآية.

هو جواب موسى ـ عليه السلام.

فإن قلت: لم زاد عليه ﴿أتوكأ عليها وأهش بها على غنمى ولى فيها مآرب أخرى﴾؟

قلت: قال ابن عباس رضى الله عنهما: أنه سئل سؤالاً ثانيًا: ما تصنع بها؟ فأجاب بذلك. و ذكر ذلك خوفًا من أن يؤمر بإلقائها، كما أمر بالقاء النعلين، أو لئلا ينسب إلى التعب فى حملها، مع المقام مقام البسط، للتلذذ بالكلام مع الرب تعالى، ولهذا بسط فى نفس الجواب، إذ كان يكفى فيه أن يقول: عصا.

٦٣٧ ـ قوله تعالى: ﴿ وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ ﴾ جعل هنا الجناح مضمومًا إليه، وفى القصص مضمومًا فى قوله: ﴿واضمم إليك جناحك﴾ لأن المراد به هنا، ما بين العضد إلى الأبط من اليد اليسرى، وبه ثم ذلك من اليد اليمنى، فلا تنافى.

٦٣٧ ـ راجع جامع البيان ١٦/١١٩، والقرطبى ١١/١٩٢.

٦٣٨ ـ قوله تعالى: ﴿ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ ﴾.

قال ذلك هنا، وقال فى الشعراء ﴿وإذ نادى ربك موسى أن إئت القوم الظالمين. قوم فرعون﴾ وفى القصص: ﴿فذانك برهانان من ربك إلى فرعون وملاءه﴾.

اقتصر فى «طه» على فرعون، لأنه الأصل بالنسبة إلى قومه، مع سبق طه. واكتفى فى «الشعراء» بذكره فى الاضافة«١»، عن ذكره مفردًا.

وجمع بينهما: فى «القصص» ليوافق قوله: ﴿فذانك برهانان﴾ فى التعدد.

٦٣٩ ـ قوله تعالى: ﴿ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾ ﴾ قال ذلك هنا، وقال فى «الشعراء»: ﴿ولا ينطق لسانى﴾. وفى «القصص» ﴿وأخى هارون هو أفصح منى لسانا﴾. صرح: بعقدة اللسان فى «طه» لسبقها وكنى عنها فى الشعراء بما يقرب من الصريح، وفى القصص بكناية مبهمة، لدلالة تلك الكناية عليها.

٦٤٠ ـ قوله تعالى: ﴿ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ﴿٣٨﴾ ﴾.

إن قلت: هذا مجمل فما فائدته؟

قلت: فائدته الإشارة إلى أنه ليس كل الأمور، مما يوحى إلى النساء، كالنبوة ونحوها، أو التعظيم والتفخيم أولاً، كما فى قوله تعالى: ﴿فغشاها ما غشى﴾ والبيان ثانيًا بقوله: ﴿أن اقذفيه فى التابوت فاقذفيه فى اليم﴾.

٦٤١ ـ قوله تعالى: ﴿ .. فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ .. ﴿٤٠﴾ ﴾ الآية.

قاله هنا بلفظ الرجع، وقال فى «القصص»: ﴿فرددناه﴾ بلفظ الرد، لأنهما وإن اتحدا معنى، لكن خص الرجع بما هنا، ليقاوم ثقل الرجع، خفة فتح الكاف، والرد بالقصص لتقاوم خفة الرد ثقل ضمة الهاء، وليوافق قوله: ﴿إنا رادوه إليك﴾.

«١» أشار إلى قوله تعالى فى الشعراء ﴿قوم فرعون﴾ فقد جاء بالإضافة.

٦٤٠ ـ راجع تفسير «تأويل مشكل القرآن» ٣٧٣.

٦٤١ ـ انظر التفسير الكبير للرازى ٢٢/ ٥٠.

٦٤٢ ـ قوله تعالى: ﴿ .. وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً .. ﴿٥٣﴾ ﴾.

قاله هنا بلفظ «سلك» وقاله فى الزخرف بلفظ «جعل» لأن لفظ السلوك مع السبل أكثر استعمالاً من «جعل» فخص به «طه» لتقدمها وبـ «جعل» الزخرف، ليوافق«١» التعبير به قبله مرة وبعده مرارًا.

٦٤٣ ـ قوله تعالى: ﴿ .. قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ ﴾ أخّر موسى عن هارون مع أن هارون كان وزيرًا له، لموافقة الفواصل.

٦٤٤ ـ قوله تعالى: ﴿ .. فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ ﴾ أى لا يموت فيها موتًا متصلاً، ولا يحيا حياة متصلة، بل كل ما مات فى مدة العذاب، أعيد حيًا ليدوم العذاب، وإنما قدرنا ذلك، لأن الموت والحياة لا يرتفعان عن الشخص.

٦٤٥ ـ قوله تعالى: ﴿ .. فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لاَّ تَخَافُ دَرَكًا وَلا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ ﴾.

أى لا تخاف إدراك فرعون ولا تخشى غرقًا فى البحر، وإلا فالخوف والخشية مترادفان، وغاير بينهما لفظا رعاية للبلاغة.

٦٤٦ ـ قوله تعالى: ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾ ﴾.

إن قلت: صدره يغنى عن عجزه، فكيف ذكر العجز؟

قلت: المعنى وما هداهم بعد ما أضلهم، فإن المضل قد يهدى بعد إضلاله، أو ما هدى نفسه، أو أضلهم عن الدين، وما هداهم طريقًا فى البحر.

٦٤٧ ـ قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الأَيْمَنَ .. ﴿٨٠﴾ ﴾.

إن قلت: المواعدة كانت لموسى عليه السلام لا لهم، فكيف أضيفت إليهم؟

---

٦٤٢ ـ راجع الفخر الرازى ٢٢/ ٥٠.

«١» كذا بالأصل.

٦٤٥ ـ تفسير الطبرى ١٦/١٤٣.

قلت: لما كانت لانزال كتاب لهم، فيه صلاح دنياهم وأخراهم، أضيفت إليهم لهذه الملابسة.

٦٤٨ ـ قوله تعالى: ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَا مُوسَىٰ ﴿٨٣﴾﴾.

إن قلت: هذا سؤال عن سبب العجلة، فإن موسى لما واعده الله تعالى، حضور جانب الطور لأخذ التوراة، اختار من قومه سبعين رجلاً يصحبونه إلى ذلك، ثم سبقهم شوقًا إلى ربه تعالى، وأمرهم بلحاقه، فعوتب على ذلك، فكيف طابق الجواب فى الآية السؤال؟

قلت: السؤال تضمن شيئين: إنكار العجلة، والسؤال عن سببها، فبدأ موسى بالاعتذار عما أنكر تعالى عليه، بأنه لم يوجد منه إلا تقدم يسير، لا يعتد به عادة، ثم عقب العذر بجواب السؤال عن السبب بقوله: ﴿وعجلت إليك رب لترضى﴾.

٦٤٩ ـ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴿١١٥﴾﴾ «فنسى» أى ترك، ولهذا قال بعد ذلك ﴿وعصى آدم ربه فغوى﴾.

٦٥٠ ـ قوله تعالى: ﴿.. فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ ﴿١١٧﴾﴾.

إن قلت: الخطاب لآدم وحواء، فكيف قال: «فتشقى» دون فتشقيا؟

قلت: قال ذلك لأن الرجل قيم امرأته، فشقاؤه يتضمن شقاءها، كما أن سعادته تتضمن سعادتها. أو قاله رعاية للفواصل، أو لأنه أراد بالشقاء: الشقاء فى طلب القوت، وإصلاح المعاش، وذلك وظيفة الرجل دون المرأة.

٦٥١ ـ قوله تعالى: ﴿.. وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾﴾.

إن قلت: هل يجوز أن يقال: كان آدم عاصيًا، غاويًا، أخذًا من ذلك؟

قلت: لا، إذ لا يلزم من جواز إطلاق الفعل، جواز إطلاق اسم الفاعل، ألا ترى أنه يجوز أن يقال: تبارك الله، دون تبارك، ويجوز أن يقال: تاب الله على آدم دون تائب!!

---

٦٤٩ ـ النسيان هنا بمعنى الترك.

٦٥٢ ـ قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا .. (١٢٤)﴾ الآية. أى حياة فى ضيق وشدة.

فإن قلت: نحن نرى المعرضين عن الإيمان فى أخصب عيشة؟

قلت: قال ابن عباس المراد بالعيشة الضنك: الحياة فى المعصية، وإن كان فى رخاء ونعمة.. وروى أنها عذاب القبر، أو المراد بها فعيشة فى جهنم.

٦٥٣ ـ قوله تعالى: ﴿وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى(١٢٩)﴾. الكلمة قوله تعالى: ﴿سبقت رحمتى غضبى﴾.

أو قوله تعالى: ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم..﴾.

أو قوله تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾. يعنى لعالمى أمته، بتأخير العذاب عنهم وفى الآية تقديم وتأخير أى ولولا كلمة من ربك وأجل مسمى لكان العذاب لزامًا لهم كما لزم الأمم التى قبلهم.

٦٥٤ ـ قوله تعالى: ﴿.. فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَىٰ(١٣٥)﴾.

إن قلت: كيف جمع بين هذين، مع أن أحدهما يغنى عن الآخر؟

قلت: المراد بالأول السالكون، وبالثانى: الواصلون.

أو بالأول الذين مازالوا على الصراط المستقيم، وبالثانى الذين لم يكونوا على الصراط المستقيم ثم صاروا عليه.

أو بالأول أهل دين الحق فى الدنيا، وبالثانى المهتدون إلى طريق الجنة فى العقبى، فكأنه قيل: ستعلمون من الناجى فى الدنيا، والفائز فى الآخرة.

« تمت سورة طه »

****

---

٦٥٣ ـ راجع القرطبى ١١/ ٢٦٠، والدر المنثور للسيوطى ٤/ ٣١٢.

سورة الأنبياء

٦٥٥ ـ قوله تعالى: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ ﴿١﴾﴾.

إن قلت: كيف وصف الحساب بالقرب، وقد مضى من وقت هذا الاخبار أكثر من تسعمائة عام ولم يوجد؟

قلت: معناه أنه قريب عند الله وإن كان بعيدًا عندنا كقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَاهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾﴾ «المعارج: ٦، ٧» وقوله: ﴿.. وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾﴾ «الحج: ٤٧».

أو أنه: قريب بالنسبة إلى ما مضى من الزمان.

أو أن المراد: قربة لكل واحد فى قبره، ويؤيده خبر «من مات قامت قيامته».

٦٥٦ ـ قوله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾﴾.

قاله هنا: بلفظ ﴿من ربهم﴾ وفى الشعراء بلفظ ﴿من الرحمن﴾، لأن «الرب» يأتى مضافًا، بخلاف «الرحمن» لم يأت مضافًا غالبًا.

ولموافقة ما هنا قوله بعد: ﴿قال ربى يعلم القول﴾ وموافقة ما فى الشعراء قوله بعد: ﴿وإن ربك لهو العزيز الرحيم﴾ إذ الرحمن والرحيم اخوان.

فإن قلت: كيف وصف الذكر بالحدوث مع أن الذكر الآتى هو القرآن، وهو قديم.

قلت: المراد أنه محدث إنزاله، أو أنه ذكر غير القرآن، وأضيف إلى الرب، لأنه أمر به وهاد له.

٦٥٧ ـ قوله تعالى: ﴿.. وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا .. ﴿٣﴾﴾.

---

٦٥٦ ـ انظر احتجاج المعتزلة بهذه الآية في متشابه القرآن مسألة رقم ٤٧١، وانظر البرهان مسألة ٣٠٥.

إن قلت: كيف قال ذلك، مع أن النجوى المسارة؟

قلت: معناه بالغوا فى إخفاء المسارة، بحيث لم يفهم أحد تناجيهم ومسارتهم، تفصيلاً ولا إجمالاً.

٦٥٨ ـ قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ .. ﴿٧﴾﴾ قاله هنا: بحذف «من» تبعًا لحذفها من قوله قبل ﴿ما آمنت قبلهم من قرية﴾ وقاله بعد بذكرها[١]، جريًا على الأصل.

٦٥٩ ـ قوله تعالى: ﴿ .. فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾﴾ أمر مشركى مكة بأن يسألوا «أهل الذكر» أى أهل الكتاب، عمن مضى من الرسل، هل كانوا بشرًا أم ملائكة.

فإن قلت: كيف أمرهم بذلك، مع أنهم قالوا ﴿لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذى بين يديه﴾؟

قلت: لا مانع من ذلك، إذ الإخبار بعدم الإتيان بشىء لا يمنع أمره بالإتيان به، ولوسلم فهم وإن لم يؤمنوا بكتاب أهل الكتاب، لكن النقل المتواتر من أهل الكتاب فى أمر، يفيد العلم لمن يؤمن بكتابهم، ولمن لا يؤمن به.

٦٦٠ ـ قوله تعالى: ﴿ وَلا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾ أى لا يعيون.

٦٦١ ـ قوله تعالى: ﴿ .. وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ .. ﴿٣٠﴾﴾.

إن قلت: كيف قال ذلك، الشامل لقوله فى النور ﴿والله خلق كل دابة من ماء﴾ مع أن لنا أشياء أحياء، لم تخلق من الماء، وهم: الملائكة، والجن، وآدم، وناقة صالح؟ إذ الملائكة خلقت من نور، والجن من نار، وآدم من تراب، وناقة صالح من حجر لا من ماء؟

قلت: المراد به البعض كما فى قوله تعالى: ﴿وأوتيت من كل شىء﴾ وقوله: ﴿ .. وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ .. ﴿٢٢﴾﴾ [يونس: ٢٢].

---

٦٥٨ ـ انظر الطبرى ١٧/ ٨.

«١» فى قوله ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه..﴾ آية (٢٥).

٦٦١ ـ جامع البيان ١٧/ ١٤.

أو الكل مخلوقون من الماء، لأن الله خلق قبل خلق الإنسان جوهره، ونظر إليها نظرة هيبة فاستحالت ماء، فخلق من ذلك الماء جميع المخلوقات. أوخلقهم من الماء، أما بواسطة أو بغيرها، ولهذا قيل: أنه تعالى خلق الملائكة من ريح خلقها من الماء، والجن من نار خلقها من الماء، وآدم من تراب خلقه من الماء.

٦٦٢ ـ قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ أي إلى الجنة أو النار.

قال ذلك هنا بالواو، موافقة للتعيين بها، فيما زاده هنا بقوله ﴿ونبلوكم بالشر والخير فتنة﴾ وقال فى «العنكبوت:٥٥» بـ «ثم» لدلالتها على تراخى الرجوع، المذكور عن بلوى الدنيا ـ ولم يقع بينهما تعبير بواو ـ ثم ما زاده هنا اختصاراً.

٦٦٣ ـ قوله تعالى: ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ قاله استهزاء وتهكمًا بمن سفهوه، وإلا ففاعله هو نفسه.

أو أنه لما كان الحامل له على الفعل، تعظيمهم للأصنام، وكان كبيرهم أبعث له على الفعل لمزيد تعظيمهم له، أسند الفعل إليه لأنه السبب فيه.

٦٤٤ ـ قوله تعالى: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾.

إن قلت: كيف خاطب النار مع أنها لا تعقل؟

قلت: خطاب التحويل والتكوين، لا يختص بمن يعقل كما مر، قال تعالى: ﴿يا جبال أوبى معه والطير﴾ وقال: فقال لها وللأرض ائتيا طوعًا أو كرهًا﴾ وقال: ﴿وقيل يا أرض ابلعى ماءك﴾.

٦٦٥ ـ قوله تعالى: ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾﴾.

قاله هنا: بلفظ ﴿الأخسرين﴾ وفى «الصافات:٩٨» بلفظ ﴿الأسفلين﴾. لأن ما هنا تقدمه أن إبراهيم كادهم، وأنهم كادوه، وأنه غلبهم فى الكيد،

---

٦٦٥ ـ انظرالقرطبى ١٥ . ٩٧.

فخسرت تجارتهم حيث كسر أصنامهم، ولم يبلغوا من إحراقه مرادهم، فناسب ذكر ﴿الأخسرين﴾.

وما فى الصافات: تقدمه ﴿قالوا ابنو له بنيانًا فألقوه فى الجحيم﴾ فأججوا نارًا عظيمة، وبنوا بنيانًا عظيمًا، ورفعوا إبراهيم إليه رموه منه إلى أسفل، فرفعه الله إليه، وجعلهم فى الدنيا من الأسفلين، وردهم فى العقبى أسفل سافلين، فناسب ذكر الأسفلين.

٦٦٦ - قوله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾﴾.

ختم القصة هنا بقوله: ﴿رحمة من عندنا﴾ وختمها فى «ص» بقوله ﴿رحمة منا﴾ لأن أيوب بالغ هنا فى التضرع بقوله: ﴿وأنت أرحم الراحمين﴾ فبالغ تعالى فى الإجابة، فناسب ذكر ﴿من عندنا﴾ لأن عندنا يدل على أنه تعالى، تولى ذلك بنفسه، ولا مبالغة فى «ص» فناسب ذكر ﴿منا﴾ لعدم دلالته على ما دل عليه ﴿عندنا﴾.

٦٦٧ - قوله تعالى: ﴿.. فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾﴾ أى فى جيب درعها، بحذف مضامين، ولهذا ذكر الضمير فى «التحريم: ١٢» فقال: ﴿فنفخنا فيه﴾.

٦٦٨ - قوله تعالى: ﴿.. وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ ﴿٩٣﴾﴾ قال ذلك هنا، وقال فى المؤمنين ﴿وأنا ربكم فاتقون. فتقطعوا﴾ لأن الخطاب هنا للكفار، فأمرهم بالعبادة التى هى التوحيد، ثم قال: ﴿وتقطعوا﴾ بالواو لا بالفاء، لأن مدخولها ليس مرتبًا على ما قبلها، بل هو واقع قبله، ومن قال: الخطاب مع المؤمنين، فمعناه: داوموا على العبادة.

---

٦٦٦ - انظر القرطبى.

والخطاب ثم للنبى وأمته، بدليل قوله قبل ﴿يا أيها الرسل كلوا من الطيبات..﴾ الآية.

والأنبياء وأمتهم مأمورون بالتقوى... ثم قال: ﴿فتقطعوا أمرهم﴾ بالفاء، أى ظهر منهم التقطع بعد هذا القول، والمراد أمتهم.

٦٦٩ ـ قوله تعالى: ﴿وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾﴾ أى ممتنع عليهم الرجوع.

فإن قلت: كيف قال ذلك، مع أنه لا بد من رجوعهم إلى الله؟

قلت: معناها لا يرجعون عن الكفر إلى الإيمان، أو لا يرجعون بعد إهلاكهم إلى الدنيا.

وقيل معنى: «حرام» واجب، فـ «لا» حينئذ زايدة أى واجب رجوعهم.

٦٧٠ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُوْلَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾﴾ أى عن جهنم.

فإن قلت: كيف يكونون مبعدين عنها، وقد قال تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ وورودها يقتضى القرب منها؟

قلت: معناه: مبعدون عن ألمها، وعناها، مع ورودهم لها.

أو معناه: مبعدون عنها بعد ورودها بالانجاء المذكور بعد الورود.

٦٧١ ـ قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾.

إن قلت: كيف قال ذلك، مع أن النبى ﷺ لم يكن رحمة للكافرين بل نعمة، إذ لولا ارساله إليهم ما عذبوا بكفرهم قوله تعالى: ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾؟

قلت: بل كان رحمة للكافرين أيضًا، من حيث أن عذاب الاستئصال أخر عنهم بسببه.

أو كان رحمة عامة من حيث أنه جاء بما يسعدهم أن اتبعوه، ومن لم يتبعه فهو المقصر. أو المراد بـ «الرحمة» الرحيم، وهو ﷺ كان رحيمًا للكفار أيضًا، ألا ترى أنهم لما شجوه وكسروا رباعيته، حتى خر مغشيًا عليه، قال بعد إفاقته: «اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون».

٦٧٢ ـ قوله تعالى: ﴿**قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ** ﴿١١٢﴾﴾.

فإن قلت: ما فائدة قوله «بالحق»؟

قلت: ليس المراد «بالحق» هنا نقيض الباطل، بل المراد ما وعده الله تعالى إياه، من نصر المؤمنين، وخذلان الكافرين ووعده لا يكون إلا حقًا ونظيره قوله تعالى: ﴿ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق﴾.

أو أن قوله: «بالحق» تأكيدًا لما فى التصريح بالصفة من المبالغة وإن كانت لازمة للفعل، ونظيره فى عكسه من صفة الذم قوله تعالى: ﴿ويقتلون الأنبياء بغير حق﴾.

« تمت سورة الأنبياء »

****

سورة الحـج

٦٧٣ ـ قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ .. ﴿٢﴾﴾.

إن قلت: كيف جمع هنا، وأفرد بعد فى قوله ﴿وترى الناس سكارى﴾؟

قلت: لأن الرؤية الأولى متعلقة بالزلزلة، وكل الناس يرونها. والثانية متعلقة بكون الناس سكارى فلا بد من جعل كل واحد يرى باقيهم.

٦٧٤ ـ قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا .. ﴿٢٢﴾﴾ الآية.

قال ذلك: هنا بذكر «من غم» وفى «السجدة: ٢٠» بدونه، موافقة لما قبلها. إذ ما هنا تقدمه قوله تعالى: ﴿قطعت لهم ثياب من نار﴾ الآية. وما هنالك لم يتقدمه إلا قوله ﴿فمأواهم النار﴾.

٦٧٥ ـ قوله تعالى: ﴿.. وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾﴾ تقديره: وقيل لهم ذوقوا، كما فى السجدة وخص ما هنا بالحذف لطول الكلام، وما فى السجدة بالذكر لقصره، وموافقة لذكر القول قبله كقوله: ﴿أم يقولون افتراه﴾ وقوله ﴿وقالوا أئذا ضللنا﴾ و﴿قل يتوفاكم﴾.

٦٧٦ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ .. ﴿٢٣﴾﴾ الآية.

كرره لأنه لما ذكر حكم أحد الخصمين، وهو ﴿فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار﴾ لم يكن بد من ذكر حكم الخصم الآخر، لمقارنته له، وان تقدم ذكره.

٦٧٧ ـ قوله تعالى: ﴿.. فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾﴾.

---

٦٧٤ ـ البرهان ٣٢١.

٦٧٧ ـ راجع القرطبى ٣/١-٣.

كرره لأن الأول مرتب على ذبح بهيمة الأنعام، الشاملة للبدن، والبقر، والغنم، والثانى مرتب على ذبح البدن خاصة، وان وافقه فى حكم ذبح الآخرين.

٦٧٨ ـ قوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا .. ﴿٣٩﴾﴾ أى أذن للذين يريدون أن يقاتلوا فى القتال.

٦٧٩ ـ قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ.. ﴿٤٠﴾﴾ الاستثناء فيه منقطع بمعنى لكن أخرجوا بقولهم ربنا الله، أو هو من باب تعقيب المدح، بما يشبه الذم، كقول الشاعر:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم ... بهن فلول من قراع الكتائب

أى إن كان فيهم عيب فهوهذا، وهذا ليس بعيب، فلا عيب فيهم.

٦٨٠ـ قوله تعالى: ﴿ .. وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ .. ﴿٤٠﴾﴾ الآية.

فإن قلت: أى منه على المؤمنين، فى حفظ «الصوامع» و«البيع» و«الصلوات» أى الكنائس عن الهدم، حتى امتن عليهم بذلك؟

قلت: المنة عليهم فيها أن الصوامع، والبيع فى حرسهم وحفظهم، لأن أهلهما محترمون.

أو المراد: لهدمت صوامع وبيع فى زمن عيسى عليه السلام، وكنائس فى زمن موسى عليه السلام، ومساجد فى زمن النبى ﷺ، فالامتنان على أهل الأديان الثلاثة، لا على المؤمنين خاصة.

٦٨١ ـ قوله تعالى: ﴿ .. وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾﴾.

إنما لم يقل: ﴿وبنو إسرائيل﴾ فى قوم موسى، عطفًا على «قوم نوح»؟ لأن قوم موسى لم يكذبوه بل غيرهم وهم القبط أو الإبهام فى بناء الفعل

٦٧٩ ـ انظر القرطبى.

للمفعول للتفخيم والتعظيم، أى وكذب موسى أيضًا مع وضوح آياته، وعظم معجزاته، فما ظنك بغيره؟

٦٨٢ ـ قوله تعالى: ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ .. ﴿٤٥﴾﴾.

قال ذلك هنا، وقال بعد: ﴿وكأين من قرية أمليت لها وهى ظالمة﴾.

موافقة لما قبلها، إذ ما هنا تقدمه معنى الإهلاك بقوله: ﴿فأمليت للذين كفروا ثم أخذتهم﴾ أى أهلكتهم. وما بعد تقدمه ﴿ويستعجلونك بالعذاب﴾ وهو يدل على أن العذاب لم يأتهم فى الوقت، فحسن ذكر الإهلاك فى الأول والإملاء ـ أى التأخير ـ فى الثانى.

٦٨٣ ـ قوله تعالى: ﴿.. فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾.

إن قلت: ما فائدة ذلك، مع أن القلوب لا تكون إلا فى الصدور؟

قلت: فائدته المبالغة فى التأكيد، كما فى قوله تعالى: ﴿يقولون بأفواههم﴾. أو القلب هنا بمعنى العقل، كما قيل به فى قوله تعالى: ﴿إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب﴾ أى عقل، ففائدة التقييد الاحتراز عن القول الضعيف، بأن العقل فى الدماغ.

٦٨٤ ـ قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلا نَبِيٍّ .. ﴿٥٢﴾﴾ الآية.

الرسول: إنسان أوحى إليه بشرع وأمر بتبليغه.

والنبى: إنسان أوحى إليه بشرع وإن لم يؤمر بتبليغه، فهو أعم من الرسول.

٦٨٥ ـ قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ.. ﴿٦٢﴾﴾ الآية.

---

٦٨٢ ـ راجع تفسير القرطبى ١٢/ ٧٤ والطبرى ١٧/ ١٢٨.

٦٨٤ ـ راجع الطبرى ١٧/ ١٣٢ والقرطبى ١ ٨٢٠٠.

قاله هنا بتأكيده بـ «هو» وقاله فى لقمان بدونه، لموافقة كل منهما ما قبله وما بعده، لأن ما هنا تقدمه تأكيدات، بعضها بـ «أن» وبعضها باللام، وبعضها بهما، بخلافه ثم ولهذا قال هنا: ﴿وأن الله لهو الغنى الحميد﴾ وقال ثم: ﴿إن الله هو الغنى الحميد﴾.

٦٨٦ ـ قوله تعالى: ﴿ .. وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ .. (٧٨) ﴾.

إن قلت: كيف لا حرج فيه مع أن فى قطع يد بسرقة ربع دينار، ورجم محصن بزنى مرة، ووجوب صوم شهرين متتابعين، لإفساد يوم من رمضان بوطء، ونحو ذلك حرجًا؟

قلت: المراد بالدين: التوحيد، ولا حرج فيه بل فيه تخفيف فإنه يكفر ما قبله من الشرك وإن امتد، ولا يتوقف الإتيان به على زمان أو مكان معين.

أو أن كل ما يقع الإنسان فيه من المعاصى، يجد له مخرجًا فى الشرع، بتوبة، أو كفارة، أو رخصة أو المراد نفى الحرج الذى كان فى بنى إسرائيل.

« تمت سورة الحج »

****

٦٨٦ ـ انظر القرطبى ١٢/ ١٠٠.

سورة المؤمنون

٦٨٧ - قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾﴾.

إن قلت: لم أكده باللام، دون قوله بعده ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾ مع أن المذكورين ينكرون البعث دون الموت؟

قلت: لما كان العطف بـ «ثم» المحتاج إليه هنا يقتضى الاشتراك فى الحكم، اغتنى به عن التأكيد باللام.

٦٨٨ - قوله تعالى: ﴿.. وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾﴾ قاله هنا بالجمع وبالواو وقال فى الزخرف ﴿لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون﴾ بالإفراد وحذف الواو، موافقة لما قبلهما إذ ما هنا تقدمت ﴿جنات﴾ بالجمع وما بعد الواو ومعطوف على مقدر تقديره: منها تدخرون، ومنها تأكلون، وما فى الزخرف تقدمت جنة بالتوحيد فى قوله ﴿وتلك الجنة﴾ وليس فى فاكهة الجنة الأكل فناسب الجمع والواو هنا، والإفراد وحذف الواو، «ثم».

٦٨٩ - قوله تعالى: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ .. ﴿٢٠﴾﴾ [المؤمنون: ٢٠] المراد بها: شجرة الزيتون.

فإن قلت: لم خصها بطور سيناء، مع أنها تخرج من غيره أيضًا؟

قلت: أصلها منه ثم نقلت إلى غيره.

٦٩٠ - قوله تعالى: ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ..﴿٢٤﴾﴾ الآية.

قال ذلك هنا بتقديم الصلة على قومه، وقال بعد بالعكس«٣٣». لأنه اقتصر هنا فى صلة الموصول على الفعل، وفيما بعد طالت فيه الصلة، بزيادة

---

٦٨٨ - راجع البرهان.

العطف على الصلة مرة بعد أخرى. فقدم عليها ﴿من قومه﴾ لأن تأخيره عن المفعول ملبس وتوسيطه بينه وبين ما قبله ركيك.

٦٩١ ـ قوله تعالى: ﴿ .. وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لأَنزَلَ مَلائِكَةً .. ﴿٢٤﴾ ﴾ الآية.

قاله هنا بلفظ ﴿الله﴾ وفى «فصلت: ١٤» بلفظ ربنا، موافقة لما قبلها إذ ما هنا تقدمه لفظ ﴿الله﴾ دون ﴿ربنا﴾ وما فى فصلت تقدمه لفظ الرب فى ﴿رب العالمين﴾ سابقٌ على لفظ ﴿الله﴾ فناسب ذكر ﴿الله﴾ هنا وذكر الرب ثم.

٦٩٢ ـ قوله تعالى: ﴿ .. فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ ﴾.

قاله هنا بالتعريف وقال بعد: ﴿فبعدًا لقوم لا يؤمنون﴾ بالتنكير لأن الأول لقوم «صالح» بقرينة قوله: ﴿فأخذتهم الصيحة﴾ فعرفهم تعريف عهد، ونكر الثانى لخلوه عن قرينة تقتضى تعريفه، وموافقة لتنكير ما قبله، وهو ﴿قرونًا آخرين﴾.

٦٩٣ ـ قوله تعالى: ﴿ .. وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾.

قاله هنا بلفظ ﴿عليم﴾ وفى «سبأ: ١١» بلفظ ﴿بصير﴾ مناسبة لما قبلهما، إذ ما هنا تقدمه آيتا الكتاب، وجعل «مريم» وابنها آية، والعلم بهما أنسب من بصرهما، وما هناك تقدمه قوله ﴿وألنا له الحديد﴾ والبصر بإلانة الحديد أنسب من العلم بها.

٦٩٤ ـ قوله تعالى: ﴿ .. بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾.

نزل فى كفار مكة، والمراد بالحق التوحيد.

فإن قلت: كيف قال ذلك، مع أنهم كانوا كارهين للتوحيد؟

قلت: كان منهم من ترك الإيمان به، أنفة وتكبرًا من توبيخ قومهم، لئلا يقولوا: ترك دين آبائه، لا كراهة للحق كما يحكى عن أبى طالب وغيره.

---

٦٩٢ - انظر البرهان ٣٣٢.

٦٩٣ ـ راجع تفسير القرطبى ١٢/١٢٨.

٦٩٥ ـ قوله تعالى: ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾﴾ وقاله فى النمل بالعكس، جريًا على القياس هنا، من تقديم[١٥] المرفوع على المنصوب، وعكس ثم بيانًا لجواز تقديم المنصوب على المرفوع، وخص ما هنا بتأخير «هذا» جريًا على الأصل بلا مقتضى لخلافه، وما هناك بتقديمه اهتمامًا به من منكرى البعث، ولهذا قالوا بعد: ﴿إن هذا إلا أساطير الأولين﴾.

٦٩٦ ـ قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾﴾.

قاله هنا بلفظ ﴿لله﴾ وبعد بلفظ ﴿الله﴾ مرتين، لأنه فى الأول وقع فى جواب مجرور باللام فى قوله ﴿قل لمن الأرض﴾ فطابقه بجره باللام بخلاف ذلك فى الأخيرتين، فإنهما إنما وقعا فى جواب مجرد عن اللام.

٦٩٧ ـ قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ ذكره بعد قوله ﴿قد كانت آياتى تتلى عليكم﴾ لأن ذلك فى الدنيا عند نزول العذاب، وهو «الجدب» عند بعضهم ويوم بدر عند بعضهم. وهذا فى الآخرة وهم فى الجحيم بدليل قوله ﴿ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون﴾.

« تمت سورة المؤمنون »

****

---

[١٥] البرهان ٣٣٥.

سورة النـور

٦٩٨ - قوله تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ..﴿٢﴾﴾ الآية.

إن قلت: لم قدم المرأة فى آية «حد الزنى» وأخرها فى آية «حد السرقة»؟

قلت: لأن الزنى يتولد من شهوة الوقاع، وهى فى المرأة أقوى وأكثر، والسرقة إنما تتولد من الجسارة، والقوة، والجرأة وهى من الرجل أقوى وأكثر.

فإن قلت: فلم قدم الرجل فى قوله تعالى ﴿الزانى لا ينكح إلا زانية أو مشركة﴾؟

قلت: لأن تلك الآية فى الحد، والمرأة هى الأصل فيه لما مر، وهذه الآية فى حكم النكاح، والرجل هو الأصل فيه، لأنه الراغب والبادىء فى الطلب، بخلاف الزنى فإن الأمر فيه بالعكس غالبًا.

٦٩٩ - قوله تعالى: ﴿وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴿١٠﴾﴾ كرره لاختلاف الأجوبة فيه.

إذ جواب الأول محذوف تقديره: لفضحكم.

وجواب الثانى قوله: ﴿.. لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴿١٤﴾﴾.

وجواب الثالث محذوف تقديره: لعجل لكم العذاب.

وجواب الرابع ﴿.. مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا ..﴿٢١﴾﴾.

٧٠٠ - قوله تعالى: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ..﴿٣٠﴾﴾ الآية.

إن قلت: ما فائدة ذكر «من» فى غض البصر، دون حفظ الفرج؟

---

٦٩٩ - القرطبى ١٢/٢٠٩ والنووى والبرهان ٣٣٧.

قلت: فائدته الدلالة على أن حكم النظر أخف من حكم الفرج، إذ يحل النظر إلى بعض أعضاء المحارم، ولا يحل شيء من فروجهن.

٧٠١ ـ قوله تعالى: ﴿ .. وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ .. ﴿٣١﴾ ﴾.

إن قلت: لم ترك ذكر الأعمام والأخوال، مع أن حكمهما حكم من استثنى؟

قلت: تركهما كما ترك محرم الرضاع، أو لفهمهما من بنى الإخوان وبنى الأخوات، بالأولى أو بالمساواة.

والجواب: أنه لم يذكر من المستثنى إلا من اشترك هو وابنه فى المحرمية، لأن من لم يشاركه ابنه فيها، كالعم والخال، قد يصف محرمه عند ابنه، وهو ليس بمحرم لها، فيفضى إلى الفتنة ـ نقض بأن افضاء الفتنة، يأتى فى ﴿آباء بعولتهن﴾ فقد يذكر أبو البعل، محرمه عند ابنه الآخر، وليس بمحرم لها.

٧٠٢ ـ قوله تعالى: ﴿.. وَلا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا..﴿٣٣﴾ ﴾ الآية.

إن قلت: كيف قال ذلك مع أن اكراههن على الزنى حرام وإن لم يردن التحصن؟

قلت: الشرط هنا لا مفهوم له، لخروجه مخرج الغالب من أن إكراههن إنما يكون مع إرادتهن التحصن، ولو ردوه على سبب، وهو أن فى الجاهلية كانوا يكرهون إماءهم على الزنى، مع إرادتهن التحصن، أو أن «إن» بمعنى «إذ» كما فى قوله تعالى: ﴿وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين﴾ وقوله: ﴿وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين﴾.

٧٠٣ ـ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَمَثَلاً مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ و.. ﴿٣٤﴾ ﴾.

٧٠١ ـ راجع القرطبى ١٢/٢٢٣ والطبرى ١٨/٩٥.

قاله هنا بذكر الواو، ﴿وإليكم﴾ وقاله بعد بحذفهما[1]. لأن اتصال ما هنا بما قبله أشد، إذ قوله بعد ﴿وموعظة للمتقين﴾ مصروف إلى الجمل السابقة من قوله: ﴿وليستعفف الذين لا يجدون نكاحًا﴾ إلى آخره، وفيه معطوفان بالواو، فناسب ذكرها العطف، وذكر ﴿إليكم﴾ ليفيد أن الآيات المبينات نزلت فى المخاطبين فى الجمل السابقة، وما ذكر بعد خال عن ذلك، فناسبه الاستئناف والحذف.

٧٠٤ ـ قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ .. ﴿٣٥﴾﴾ الآية أى مثل صفة نوره تعالى، كصفة نور مشكاة فيها مصباح، المصباح فى «زجاجة» هى القنديل، والمصباح: الفتيلة الموقودة، والمشكاة: الأنبوبة فى القنديل، فصار المعنى: كمثل نور مصباح، فى مشكاة، فى زجاجة.

فإن قلت: لم مثل الله نوره ـ أى معرفته ـ فى قلب المؤمن، بنور المصباح دون نور الشمس، مع أن نورها أتم؟

قلت: لأن المقصود تمثيل النور فى القلب، والقلب فى الصدر، والصدر فى البدن كالمصباح والمصباح فى الزجاجة، والزجاجة فى القنديل.

وهذا التمثيل لا يستقيم إلا فيما ذكر، ولأن نور المعرفة له آلات يتوقف هو على اجتماعها، كالذهن والفهم والعقل واليقظة وغيرها من الصفات الحميدة، كما أن نور القنديل، يتوقف على اجتماع القنديل، والزيت والفتيلة وغيرها. أو لأن نور الشمس يشرق متوجهًا إلى العالم السفلى ونور المعرفة يشرق متوجهًا إلى العالم العلوى كنور المصباح.

ولكثرة نفع الزيت وخلوصه عما يخالطه غالبًا وقع التشبيه فى نوره دون نور الشمس مع أنه أتم من نور المصباح.

---

[1] فى قوله تعالى: ﴿لقد أنزلنا آيات مبينات والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم﴾ [النور: ٤٦].
٧٠٤ ـ القرطبى ١٢/ ٢٣١ والطبرى ١٨/ ١٠٩.

٧٠٥ ـ قوله تعالى: ﴿رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ.. ﴿٣٧﴾﴾.

إن قلت: لم عطف البيع على التجارة مع شمولها له؟

قلت: لأن التجارة هى التصرف فى المال لقصد الربح، والبيع أعم من ذلك، فعطفه عليها لئلا يتوهم القصور على بيع التجارة.

أو أريد بالتجارة: الشراء لقصد الربح، وبالبيع: البيع مطلقًا.

٧٠٦ ـ قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ.. ﴿٤٥﴾﴾.

إن قلت: لم خص الدابة بالذكر، مع أن غيرها مثلها، كما شمله قوله فى الأنبياء: ﴿وجعلنا من الماء كل شىء حى﴾.

قلت: لأن القدرة فيها أظهر وأعجب منها فى غيرها.

٧٠٧ ـ قوله تعالى: ﴿.. فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ.. ﴿٤٥﴾﴾.

فيه مجاز التغليب، حيث استعمل «من» وهى لمن يعقل فى غيره، لوقوعه تفصيلاً لما يعمهما وهو «كل دابة».

وفيه أيضًا: مجاز التشبيه إذ إسناد ما ذكر إلى الحية، زحف لا مشى، لكنه يشبه فى السير.

٧٠٨ ـ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ.. ﴿٥٨﴾﴾.

إن قلت: كيف أمر الله تعالى بالاستئذان لهم، مع أنهم غير مكلفين؟

قلت: الأمر فى الحقيقة لأوليائهم ليؤدبوهم.

---

٧٠٧ ـ انظر القرطبى والبرهان.

٧٠٨ ـ القرطبى ١٢/٣٠٢.

٧٠٩ ـ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَلَغَ الأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا .. ﴿٥٩﴾﴾ الآية.

ختمها بقوله: ﴿كذلك يبين الله لكم آياته﴾ بالإضافة إليه.

وختم ما قبلها وما بعدها بقوله ﴿كذلك يبين الله لكم الآيات﴾ بالتعريف بـ «ال» لأنهما يشتملان على علامات يمكننا الوقوف عليها، وهى فى الأول ﴿من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء﴾.

وفى الآية الأخيرة ﴿مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ الآية.

فختم الآيتين بقوله: ﴿كذلك يبين الله لكم الآيات﴾ وأما بلوغ الأطفال، فلم يذكر أى علامات يمكننا الوقوف عليها، بل تفرد تعالى بعلمه بذلك، فخصها بقوله: ﴿كذلك يبين الله لكم آياته﴾ بالإضافة إليه.

٧١٠ ـ قوله تعالى: ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللاَّتِي لا يَرْجُونَ نِكَاحًا .. ﴿٦٠﴾﴾ الآية.

إن قلت: كيف أباح تعالى بذلك للقواعد من النساء وهن العجائز ـ التجرد من الثياب بحضرة الرجال؟

قلت: المراد بالثياب الزائدة على ما يسترهن، وسميت العجوز قاعداً لكثرة قعودها قاله ابن قتيبة.

٧١١ ـ قوله تعالى: ﴿.. وَلا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ .. ﴿٦١﴾﴾ الآية، أى من بيوت أولادكم وعيالكم وإلا فانتفاء الحرج عن أكل الإنسان من بيته معلوم.

---

٧٠٩ ـ البحر المحيط ٦/ ٤٧٠.
٧١٠ ـ الطبرى والبحر ٦/ ٤٧٣.
٧١١ ـ القرطبى ١٢/ ٣١٤ والبحر والطبرى.

٧١٢ ـ قوله تعالى: ﴿ .. فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ .. ﴿٦١﴾ ﴾ الآية، أى قولوا: السلام ـ أى من الله ـ علينا وعلى عباد الله الصالحين، فإن الملائكة ترد عليكم، هذا إن لم يكن بها أحد، وإلا فقولوا: السلام عليكم.

٧١٣ ـ قوله تعالى: ﴿ .. فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ .. ﴿٦٣﴾ ﴾ الآية.

إن قلت: كيف عدى خالف بـ «عن» مع أنه يتعدى بنفسه؟

قلت: ضمن بـ «خالف» معنى «يعرض» أو «يعدل» فعداه تعديته أو عن متعلق بمحذوف تقديره: أو ويعدلون عن أمره أو هى زائدة على قول الأخفش.

﴿ تمت سورة النور ﴾

****

٧١٣ ـ القرطبى ١٢/ ٣٢٢.

سورة الفرقان

٧١٤ ـ قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ①﴾ ﴿تبارك﴾ هذه كلمة لا تستعمل إلا لله بلفظ الماضى، وذكرت فى هذه السورة فى ثلاثة[1] مواضع تعظيمًا لله تعالى.

وخصت مواضعها بذكرها لعظم ما بعدها.

الأول: ذكر الفرقان وهو القرآن، المشتمل على معانى جميع كتب الله.

والثانى: ذكر النبى ﷺ ومخاطبة الله له فيه، وروى: «لولاك يا محمد ما خلقت الكائنات».

والثالث: ذكر البروج، والشمس والقمر والليل والنهار ولولاها لما وجد فى الأرض حيوان ولا نبات.

٧١٥ ـ قوله تعالى: ﴿.. وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ②﴾.

إن قلت: الخلق هو التقدير، ومنه قوله تعالى: ﴿وإذ تخلق من الطين﴾ فكيف جمع بينهما؟

قلت: الخلق من الله هو الإيجاد فصح الجمع بينه وبين التقدير، ولو سلم أنه التقدير، فساغ الجمع بينهما لاختلافهما لفظًا، كما فى قوله تعالى: ﴿أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة﴾.

٧١٦ ـ قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ.. ③﴾ الآية.

---

٧١٤ ـ راجع تفسير القرطبى ١٨/ ٢٠٥.

«١» المواضع الثلاثة فى هذه السورة وهى: الأول عند ذكر الفرقان ﴿تبارك الذى نزل الفرقان على عبده﴾ والثانى عند ذكر النبى ﷺ ﴿تبارك الذى إن شاء جعل لك خيرًا من ذلك﴾ والثالث عند ذكر البروج ﴿تبارك الذى جعل فى السماء بروجا﴾ ومثل هذه الآيات قوله تعالى: ﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ ﴿تبارك الله رب العالمين﴾ ﴿تبارك الذى بيده الملك﴾ انظر المطبوعة.

قاله هنا بالضمير ﴿من دونه﴾ وقاله فى «مريم:١٨» و«يس:٧٤» بلفظ «الله» موافقة لما قبله فى المواضيع الثلاثة.

٧١٧ ـ قوله تعالى: ﴿.. وَلا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلا حَيَاةً وَلا نُشُورًا ﴿٣﴾﴾ قدم الضر على النفع لمناسبة ما بعده، من تقديم الموت على الحياة.

٧١٨ ـ قوله تعالى: ﴿.. أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾﴾.

إن قلت: كيف قال فى وصف الجنة ذلك، مع أنها لم تكن حينئذ جزاء ومصيرا؟

قلت: إنما قال ذلك لأن ما وعد الله به فهو فى تحققه كأنه قد كان أو أنه كان فى اللوح المحفوظ أن الجنة جزاؤهم ومصيرهم.

٧١٩ ـ قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً ﴿٤٣﴾﴾.

إن قلت: لم أخر ﴿هواه﴾ مع أنه المفعول الأول؟

قلت: للعناية بتقديم الأول، كقوله: علمت فاضلاً زيدًا.

٧٢٠ ـ قوله تعالى: ﴿لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾﴾ ذكر الصفة مع أن الموصوف مؤنث نظرًا إلى معنى البلدة وهو المكان لا إلى لفظها، والسر فيه تخفيف اللفظ.

وقدم فى الآية إحياء الأرض، وسقى الأنعام، على سقى الأناسى، لأن حياة الأناسى بحياة أرضهم وأنعامهم فقدم ما هو سبب حياتهم ومعاشهم، ولأن سقى الأرض بماء المطر، سابق فى الوجود على سقى الأناسى.

٧٢١ ـ قوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُهُمْ وَلا يَضُرُّهُمْ.. ﴿٥٥﴾﴾ الآية، قدم النفع على الضر موافقة لقوله قبل ﴿هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج﴾.

---

٧١٧ ـ انظر البرهان ٣٤٤.

٧٢٢ ـ قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلاَّ مَن شَاءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلاً ﴿٥٧﴾﴾ أي ما أسألكم عليه إبلاغ ما أنزل على من أجر ﴿إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه﴾ إى إلى ثوابه ﴿سبيلا﴾ أى فأنا أدلة على ذلك، فهو استثناء منقطع.

وأما الاستثناء فى قوله تعالى: ﴿قل لا أسألكم عليه أجرًا إلا المودة فى القربى﴾ فمنسوخ بقوله تعالى: ﴿قل ما أسألكم من أجر فهو لكم إن أجرى إلا على الله﴾ على ما روى ابن عباس رضى الله عنهما. أو هو استثناء منقطع كما عليه المحققون تقديره: لكنى أذكركم المودة فى القربى.

٧٢٣ ـ قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ لم يقل «أئمة» رعاية للفواصل أو تقديره: «واجعل كل واحد منا إماما».

٧٢٤ ـ قوله تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلامًا ﴿٧٥﴾﴾، جمع بين التحية والسلام، مع أنهما بمعنى لقوله تعالى: ﴿تحيتهم يوم يلقونه سلام﴾ ولخبر «تحية أهل الجنة فى الجنة السلام» لأن المراد هنا بالتحية: سلام بعضهم على بعض، أو سلام الملائكة عليهم، وبالسلام سلام الله عليهم لقوله تعالى: ﴿سلام قولاً من رب رحيم﴾.

أو المراد بالتحية إكرام الله لهم بالهدايا والتحف، وبالسلام سلامه عليهم بالقول، ولو سلم أنهما بمعنى فساغ الجمع بينهما، لاختلافهما لفظًا كما مر نظيره.

« تمت سورة الفرقان »

****

سورة الشعراء

٧٢٥ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾.

كرره فى ثمانية مواضع، أولها فى قصة موسى، ثم إبراهيم، ثم نوح، ثم هود، ثم صالح، ثم لوط، ثم شعيب، ثم فى ذكر نبينا محمد ﷺ وإن لم يذكر صريحًا.

٧٢٦ ـ قوله تعالى: ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾﴾.

إن قلت: كيف أفرد «الرسول» مع أنه خبر متعدد، والقياس رسولاً كما فى «طه: ٤٧».

قلت: الرسول بمعنى الرسالة، وهى مصدر يصطلق على المتعدد وغيره.

أو تقديره: كل واحد منا رسول رب العالمين.

أو أفرده نظرًا إلى موسى لأنه الأصل، وهارون تبع له.

٧٢٧ ـ قوله تعالى: ﴿قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٢٠﴾﴾.

إن قلت: كيف قال موسى ﴿وأنا من الضالين﴾ والنبى لا يكون ضالاً؟

قلت: أراد به وأنا من الجاهلين، أو من الناسين كقوله تعالى: ﴿إن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى﴾.

أو من المخطئين لا من المتعمدين، كما يقال: ضل عن الطريق إذا عدل عن الصواب إلى الخطأ.

٧٢٨ ـ قوله تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾﴾.

---

٧٢٥ ـ راجع البرهان ٣٥٠.
٧٢٦ ـ انظر القرطبى ١٣/٨٩.
٧٢٧ ـ راجع القرطبى ١٣/٢٩٥.

لم يقل فرعون: «ومن رب العالمين» لأنه كان منكرًا لوجود الرب، فلا ينكر عليه التعبير بـ «ما».

٧٢٩ - قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴿٢٤﴾﴾.

إن قلت: كيف علق كونه رب السموات والأرض، بكون فرعون وقومه كانوا موقنين، مع أن هذا الشرط منتف، والربوبية ثابتة؟

قلت: معناه إن كنتم موقنين أن السموات والأرض موجودات، وهذا الشرط موجودًا، و«إن» نافية لا شرطية.

فإن قلت: ذكر السموات والأرض مستوعب جميع المخلوقات، فما فائدة قوله: ﴿ربكم ورب آبائكم الأولين﴾؟ وقوله: ﴿رب المشرق والمغرب﴾؟

قلت: فائدتهما تمييزهما فى الاستدلال على وجود الصانع.

أما الأول: فإن أقرب ما للإنسان نفسه، وما يشاهده من تغيراته، وانتقاله من ابتداء ولادته.

وأما الثانى: فلما تضمنه ذكر المشرق والمغرب وما بينهما، من بديع الحكمة فى تصريف الليل والنهار، وتغير الفصول بطلوع الشمس من المشرق، وغروبها من المغرب، على تقدير مستقيم فى فصول السنة.

فإن قلت: لم قال أولاً ﴿إن كنتم موقنين﴾ وثانيًا: ﴿إن كنتم تعقلون﴾؟

قلت: لاطفهم أولاً بقوله: ﴿إن كنتم موقنين﴾ فلما رأى عنادهم خاشنهم بقوله: ﴿إن كنتم تعقلون﴾ وعارض به قول فرعون: ﴿إن رسولكم الذى أرسل إليكم لمجنون﴾.

٧٣٠ - قوله تعالى: ﴿قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴿٢٩﴾﴾.

إن قلت: لم عدل إليه عن «لأسجننك» مع أنه أخصر منه؟

قلت: لإرادة تعريف العهد، أى لأجعلنك ممن عرفت حالهم فى سجنى وكان إذا سجن إنسانًا طرحه«٠» فى هوة عميقة مظلمة، لا يبصر فيها ولا يسمع.

٧٣١ ـ قوله تعالى: ﴿قَالُوا لا ضَيْرَ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾﴾.

قاله هنا بحذف لام التأكيد، وفى «الزخرف:١٤» بإثباتها، لأن ما هنا كلام السحرة حين آمنوا، ولا عموم فيه فناسب عدم التأكيد، وما فى الزخرف عام لمن ركب سفينة أو دابة، فناسبه التأكيد.

٧٣٢ ـ قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾﴾.

إن قلت: قضيته أن كل جمع منهما رأى الآخر، لأن التراءى تفاعل، مع أن كلاً منها لم ير الآخر، لأن الله تعالى أرسل غيمًا أبيض، فحال بينهما حتى منع الرؤية؟

قلت: التراءى يستعمل بمعنى التقابل، كما فى خبر «المؤمن والكافر لا يتراءيان» أى لا يدانيان ولا يتقابلان.

٧٣٣ ـ قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾﴾.

قاله فى قصة إبراهيم هنا بدون ذكر، «ذا» وفى «الصافات:٨٥» بذكره، لأن «ما» لمجرد الاستفهام، فأجابوا بقولهم: ﴿قالوا نعبد أصنامًا﴾ و«ماذا» فيه مبالغة، لتضمنه معنى التوبيخ، فلما وبخهم ولم يجيبوه، زاد على التوبيخ فقال: ﴿أئفكًا آلهة دون الله تريدون. فما ظنكم برب العالمين﴾ فذكر فى كل سورة ما يناسب ما ذكر فيها.

«٠» ج: (طوحه فى هوية عميقة) والصواب ما وردناه فى المطبوعة: (طرحه فى هوة عميقة) وإنما قال: «المسجونين» لإرادته الدوام والاستمرار، أى الكائنين والمخلدين فى السجن إلى الأبد، ولو قال: لأسجننك لما أفاد هذا المعنى. راجع هامش ط رقم(٢) بتصرف.

٧٣١ ـ لا ضير : لا بأس، قيل: هى من ضاره يضوره ويضيره.

٧٣٤ ـ قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾﴾.

زاد «هو» عقب الذى فى الإطعام والسقى، لأنهما مما يصدران من الإنسان عادة، فيقال: زيد يطعم ويسقى، فذكر «هو» تأكيدًا إعلامًا بأن ذلك منه تعالى، لا من غيره، بخلاف الخلق، والموت، والحياة، لا تصدر من غير الله. ويجوز فى ﴿الذى خلقنى﴾ النصب، نعتًا لرب العالمين، أو بدلاً، أو عطف بيان، أو بإضمان أعنى.. والرفع خبرًا لضمير ﴿الذى﴾ أو مبتدأ خبره الجملة بعده، ودخلت عليه الفاء على مذهب الأخفش، من جواز دخولها على خبر المبتدأ نحو: زيد فاضربه، وقيل: دخلت عليه لما تضمنه المبتدأ من معنى الشرط لكونه موصولاً، ورب بأن الموصول هنا معين لا عام.

وقوله: ﴿وإذا مرضت﴾ لم يقل: امرضنى، كما قال قبله: «خلقنى، ويهدين» لأنه كان فى معرض الثناء على الله تعالى، وتعداد نعمه، فأضاف ذينك إليه تعالى، ثم أضاف المرض إلى نفسه تأدبًا مع الله تعالى، كما فى قول الخضر ﴿فأردت أن أعيبها﴾ وإنما أضاف الموت إلى الله تعالى فى قوله: ﴿والذى يميتنى﴾ لكونه سببًا للقائه الذى هو من أعظم النعم.

٧٣٥ ـ قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾.

فينفعه ماله الذى أنفقه فى الخير وولده الصالح بدعائه، كما جاء فى خبر «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له».

٧٣٦ ـ قوله تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾﴾ أى قربت.

فإن قلت: كيف قربت مع أنها لم تنتقل من مكانها؟

٧٣٥ ـ راجع القرطبى ١٣/ ١١٤ والطبرى ١٩/ ٥٤.

قلت: فيه قلب أى وأزلف المتقون إلى الجنة، كما يقول الحاج إذا دنوا إلى مكة: قربت مكة منا.

٧٣٧ ـ قوله تعالى: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ (١٠٠) وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ (١٠١)﴾.

جمع الشافع، وأفرد الصديق، لكثرة الشفعاء عادة وقلة الصديق، ولهذا قال الشافعى رضى الله عنه:

ما فى زمانك من نرجو مودته   ولا صديق إذا جار الزمان وفى

فعش فريدًا ولا تركن إلى أحد   ها قد نصحتك فيما قلته وكفى

٧٣٨ ـ قوله تعالى: ﴿.. أَلَا تَتَّقُونَ (١٠٦) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٠٧) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٠٨) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٠٩)﴾.

ذكر فى خمسة مواضع: فى قصة نوح، وهود، وصالح، ولوط، وشعيب.

٧٣٩ ـ قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٠٨)﴾.

ذكر مكررًا فى ثلاثة مواضع: فى قصة نوح، وهود، وصالح تأكيدًا.

فإن قلت: لم خصت الثلاثة بالتأكيد، دون قصة لوط وشعيب؟

قلت: اكتفاء عنه فى قصة لوط بقوله: ﴿قال إنى لعملكم من القالين﴾ وفى قصة شعيب بقوله: ﴿واتقوا الذى خلقكم والجبلة الأولين﴾ لاستلزامهما له.

٧٤٠ ـ قوله تعالى: فى قصة صالح: ﴿مَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا .. (١٥٤)﴾.

قاله فيها بلا «واو» وقاله فى قصة شعيب بواو.

لأنه هنا بدل مما قبله، وثم معطوف على ما قبله، وخصت الأولى بالبدل، لأن صالحًا قلل فى الخطاب، فقللوا فى الجواب.

وأكثر شعيب فى الخطاب، فأكثروا فى الجواب.

٧٤٣ ـ قوله تعالى: ﴿فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ (١٥٧) فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ .. (١٥٨)﴾ الآية.

---

٧٤٠ ـ انظر الطبرى ١٩/ ٦٥ والقرطبى ١٣/ ١٣٢.

إن قلت: كيف أخذهم العذاب بعدما ندموا على جنايتهم: وقد قال ﷺ: «الندم توبة»؟

قلت: ندمهم كان عند معاينة العذاب، وهى ليست وقت التوبة كما قال تعالى: ﴿وليست التوبة للذين يعملون السيئات﴾ الآية. وقيل: كان ندمهم ندم خوف من العقاب العاجل، لا ندم توبة فلم تنفعهم.

٧٤٢ ـ قوله تعالى: ﴿يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾﴾ الضمير للأفاكين وهم الكذابون.

فإن قلت: كيف قال: ﴿أكثرهم﴾ بعدما حكم بأن كل أفاك أثيم أى فاجر؟

قلت: الضمير فى ﴿أكثرهم﴾ للشياطين، لا للأفاكين، ولو سلم فالأفاكون هم الذين يكثرون الكذب، لا إنهم الذين لا ينطقون إلا بالكذب.

« تمت سورة الشعراء »

****

---

٧٤٢ ـ انظر الطبرى ١٣/ ١٤٤ والطبرى ١٩/ ٧٨.

سورة النمل

٧٤٣ ـ قوله تعالى: ﴿ .. تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ۝١ ﴾.

إن قلت: الكتاب المبين هو القرآن، فكيف عطفه عليه، مع أن العطف يقتضى المغايرة؟

قلت: المغايرة تصدق بالمغايرة لفظًا ومعنى، وباللفظ فقط، وهو هنا من الثانى، كما فى قوله تعالى: ﴿أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة﴾.

أو المراد بالكتاب المبين: هو اللوح المحفوظ فهو هنا من الأول.

فإن قلت: لم قدم القرآن هنا على الكتاب، وعكس فى الحجر؟

قلت: جريًا على قاعدة العرب فى تفننهم فى الكلام.

٧٤٤ ـ قوله تعالى: ﴿ .. سَآتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ۝٧ ﴾.

فإن قلت: كيف قال هنا ذلك، وفى طه ﴿لعلى آتيكم﴾ وأحدها قطع، والآخر ترج، والقضية واحدة؟

قلت: قد يقول الراجى إذا قوى رجاؤه: سأفعل كذا، وسيكون كذا، مع تجويزه عدم الجزم.

٧٤٥ ـ قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا.. ۝٨ ﴾ المراد بالنار عند الأكثر «النور» وبمن فيها «موسى» ومن حولها «الملائكة» أو العكس بأن بارك الله من فى مكان النور، ومن حوله ومكانه هو البقعة المباركة فى قوله تعالى: ﴿نودى من شاطىء الواد الأيمن فى البقعة

---

٧٤٤ ـ راجع الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ١٣/١٥٦، ١٥٧.
٧٤٥ ـ انظر البرهان مسألة رقم ٣٥٠.

المباركة﴾ وبارك يتعدى بنفسه كما هنا، وبـ «على» و«فى» كما فى قوله تعالى: ﴿وباركنا عليه وعلى اسحاق﴾ وقوله: ﴿وبارك فيها﴾.

٧٤٦ ـ قوله تعالى: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا..﴿١٠﴾﴾.

قاله هنا بدون ذكر «إن» وفى «القصص: ٣١» بذكرها.

لأن ما هنا تقدمه فعل بعد «أن» وهو «بورك» فحسن عطف الفعل عليه، وما هناك لم يتقدمه فعل بعد «أن» فذكرت «أن» لتكون جملة «أن ألق عصاك» معطوفة على جملة ﴿أن يا موسى إننى أنا الله﴾.

٧٤٧ ـ قوله تعالى: ﴿.. يَا مُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ﴿١٠﴾﴾.

قال ذلك هنا، وقال فى القصص ﴿يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الآمنين﴾ بزيادة ﴿أقبل﴾ لأن ما هنا بنى عليه كلام يناسبه وهو ﴿إنى لا يخاف لدى المرسلون﴾ فناسبه الحذف وما هناك لم يبين عليه شىء، فناسبه زيادة «أقبل» جبرًا له، وليكون فى مقابلة «مدبرًا» أى أقبل آمنًا غير مدبر، ولا تخف.

٧٤٨ ـ قوله تعالى: ﴿.. إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ..﴿١١﴾﴾ الآية.

إن قلت: كيف وجه صحة الإستثناء فيه، مع أن الأنبياء معصومون من المعاصى؟

قلت الإستثناء منقطع: أى لكن من ظلم من غير الأنبياء فإنه يخاف، فإن تاب وبدل حسنا بعد سوء فإنى غفور رحيم، أو متصل بحمل الظلم على ما يصدر من الأنبياء من ترك الأفضل، أو «إلا» بمعنى «ولا» كما فى قوله تعالى: ﴿لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا﴾. وأنما خص المرسلين بالذكر، لأن الكلام فى قصة موسى ـ وكان من المرسلين ـ وإلا فسائر الأنبياء كذلك، وإن لم يكن بعضهم رسلا.

---

٧٤٧ ـ انظر البحر المحيط لأبى حيان ٧/ ٥٧.

٧٤٨ ـ انظر البحر المحيط لأبى حيان ٧/ ٥٧.

٧٤٩ ـ قوله تعالى: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ..(١٢)﴾.

قاله هنا بلفظ «ادخل» وفى «القصص: ٣٢» بلفظ «اسلك» لأن الإدخال بلغ من السلوك، لأن ماضيه أكثر حروفًا من ماضى السلوك، فناسب «أدخل» كثرة الآيات، فى قوله ﴿تخرج بيضاء من غير سوء فى تسع آيات﴾ أى معها مرسلاً إلى فرعون وناسب اسلك قلتها، وهى سلوك اليد، وضم الجناح، المعبر عنهما بقوله ﴿فذانك برهانان من ربك إلى فرعون وملئه﴾.

٧٥٠ ـ قوله تعالى: ﴿.. فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (١٢)﴾.

قاله هنا بلفظ ﴿وقومه﴾ وفى «القصص: ٣٢» بلفظ ﴿وملئه﴾ لأن الملأ أشراف القوم، ولم يوصفوا ثم بما وصف به القوم هنا من قوله ﴿فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين وجحدوا بها..﴾ الآية فناسب ذكر القوم هنا، وذكر الملأ ثم.

٧٥١ ـ قوله تعالى: ﴿.. وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ.. (١٦)﴾.

النون نون الجمع، عنى «سليمان» نفسه وأباه أو نون العظمة مراعاة لسياسة الملك، لأنه كان ملكًا مع كونه نبيًا.

فإن قلت: كيف سوى بينه فى قوله ﴿من كل شىء﴾ وبين بلقيس فى قول الهدهد: ﴿وأوتيت من كل شىء﴾؟

قلت: الفرق بينهما أنها أوتيت من كل شىء من أسباب الدنيا فقط، لعطف ذلك على «تملكهم» وسليمان وأوتى من كل شىء من أسباب الدين والدنيا، لعطف ذلك على المعجزة وهى «منطق الطير».

٧٥٢ ـ قوله تعالى: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ

---

٧٤٩ ـ القرطبى ١٣/ ١٦٢ والبرهان ٣٥٨.
٧٥١ ـ انظر البحر المحيط ٧/ ٥٩.
٧٥٢ ـ راجع الطبرى ١٧/ ٩٠.

مُبِينٍ ﴿٢١﴾﴾ توعد «سليمان» الهدهد بذلك، مع أنه غير مكلف، بيانًا لكونه خص بذلك، كما خص بتعلم منطقه.

٧٥٣ ـ قوله تعالى: ﴿اذْهَب بِّكِتَابِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾.

إن قلت: إذا تولى عنهم كيف يعلم جوابهم؟

قلت: معناه ثم تول عنهم يسيرا حيث لا يرونك، فانظر ماذا يرجعون؟

٧٥٤ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾﴾.

قدم ﴿سليمان﴾ اسمه على اسم الله تعالى، مع أن المناسب عكسه، لأنه عرف أن «بلقيس» تعرف اسمه دون اسم الله تعالى، فخاف أن تستخف باسم الله تعالى، أول ما يقع نظرها عليه، أو كان اسمه على عنوان الكتاب واسم الله فى باطنه.

٧٥٥ ـ قوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ .. ﴿٤٠﴾﴾.

القائل كاتب سليمان واسمه «آصف».

فإن قلت: كيف قدر مع أنه غير نبى على ما لم يقدر عليه سليمان مع أنه نبى، من إحضار عرش بلقيس فى طرفة عين؟

قلت: يجوز أن يخص غير النبى بكرامة لا يشاركه فيها النبى، كما خصت «مريم» بأنها كانت ترزق من فاكهة الجنة، و«زكريا» لم يرزق منها، ولم يلزم من ذلك فضلها على «زكريا» وقد نقل أن «سليمان» عليه السلام، كان إذا أراد الخروج إلى الغزاة، قال لفقراء المهاجرين والأنصار، ادعوا لنا بالنصرة، فإن الله ينصرنا بدعائكم، ولم يكونوا أفضل منه، مع أن كرامة التبع من جملة كرامة المتبوع.

---

٧٥٣ ـ انظر القرطبى ١٣/١٩.
٧٥٤ ـ راجع الطبرى ١٩/٩٦.
٧٥٥ ـ البحر المحيط ٧/٧٧.

ويحكى أن العلم الذى كان عند «آصف» هو اسم الله الأعظم، فدعا به فأجيب به فى الحال. وهو عند أكثر العلماء كما قال البندنيجى: اسم الله، وقيل: يا حى، يا قيوم، وقيل: ياذا الجلال والإكرام، وقيل: يا الله يارحمن، وقيل: يا إلهنا وإله كل شىء، إلهًا واحدًا، لا إله إلا أنت.

٧٥٦ ـ قوله تعالى: ﴿ .. قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٤) ﴾ حقيقة المعية: الإتفاق فى الزمان وسليمان كان مسلمًا قبلها وأن يقل بدل «مع سليمان» على يد سليمان، لأنها كانت ملكة، فلم تذكر عبارة تدل على أنها صارت مولاة له بإسلامها، وإن كان الواقع ذلك.

٧٥٧ ـ قوله تعالى: ﴿ وَأَنجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٥٣) ﴾.

قاله هنا بلفظ «أنجينا» وفى حم السجدة بلفظ «ونجينا» موافقة لما بعده هنا، ولما قبله وبعده ثم، فيما وزنه «أفعل» و«فعل» ثم حيث قال هنا بعد: ﴿فأنجيناه وأهله.. وأمطرنا﴾ وقال ثم قبله ﴿وزينا﴾ وبعده ﴿وقيضنا﴾.

٧٥٨ ـ قوله تعالى: ﴿ .. أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ .. (٦٠) ﴾.

ذكر هنا فى خمسة مواضع متوالية:

وختم الأولى بقوله: ﴿بل هم قوم يعدلون﴾.

والثانية بقوله: ﴿بل أكثرهم لا يعلمون﴾.

والثالثة بقوله: ﴿قليلا ما تذكرون﴾.

والرابعة بقوله: ﴿تعالى الله عما يشركون﴾.

والخامسة بقوله: ﴿قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾.

أى عدلوا، وأول الذنوب العدول عن الحق ثم لم يعلموا ولو علموا ما عدلوا، ثم لم يتذكروا فيعلموا بالنظر والاستدلال، فأشركوا من غير حجة وبرهان، قل لهم يا محمد: هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين.

---

٧٥٦ ـ انظر القرطبى ١٣/ ٢١٠ والطبرى ١٩/١٠٦.

٧٥٨ ـ انظر تفسير القرطبى ١٣/٢٢٧ ومتشابه القرآن ٢/٥٤٢/٥٤٦.

٧٥٩ - قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُم بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾﴾.

تجوز «بحكمه» عما يحكم به، وهو العدل وإلا فالقضاء والحكم واحد.

٧٦٠ - قوله تعالى: ﴿.. إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾﴾. خص المؤمنين بالذكر مع أن غيرهم مثلهم، لأنهم المنتفعون بالآيات.

٧٦١ - قوله تعالى: ﴿.. وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ .. ﴿٨٧﴾﴾ الآية.

قاله هنا بلفظ «فزع» وفى الزمر بلفظ «صعق» موافقة هنا لما بعده، وهو ﴿وهم من فزع يومئذ آمنون﴾ وفى الزمر لما قبله، وهو ﴿إنك ميت﴾ إذ معنى الصعق: الموت، وعبر فيهما بالماضى دون المضارع مع أنه أنسب، للإشعار تحقق الفزع والصعق ووقوعهما، إذ الماضى أدل على ذلك من المضارع.

٧٦٢ - قوله تعالى: ﴿.. وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ ﴿٨٧﴾﴾.

إن قلت: كيف قال: ﴿داخرين﴾ أى صاغرين أذلاء بعد البعث، مع أن النبيين والصديقين والشهداء والصالحين «يأتون معززين»[1] مكرمين؟

قلت: المراد صغار العبودية والرق وذلهما لا ذل المعاصى والذنوب، وذلك يعم الخلق كلهم، كما فى قوله تعالى: ﴿إن كل من فى السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبدا﴾.

٧٦٣ - قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا .. ﴿٩١﴾﴾.

أى حرم محرماتها من تنفير صيدها وغيره.

« تمت سورة النمل »

❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋

---

[1] فى الأصل: «عزيزين» ولعل الأنسب ما أثبتناه ليناسب ما بعده (لاشتقاقه من الرباعى).

سورة القصص

٧٦٤ ـ قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ .. ﴿٧﴾﴾ الآية، هى من معجزات الإيجاز، لاشتمالها على أمرين، ونهيين وخبرين متضمنين بشارتين، فى أسهل نظم، وأسلس لفظ، وأوجز عبارة.

فإن قلت: ما فائدة وحى الله تعالى إلى أم موسى بإرضاعه، مع أنها ترضعه طبعًا وإن لم تؤمر بذلك؟

قلت: أمرها بإرضاعه ليألف لبنها، فلا يقبل ثدى غيرها بعد وقوعه فى يد فرعون، فلو لم يأمرها به ربما[١] كانت تسترضع له مرضعة، فيفوت المقصود.

٧٦٥ ـ قوله تعالى: ﴿.. فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي.. ﴿٧﴾﴾.

إن قلت: جواب الشرط يجامعه وجوابه هنا الإلقاء وعدم الخوف، فكل منهما يجامعه: فيصدق بقوله: فإذا خفت عليه فلا تخافى عليه، وذلك تناقض؟

قلت: معناه فإذا خفت عليه القتل، فألقيه فى اليم ولا تخافى عليه الغرق، فلا تناقض.

فإن قلت: ما الفرق بين الخوف والحزن، حتى عطف أحدهما على الآخر فى الآية؟

قلت: الخوف غم يصيب الإنسان، لأمر يتوقعه فى المستقبل والحزن: غم يصيبه لأمر وقع ومضى.

---

٧٦٤ ـ راجع تفسير الطبرى ٢٠/ ٢٠.

[١] ج: «ما كانت تسترضع له».

٧٦٦ - قوله تعالى: ﴿.. فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ﴿١٥﴾﴾.

إن قلت: كيف جعل موسى قتله القبطى الكافر من عمل الشيطان، وسماه ظلمًا لنفسه واستغفر منه؟

قلت: أما جعله ذلك من عمل الشيطان، فلكونه كان الأولى له تأخير قتله إلى زمن آخر، فلما عجله ترك المندوب، فجعله من عمل الشيطان. وأما تسميته ظلمًا فمن حيث أنه حرم نفسه الثواب بترك المندوب أو من حيث أنه قال ذلك على سبيل الانقطاع إلى الله، والإعتراف بالتقصير عن القيام بحقوقه، وإن لم يكن ثمة ذنب، وأما استغفاره من ذلك فمعناه اغفر لى ترك ذلك المندوب.

٧٦٧ - قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ .. ﴿٢٠﴾﴾.

قاله هنا بتقديم «رجل» على ﴿من أقصى المدينة﴾ عكس فى «يس: ٢٠».

قيل: موافقة هنا لقوله قبل ﴿فوجد فيها رجلين يقتتلان﴾ واهتماما ثم بتقديم ﴿من أقصى المدينة﴾ لما روى أن الرجل «حزقيل» وقيل «حبيب» كان يعبد الله فى جبل فلما سمع خبر الرسول سعى مستعجلاً.

٧٦٨ - قوله تعالى: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ..﴿٢٥﴾﴾.

إن قلت: موسى لم يسق لابنتى شعيب طلبًا للأجر، فكيف أجاب دعوة شعيب فى قول ابنته له ﴿إن أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا﴾؟

قلت: يجوز أن يكون أجاب دعوته لوجه الله تعالى، على وجه البر والمعروف لا طلبًا للأجر وإن سمى فى الدعوة أجرًا.

٧٦٩ - قوله تعالى: ﴿.. وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ

---

٧٦٦ - انظر الطبرى ٢٠/٢٩.

٧٦٧ - انظر مختصر ابن كثير ٣/١٥٩ والبرهان ٣٦٥.

٧٦٩ - راجع «البرهان» بتحقيق السيد الجميلى مسألة ٣٦٦.

الصَّالحِينَ ﴿٢٧﴾﴾ قاله هنا بلفظ «الصالحين» وفى «الصافات:١٠٢» بلفظ ﴿الصابرين﴾ لأن ما هنا من كلام «شعيب» وهو المناسب للمعنى هنا، إذ المعنى ستجدنى من الصالحين فى حسن العشرة والوفاء بالعهد. وما هناك من كلام «اسماعيل» وهو المناسب للمعنى ثم، إذ المعنى ستجدنى من الصابرين على الذبح.

٧٧٠ - قوله تعالى: ﴿.. فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴿٣٤﴾﴾.

أى يوضح حججى، ويؤيدها بما رزقه الله من فصاحة اللسان.

٧٧١ - قوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَن جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِ..﴿٣٧﴾﴾ الآية.

قاله هنا بزيادة الباء وبعد بدونها تقوية للعامل هنا بحسب الظان، لضعفه عن العمل، وحذفه بعد اكتفاء بدلالة الأول عليه.

٧٧٢ - قوله تعالى: ﴿.. فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ..﴿٣٨﴾﴾.

قاله هنا بحذف «أبلغ الأسباب. أسباب السماوات» وقال فى «غافر:٣٧» بذكره، لأن ما هنا تقدمه ﴿ما علمت لكم من إله غيرى﴾ من غير ذكر أرض وغيرها، فناسبه الحذف، وما هناك تقدمه ﴿إنى أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر فى الأرض الفساد﴾ فناسبه مقابلته بالسماء فى قوله ﴿لعلى أبلغ الأسباب. أسباب السماوات﴾.

٧٧٣ - قوله تعالى: ﴿.. وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴿٣٨﴾﴾.

قال ذلك هنا، وقال فى غافر ﴿وإنى لأظنه كاذبًا﴾ موافقة للراوى هنا، وعلى الأصل بلا معارض ثم.

---

٧٧١ - راجع البرهان بتحقيق السيد الجميلى مسألة ٣٦٧.

٧٧٢ - انظر تفسير الطبرى ٤٩/٢٠. والبرهان مسألة رقم ٣٦٨.

٧٧٤ - قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ..﴿٤٤﴾﴾.

إن قلت: أولها يغنى عن قوله ﴿وما كنت من الشاهدين﴾؟

قلت: لا، إذ معنى أولها: ما كنت يا محمد حاضرًا حين أحكمنا إلى موسى الوحى، ومعنى ﴿وما كنت من الشاهدين﴾ أى الحاضرين قصته مع شعيب عليهم السلام فاختلفت القصتان.

٧٧٥ - قوله تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا..﴿٦٠﴾﴾.

قاله هنا بالواو وفى «الشورى:٣٦» بالفاء، لأن ما هنا لم يتعلق بما قبله كبير تعلق، فناسب الإتيان به بالواو، المقتضية لمطلق الجمع، وما هناك متعلق بما قبله أشد تعلق، لأنه عقب ما لهم من المخافة، بما لهم من الأمنة، فناسب الإتيان به بالفاء، المقتضية للتعقيب.

٧٧٦ - قوله تعالى: ﴿..فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا..﴿٦٠﴾﴾.

قال هنا بزيادة ﴿وزينتها﴾ وفى الشورى بحذفه، لأن ما هنا لسبقه، قصد فيه ذكر جميع ما بسط من رزق أعراض الدنيا، فذكر ﴿وزينتها﴾ مع المتاع، ليستوعب جميع ذلك، إذ المتاع ما لا بد منه فى الحياة، من مأكول، ومشروب، وملبوس، ومسكون، ومنكوح، والزينة ما يتجمل به الإنسان، وحذفه فى الشورى اختصارًا.

٧٧٧ - قوله تعالى: ﴿..فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ﴿٦٤﴾﴾.

جوابه محذوف تقديره: لما رأوا العذاب، ولا ينصح أن يكون جوابها ما قبلها، لأن من يرى العذاب يكون ضالاً لا مهتديًا.

---

٧٧٤ - القرطبى ١٣/ ٢٩٠.

٧٧٦ - انظر تفسير البحر المحيط ٧/ ١٢٨ والبرهان ٣٧١.

٧٧٨ ـ قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ..﴿٧١﴾﴾ الآيتين. ختم آية الليل بقوله ﴿أفلا يسمعون﴾؟ وآية النهار بقوله: ﴿أفلا يبصرون﴾؟ لمناسبة الليل المظلم الساكن للسماع، ومناسبة النهار المنير للابصار. وإنما قدم الليل على النهار، ليستريح الإنسان فيه فيقوم إلى تحصيل ما هو مضطر إليه، من عبادة وغيرها بنشاط وخفة ألا ترى أن الجنة نهارها دائم إذ لا تعب فيها يحتاج إلى ليل يستريح أهلها فيه؟

٧٧٩ ـ قوله تعالى: ﴿.. وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾. ﴿ويكأن﴾ إعادة بعد لاتصال كل منهما بما لم يتصل به الآخر، «وى» قال سيبويه كغيره: إنها صلة وهى كلمة تدل على الندم، وقال الأخفش: أصلها «ويك» و«آن» بعده منصوب بإضمار اعلم أى اعلم أن الله فعل الأول يوقف على «وى» وبه قرأ للكسائى، وعلى الثانى يوقف على «ويك» وبه قرأ أبو عمرو والجمهور يقفون على «ويكأن» تبعًا للرسم ويجوزون الوقوف عليه بهاء السكت.

« تمت سورة القصص »

❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋

---

٧٧٨ ـ انظر التفسير الكبير للرازى ٢٥/ ١١ والبرهان ٣٧٢.

٧٧٩ ـ راجع تفسير القرطبى ١٣/ ٣٢٢.

سورة العنكبوت

٧٨٠ ـ قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا .. ﴿٨﴾﴾ أى برًا ذا حسن.

ذكره هنا، وفى «الأحقاف: ١٥» إحسانًا وحذفه فى «لقمان: ١٤» مع أن الثلاثة نزلت فى «سعد بن مالك» ،وهو «سعد بن أبى وقاص» على خلاف فيه، لأن الوصية هنا وفى الأحقاف جاءت فى سياق الأجمال، وفى لقمان جاءت مفصلة لما تقدمها من تفصيل كلام لقمان لابنه، ولأن قوله بعدها ﴿أن اشكر لى ولوالديك﴾ قائم مقامه، فحسن حذفه.

٧٨١ ـ قوله تعالى: ﴿.. وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا.. ﴿٨﴾﴾ قال ذلك هنا، وقال فى لقمان ﴿على أن تشرك﴾ موافقة هنا لفظًا، للفظ اللام فى قوله ﴿ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه﴾ وحملاً للمعنى بطريق التضمين فى لقمان إذ التقدير: وإن حملاك على أن تشرك بى.

٧٨٢ ـ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلاَّ خَمْسِينَ عَامًا .. ﴿١٤﴾﴾.

إن قلت: ما فائدة العدول إلى ما قاله عن تسعمائة وخمسين، مع أنه عادة الحساب؟

قلت: فائدته تسلية النبى ﷺ، إذ القصة مسوقة لتسليته بما ابتلى به نوح عليه الصلاة والسلام، من مكابدة أمته فى أطول المدد، فكان ذلك أقصى العقود، التى لا عقد أكثر منه فى مراتب العدد أفخر وأفضى إلى المقصود، وهو استطالة التسامح مدة صبره، وفيه فائدة أخرى وهى نفى توهم إرادة

---

٧٨١ ـ راجع البرهان مسألة ٣٧٥ والرازى ٢٥/٣٦.
٧٨٢ ـ البحر المحيط ٧/ ١٤٥.

المجاز بإطلاق لفظ تسع المائة والخمسين على أكثرها، فإن هذا التوهم مع ذكر الألف والاستثناء منتف أو أبعد.

وجاء المميز الأول بلفظ «السنة» والثانى بلفظ «العام» لكراهة التكرار.

٧٨٣ ـ قوله تعالى: ﴿ .. **إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ .. ﴿١٧﴾** ﴾.

نكر الرزق أولاً، ثم عرفه ثانيًا، لأنه أراد بذلك أن الذين تعبدون من دون الله، لا يستطيعون أن يرزقوكم شيئًا من الرزق فابتغوا من الله الرزق كله، فإنه هو الرازق لا غيره.

٧٨٤ ـ قوله تعالى: ﴿**قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ .. ﴿٢٠﴾** ﴾.

إن قلت: كيف أضمر لفظ «الله» أولاً، ثم أظهره ثانيًا مع أن القياس العكس؟

قلت: تنبيهًا على عظم إنشائهم أى إعادتهم لأنها التى ينكرها الكافر، فناسب ذكر الظاهر للإيضاح.

٧٨٥ ـ قوله تعالى: ﴿**وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ .. ﴿٢٢﴾** ﴾ الآية.

قال ذلك هنا، واقتصر فى «الشورى: ٣١» على ﴿فى الأرض﴾ لأن ما هنا خطاب لقوم فيهم «النمرود» الذى حاول الصعود إلى السماء، فأخبرهم بعجزهم وأنهم لا يفوتون الله، لا فى الأرض ولا فى السماء، وما فى الشورى خطاب لمن لم يحاول الصعود إلى السماء، وقيل: خطاب للمؤمنين بقرينة قوله ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير﴾ وقد حذفا معًا للاختصار فى قوله فى الزمر ﴿وما هم بمعجزين﴾.

---

٧٨٣ ـ راجع الطبرى.

٧٨٤ ـ انظر البرهان.

٧٨٥ ـ راجع الطبرى ٢٠/ ٩٠ والبحر المحيط ٧/ ١٤٧ البرهان ٣٧٧.

٧٨٦ ـ قوله تعالى: ﴿.. فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ(٢٤)﴾ قاله هنا بالجمع، وقاله بعد فى قوله: ﴿خلق الله السموات والأرض بالحق إن فى ذلك لآية للمؤمنين﴾ بالتوحيد، لأن ما هنا إشارة إلى إثبات النبوة القائمة بالنبيين وهم كثيرون فناسب الجمع، وما بعد إشارة إلى التوحيد القائم بواحد وهو الله لا شريك له.

٧٨٧ ـ قوله تعالى: ﴿.. وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ(٢٧)﴾.

إن قلت: قال ذلك فى معرض المدح لإبراهيم عليه السلام، أو الامتنان عليه، وأجر الدنيا فإنه منقطع بخلاف أجر الآخرة، فكيف ذكره دون أجر الآخرة؟

قلت: بل ذكره أيضًا فى قوله: ﴿وإنه فى الآخرة لمن الصالحين﴾ إذ المعنى أن له فى الآخرة أجر الصالحين وافيًا كاملاً، لكن أخره موافقة للفواصل، وأجره فى الدنيا قيل: هو لثناء الحسن، والمحبة من الناس، وقيل: هو البركة التى باركها الله تعالى فيه وفى ذريته.

٧٨٨ ـ قوله تعالى: ﴿وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ .. (٤٦)﴾.

إن قلت: كيف قال ﴿إلا الذين ظلموا﴾ مع أن جميع أهل الكتاب ظالمون، لأنهم كافرون قال تعالى: ﴿والكافرون هم الظالمون﴾؟

قلت المراد بالظلم هنا: الامتناع عن قبول عقد الذمة، أو نقض العهد بعد قبوله.

٧٨٩ ـ قوله تعالى: ﴿.. فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا .. (٦٣)﴾ قاله هنا بذكر ﴿من﴾ وفى البقرة: ١٦٤» و«الجاثية: ٥» بحذفها موافقة لما قبله هنا فى قوله ﴿من عباده﴾ و﴿من السماء﴾ بخلاف ذلك فى البقرة والجاثية.

---

٧٨٨ ـ راجع البحر المحيط لأبى حيان ٧/ ١٥٥.
٧٨٩ ـ راجع البرهان ٣٨٤.

٧٩٠ - ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾.

إن قلت: المجاهدة فى دين الله إنما تكون بعد الهداية، فكيف جعل الهداية من ثمرتها؟

قلت: معناه جاهدوا فى طلب العلم، لنهدينهم سبلنا بمعرفة الأحكام وحقائقها أو جاهدوا فى نيل درجة، لنهدينهم إلى أعلى منها، قال تعالى: ﴿والذين اهتدوا زادهم هدى﴾ وقال تعالى: ﴿ويزيد الله الذين اهتدوا هدى﴾.

« تمت سورة العنكبوت »

****

سورة الروم

٧٩١ ـ قوله تعالى: ﴿أَوَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ .. ⟨٩⟩﴾.

قاله هنا، وفى فاطر، وأول «المؤمنون : ٨٢» بالواو، وفى آخرها بالفاء لأن ما هنا موافق لما قبله وهو ﴿أولم يتفكروا﴾ ولما بعده وهو ﴿وأثاروا الأرض﴾ وما فى فاطر موافق أيضًا لما قبله وهو ﴿ولن تجد لسنة الله تبديلا﴾ ولما بعده وهو ﴿وما كان الله ليعجزه﴾ وما فى أول المؤمنون موافق لما قبله وهو ﴿والذين تدعون من دونه﴾ وما فى آخرها موافق لما قبله وهو ﴿فأى آيات الله تنكرون﴾ وما بعده وهو ﴿فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون﴾ فناسب فيه الفاء وفى الثلاثة قبله الواو.

٧٩٢ ـ قوله تعالى: ﴿ .. فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً .. ⟨٩⟩﴾.

قاله هنا بحذف ﴿كانوا﴾ قبل قوله ﴿من قبلهم﴾ وحذف الواو بعده، وقاله فى «فاطر: ٤٤» بحذف ﴿كانوا﴾ أيضًا وبذكر الواو.

وفى أوائل «غافر: ٢١» بذكر ﴿كانوا﴾ دون الواو، وزيادة ﴿هم﴾ وفى أواخرها بحذف الجميع، لأن ما فى أوائلها وقع فيه قصة نوح وهى مبسوطة فيه، فناسب فيه البسط وحذف الجميع فى أواخرها اختصارًا، لدلالة ذلك عليه وما هنا وفى فاطر موافقة لذكرها قبل وبعد.

٧٩٣ ـ قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا .. ⟨٢١⟩﴾.

---

٧٩١ ـ انظر القرطبى ١٤/ ٩ والبرهان ٣٨٦.

٧٩٣ ـ راجع متشابه القرآن مسألة ٥٧٦.

ختمها بقوله: ﴿لقوم يتفكرون﴾ لأن الفكر يؤدى إلى الوقوف على المعانى المطلوبة، من التونس والتجانس بين الأشياء كالزوجين.

ثم قال: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ الآية وختمها بقوله: ﴿لآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ﴾ لأن الكل يظلهم السماء ويقلهم الأرض وكل منهم متميز بلطيفة يمتاز بها عن غيره، وهذا يشترك فى معرفته جميع العالمين.

ثم قال: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ وختمها بقوله: ﴿لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ لأن من يسمع سماع تدبر، أن النوم من صنع الله الحكيم، لا يقدر على اجتلابه إذا امتنع ولا على رفعه إذا ورد، يعلم أن له صانعًا مدبرًا.

ثم قال: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ وختمها بقوله: ﴿لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ لأن العقل ملاك الأمر وهو المؤدى إلى العلم - فيما ذكر - وغيره.

٧٩٤ - قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ..﴿٢٧﴾﴾ الآية، الضمير فيه مع أنه راجع إلى الإعادة المأخوذة من لفظ ﴿يعيده﴾ فى قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ نظرًا إلى المعنى دون اللفظ، وهو رجعه أو رده، كما نظر إلى المعنى فى قوله ﴿لنحيى به بلدة ميتا﴾، أى مكانًا ميتًا.

٧٩٥ - قوله تعالى: ﴿أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ.. ﴿٣٧﴾﴾.

قاله هنا بلفظ ﴿أولم يروا﴾ وفى الزمر بلفظ ﴿أولم يعلموا﴾ لأن بسط الرزق مما يرى، فناسب ذكر الرؤية، وما فى الزمر تقدمه ﴿أوتيته على علم﴾ فناسب ذكر العلم.

٧٩٦ - قوله تعالى: ﴿.. وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ .. ﴿٤٦﴾﴾.

قال ذلك هنا، وقال فى الجاثية بزيادة ﴿فيه﴾ لأن ما هنا لم يتقدمه مرجع الضمير، وثم تقدم له مرجع وهو البحر، حيث قال: ﴿الله الذى سخر لكم البحر﴾.

---

٧٩٤ - انظر الطبرى ٢١/٢٥.

٧٩٥ - انظر البرهان ٣٩٢.

٧٩٦ - البرهان ٣٩٣.

٧٩٧ ـ قوله تعالى: ﴿ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾.

فائدة ذكر ﴿من قبل﴾ بعد قوله: ﴿من قبل﴾ التأكيد، وقيل: الضمير لإرسال الرياح أو للسحاب فلا تكرار.

٧٩٨ ـ قوله تعالى: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ .. ﴿٥٤﴾ ﴾ الآية.

إن قلت: كيف قال ذلك، مع أن الضعف صفة، والمخاطبون لم يخلقوا من صفة بل من عين، وهى الماء أو التراب؟

قلت: المراد بالضعف «الضعيف» من إطلاق المصدر على اسم الفاعل، كقولهم: رجل عدل أى عادل، فمعناه من ضعيف وهو النطفة.

٧٩٩ ـ قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ..﴿٥٦﴾ ﴾ أى لبثتم فى قبوركم فى علم كتاب الله، أو فى خبره، أو فى قضاء الله.

٨٠٠ ـ قوله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴿٥٧﴾ ﴾.

أى لا يطلب منهم الأعتاب إى الرجوع إلى الله تعالى.

إن قلت: كيف قال ذلك مع قوله فى فصلت: ﴿وإن يستعتبوا فما هم من المعتبين﴾ حيث جعلهم مطلوبًا منهم الاعتاب، وهم طالبين له؟

قلت: معنى قوله ﴿ولا هم يستعتبون﴾ أى ولا هم يقالون عثراتهم بالرد إلى الدنيا، ومعنى قوله: ﴿وإن يستعتبوا فما هم من المعتبين﴾ أى إن يستقيلوا فما هم من المقالين، فلا تنافى.

« تمت سورة الروم »

****

٧٩٧ ـ انظر الطبرى ٢١/ ٣٥.

٧٩٩ ـ انظر البحر المحيط ٧/ ١٨٠.

سورة لقمان

٨٠١ ـ قوله تعالى: ﴿.. وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا.. ﴿٧﴾﴾.

قال هنا بزيادة ﴿كأن فى أذنيه وقرا﴾ وفى «الجاثية: ٨» بحذفه مع أنهما نزلا فى «النضر بن الحارث» حيث كان يعدل عن سماع القرآن، إلى اللهو وسماع الغناء، لأنه تعالى بالغ فى ذمه هنا، فناسب زيادة ذلك بخلاف ما فى الجاثية.

٨٠٢ ـ قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ.. ﴿١٤﴾﴾ الآيتين.

إن قلت: كيف وقعت الآيتان فى أثناء وصية لقمان لابنه؟

قلت: هما من الجمل الاعتراضية، التى لا محل لها من الإعراب، اعترض بها بين كلامين متصلين معنى، تأكيدًا لما فى وصية لقمان لابنه من النهى عن الشرك.

فإن قلت: لم فصل بين الوصية ومفعولها بقوله ﴿حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين﴾؟

قلت: تخصيصًا للأم بزيادة التأكيد فى الوصية، لما تكابده من المشاق.

٨٠٣ ـ قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ.. ﴿٢٧﴾﴾.

إن قلت: المطابق لأولها أن يقال: وما فى الأبحر من ماء مداد، فلم عدل عنه إلى قوله ﴿والبحر يمده من بعده سبعة أبحر﴾؟

---

٨٠١ ـ متشابه القرآن مسألة ٥٨٤.

٨٠٢ ـ انظر الطبرى.

قلت: استغنى عن المداد بقوله ﴿يمده﴾ من مد الدواة وأمدها أى زادها مدادًا، فجعل البحر المحيط بمنزلة الدواة، والأبحر السبعة مملوءة مدادًا أبدًا لا تنقطع، فصار نظير ما قلتم، ونظير قوله تعالى: ﴿قل لو كان البحر مدادًا لكلمات ربى﴾ الآية، وأشار بـ «لو» إلى أن البحار غير موجودة أى لو مدت البحار الموجودة سبعة أبحر أخرى، وذكر السبعة ليس للحصر بل للمبالغة وإنما خصت بالذكر لكثرة ما يعد بها كالكواكب السيارة والسماوات والأرض وغيرها، ولأنها عدد تنحصر فيه المعدودات الكثيرة، إذ كل أحد يحتاج فى حاجته إلى زمان ومكان، والزمان منحصر فى سبعة أيام، والمكان فى سبعة أقاليم.

فإن قلت: المقصود هنا التفخيم والتعظيم، فكيف أتى بجمع القلة فى قوله: ﴿كلمات الله﴾؟

قلت: جمع القلة هنا أبلغ فى المقصود، لأن جمع القلة إذا لم ينفد ما ذكر من الأقلام والمداد، فكيف ينفد به جمع الكثرة؟

٨٠٤ ـ قوله تعالى: ﴿ .. كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى .. ﴿٢٩﴾ ﴾.

قاله هنا بلفظ ﴿إلى﴾ وفى «فاطر:١٣» والزمر بلفظ اللام، لأن ما هنا وقع بين اثنتين دالتين على غاية ما ينتهى إليه الخلق، وهما قوله تعالى: ﴿ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة﴾ وقوله: ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يومًا﴾ الآية، فناسب ذكر ﴿إلى﴾ الدالة على الانتهاء، والمعنى لا يزال كل من الشمس والقمر جاريًا حتى ينتهى إلى آخر وقت جريه المسمى له، وما فى فاطر والزمر خال عن ذلك، إذ ما فى فاطر لم يذكر مع ابتداء خلق ولا انتهاء به، وما فى الزمر ذكر مع ابتداء به فناسب ذكر اللام المعدية، والمعنى: يجرى كل مما ذكر لبلوغ أجل.

٨٠٥ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ .. ﴿٣٤﴾﴾ الآية. أضاف فيها العلم إلى نفسه فى الثلاثة من الخمسة المذكورة، ونفى العلم عن العباد فى الأخيرين منها، مع أن الخمسة سواء فى اختصاص الله تعالى بعلمها، وانتفاء علم العباد بها، لأن الثلاثة الأول أمرها عظيم وأفخم، فخصت بالإضافة إليه تعالى، والأخيرين من صفات العباد، فخصا بالإضافة إليهم، مع أنه إذا انتفى عنهم علمها، كان انتفاء علم ما عداها من الخمسة أولى.

فإن قلت: لم قال تعالى: ﴿بأى أرض تموت﴾ ولم يقل: بأى وقت تموت، مع أن كلا منهما غير معلوم لغيره، بل نفى العلم بالزمان أولى، لأن من الناس من يدعى علمه بخلاف المكان.

قلت: إنما خص المكان بنفى علمه، لأن الكون فى مكان دون مكان فى وسع الإنسان وختياره فاعتقاده، علم مكان موته أقرب، بخلاف الزمان، ولأن للمكان دون الزمان تأثيرًا فى جلب الصحة والسقم أو تأثيره فيهما أكثر.

« تمت سورة لقمان »

****

---

٨٠٥ ـ انظر تفسير الطبرى ٢١/٥٥، والقرطبى ١٤/٨٢.

سورة السجدة

٨٠٦ ـ قوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ..﴿٥﴾﴾.

إن قلت: لم قال هنا ﴿فى يوم مقداره ألف سنة﴾ وفى «المعارج: ٤» ﴿فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾؟

قلت: المراد باليوم هنا ـ مدة عروج الله تعالى ـ أى عروج تدبيره وأمره ـ من الأرض إلى السماء الدنيا، وبه تم عروج الملائكة من الأرض إلى العرش.

أو المراد به فى الموضعين: ﴿يوم القيامة﴾ ومقداره ألف سنة من حساب أهل الدنيا، إذا تولى الحساب فيه الله تعالى: وخمسين ألف سنة لو تولى فيه الحساب غير الله تعالى.

أو المراد: أنه كألف سنه فى حق خواص المؤمنين، وخمسين ألف سنة فى حق عوامهم.

أو المراد: أنه كألف فى حق خواص المؤمنين، وخمسين ألف سنة فى حق الكافرين.

٨٠٧ ـ قوله تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ مِن طِينٍ﴿٧﴾﴾ بسكون اللام وفتحها.

إن قلت: كيف قال ذلك مع أن فى مخلوقاته تعالى قبيحًا، كالشرور والمعاصى؟

قلت: ﴿أحسن﴾ بمعنى أتقن وأحكم أو ﴿أحسن﴾ بمعنى سلم كما يقال، فلان لا يحسن شيئًا أى لا يعلمه، فمعناه بسكون اللام: علم خلق كل شىء وبفتحها: علم كل شىء ﴿خلقه﴾.

---

٨٠٦ ـ انظر تفسير القرطبى ١٤/ ٨٦ والبحر المحيط ٨/ ٣٣٢ والبرهان ٣٩٦.

٨٠٨ ـ قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾﴾.

قاله هنا بلفظ ﴿من ماء مهين﴾ وفى المؤمنين ﴿من سلالة من طين﴾ لأن المذكور هنا صفة ذرية آدم، والمذكور ثم صفة آدم عليه السلام.

٨٠٩ ـ قوله تعالى: ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ .. ﴿٩﴾﴾.

المراد بـ ﴿روحه﴾ جبريل، وإلا فالله منزه عن الروح، الذى يقوم به الجسد، وتكون به الحياة وإضافة إلى نفسه تشريفًا وإشعارًا بأنه خلق عجيب مناسب للمقام.

٨١٠ ـ قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ .. ﴿١١﴾﴾.

الآية، هو «عزرائيل» عليه السلام قال ذلك هنا، وقال فى الأنعام ﴿حتى إذا جاء أحدهم الموت توفته رسلنا﴾ وفى الزمر ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها﴾ ولا منافاة لأن الله هو المتوفى حقيقة، بلغه الموت، ويأمر الوسائط بنزع الروح ـ وهم غير ملك الموت أعوان له ـ ينزعونها من الأظافير إلى الحلقوم، وملك الموت ينزعها من الحلقوم، فصحت الإضافات كلها.

٨١١ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا .. ﴿١٥﴾﴾.

إن قلت: كيف قال ذلك، مع أن المؤمنين ليسوا منحصرين فيمن اتصف بهذه الصفة، ولا هذه الصفة شرط فى تحقق الإيمان؟

قلت المراد بـ «ذكروا» وعظوا وبالسجود: الخشوع، والخضوع، والتواضع فى قبول الموعظة، وذلك شرط فى تحقق الإيمان. أو المراد بالمؤمن: الكامل إيمانًا.

٨١٢ ـ قوله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لاَّ يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾﴾.

المراد بالفاسق هنا: الكافر بقرينة التفصيل بعده وإلا فالفاسق مؤمن،

---

٨١٠ ـ انظر الطبرى ٢١/٦١.

ونظيره قوله تعالى: ﴿أفنجعل المسلمين كالمجرمين﴾؟ وقوله: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ .. ﴿٢١﴾﴾ «الجاثية: ٢١» إذ ليس كل مجرم ومسيء كافر.

٨١٣ ـ قوله تعالى: ﴿.. وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾﴾.

قال ذلك هنا، وقال فى «سبأ: ٤٢» ﴿عذاب النار التى كنتم بها تكذبون﴾.

ذكر الوصف والضمير هنا، نظرًا للمضاف وهو العذاب وانتهما ثم نظرًا للمضاف إليه وهو النار، وخص ما هنا بالتذكير، لأن النار وقعت موقع ضميرها لتقدم ذكره، والضمير لا يوصف فناسب التذكير، وفى سبأ لم يتقدم ذكر النار ولا ضميرها فناسب التأنيث.

٨١٤ ـ قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٨﴾﴾.

إن قلت: هذا سؤال عن وقت الفتح ـ وهو يوم القيامة ـ فكيف طابقه الجواب بقوله: ﴿قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم﴾؟

قلت: لما كان سؤالهم سؤال تكذيب واستهزاء بيوم القيامة، لا سؤال استفهام، أجيبوا بالتهديد المطابق للتكذيب والاستهزاء، لا بيان حقيقة المؤقت، وإن فسر الفتح بـ «فتح مكة» أو بيوم بدر، كان المراد أن المتولين لم ينفعهم إيمانهم حال القتل كإيمان فرعون، بخلاف الطلقاء الذين آمنوا بعد الأسر، فالجواب بذلك مطابق للسؤال من غير تأويل.

« تمت سورة السجدة »

❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋

٨١ ـ انظر القرطبى ١٤/ ١١٢.

سورة الأحزاب

٨١٥ ـ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ..(١)﴾.

لم يقل فى ندائه «يا محمد» كما قال فى نداء غيره «يا موسى، ياعيسى، يا داود»، بل عدل إلى «يا أيها النبى» إجلالاً له وتعظيمًا، كما قال: ﴿يا أيها الرسول﴾«٦» وإنما عدل عن وصفه إلى اسمه فى الإخبار عنه فى قوله ﴿محمد رسول الله﴾ وقوله ﴿وما محمد إلا رسول﴾ ليعلم الناس أنه رسول الله، ليلقبوه بذلك ويدعوه به.

٨١٦ ـ قوله تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ..(٦)﴾ أى فى الحرمة والاحترام، وإنما جعلهن الله كالأمهات ولم يجعل نبيه كالأب، حتى قال: ﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم﴾ لأنه تعالى أراد أن أمته، يدعون أزواجه بأشرف ما تنادى به النساء وهو الأم، وأشرف ما ينادى به النبى ﷺ لفظ (الرسول) لا الأب ولأنه تعالى جعلهن كالأمهات، إجلالاً لنبيه لئلا يطمع أحد فى نكاحهن بعده، ولو جعله أبًا للمؤمنين لكان أبًا للمؤمنات أيضًا فيحرمن عليه وذلك ينافى إجلاله وتعظيمه، ولأنه تعالى جعله أولى بنا من أنفسنا، وذلك أعظم من الأب فى القرب والحرمة، إذ لا أقرب للإنسان من نفسه ولأن من الأباء من يتبرأ من ابنه ولايمكنه أن يتبرأ من نفسه.

٨١٧ ـ قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ ..(٧)﴾ فيها عطف الخاص على العام وقدم النبى ﷺ فى الذكر، على مشاهير الأنبياء لبيان شرفه وفضله عليهم ﷺ أجمعين، وإنما قدم نوح فى آية ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا﴾ لأنها سيقت لوصف ما بعث به نوح من العهد

القديم، وما بعث به نبينا من العهد الحديث، وما بعث به من توسطهما من الأنبياء المشاهير، فكان تقديم نوح فيها أشد مناسبة للمقصود.

٨١٨ ـ قوله تعالى: ﴿ .. وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ ﴾.

فائدة إعادته التأكيد، أو المراد بالميثاق الغليظ: هو اليمين بالله تعالى، على الوفاء بما حملوا، وعليه فلا إعادة لاختلاف الميثاقين.

٨١٩ ـ قوله تعالى: ﴿ .. وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ .. ﴿٢٤﴾ ﴾.

إن قلت: كيف علق عذابهم بمشيئته مع أن عذابهم متيقن الوقوع لقوله تعالى: ﴿إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار﴾؟

قلت: معناه إن شاء عذبهم ـ وقد شاء أو أن شاء موتهم على النفاق.

٨٢٠ ـ قوله تعالى: ﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ .. ﴿٣٠﴾ ﴾.

المراد بالفاحشة: النشوز وسوء الخلق.

إن قلت: لم خص الله تعالى نساء النبى ﷺ بتضعيف العقوبة على المذنب، والمثوبة على الطاعة؟

قلت: أما الأولى فلأنهن يشاهدن من الزواجر الرادعة عن الذنوب، ما لا يشاهده غيرهن، ولأن فى معصيتهن أذى لرسول الله ﷺ وذنب من آذى رسول الله ﷺ من ذنب غيره.

وأما الثانى: فلأنهن أشرف من سائر النساء لقربهن من رسول الله ﷺ، فكانت الطاعة منهن أشرف كما أن المعصية منهن أقبح.

٨٢١ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ .. ﴿٣٥﴾ ﴾.

إن قلت: لم عطف أحدهما على الآخر مع أنهما متحدان شرعًا؟

---

٨٢٠ ـ راجع تفسير القرطبى ١٤/ ١٧٤ والبحر المحيط ٧/ ٢٢٨.

قلت: ليسا بمتحدين مطلقًا بل هما متحدان صدقًا لا مفهومًا أخذًا من الفرق بين الإسلام والإيمان الشرعيين، إذ الإسلام الشرعى: هو التلفظ بالشهادتين، بشرط تصديق القلب بما جاء به النبى ﷺ والإيمان الشرعى عكس ذلك ويكفى فى العطف المقتضى للاختلاف اختلافهما مفهومًا وإن اتحدا صدقًا.

٨٢٢ ـ قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ .. ﴿٤٠﴾﴾ الآية، هو جواب عن سؤال مقدر، تقديره: أمحمد أبو زيد ابن حارثة؟ فأجيب بنفى الأعم المستلزم لنفى الأخص، إذ لو اقتصر على قوله: ما كان محمد أبا زيد لقيل: وماذا يلزم منه؟ فقد كان للأنبياء أبناء فجيء بنفى الأعم تمهيدًا للاستدراك بأنه رسول الله وخاتم النبيين.

إن قلت: كيف صح نفى الأبوة عنه، وكان أبًا للطيب والطاهر والقاسم وإبراهيم؟

قلت: قد قيد النفى بقوله ﴿من رجالكم﴾ لأن إضافة الرجال إلى المخاطبين تخرج أبناءه لأنهم رجاله لا رجالهم، ولأن المفهوم منهم بقرينة المقام الرجال البالغون، وأبناؤه ليسوا كذلك، إذ لو كان له ابن بالغ لكان نبيًا، فلا يكون هو خاتم النبيين.

فإن قلت: كيف قال تعالى: ﴿وخاتم النبيين﴾ وعيسى عليه السلام ينزل بعده وهو نبى؟

قلت: معنى كونه ﴿خاتم النبيين﴾ أنه لا يتنبأ أحد بعده، وعيسى نبى قبله وحين ينزل عاملاً بشريعة محمد ﷺ.

٨٢٣ ـ قوله تعالى: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾﴾.

إن قلت: كيف شبه الله تعالى نبيه ﷺ بالسراج دون الشمس مع أنها أتم؟

قلت: المراد بالسراج هنا: الشمس، كما قال تعالى: ﴿وجعل الشمس سراجا﴾ أو شبهه بالسراج لأنه تفرع منه بهدايته جميع العلماء، كما يتفرع من السراج سرج لا تحصى بخلاف الشمس.

٨٢٤ - قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ..﴿٤٩﴾﴾ التقييد بالمؤمنات خرج مخرج الغالب، وإلا فالكتابيات مثلهن فيما ذكر فى الآية.

٨٢٥ - قوله تعالى: ﴿..وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالاتِكَ..﴿٥٠﴾﴾.

أفرد العم والخال، وجمع العمات والخالات لأن العم والخال بوزن مصدرين وهما «الضم» و«المال» والمصدر يستوى فيه المفرد والجمع بخلاف العمة والخالة، ولا يرد على ذلك جمع العم والخال فى قوله فى النور: ﴿أو بيوت أعمامكم أو بيوت أخوالكم﴾ لأنهما ليسا مصدرين حقيقة، فاعتبر هنا حقيقتهما، وثم شبههما.

٨٢٦ - قوله تعالى: ﴿لا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلا أَبْنَائِهِنَّ..﴿٥٥﴾﴾.

إن قلت: كيف ذكر فيها الأقارب ولم يذكر العم والخال مع أن حكمهما حكمهم فى رفع الجناح؟

قلت: قد مر مثل هذا السؤال وجوابه فى قوله: ﴿ولا يبدين زينتهن﴾ الآية، فراجعه.

٨٢٧ - قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلا﴿٦٧﴾﴾.

عطف الأول على الثانى، مع أنهما بمعنى لتغايرهما لفظًا، كقولهم: فلان عاقل لبيب، وقول الشاعر: «معاذ الله من كذب ومين»(*) وتقدم نظيره.

٨٢٨ - قوله تعالى: ﴿.. فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً﴿٧٢﴾﴾.

---

٨٢٤ - راجع القرطبى ١٤/٢١٢.

٨٢٨ - راجع الطبرى ٢٢/٣٨ والقرطبى ٢٤/٢٥٣ والبحر المحيط ٧/٢٥٣.

* المين: الكذب، والشطر من بحر الوافر.

إن قلت: الإنسان هنا آدم عليه السلام، فكيف وصفه بظلوم وجهول، وهما صفتا مبالغة؟

قلت: لأنه لجلالة قدره، ورفعة محله، كان ظلمه لنفسه - بما حمله وجهله به وإن قل - أفحش من غيره أو لتعدى ضررهما لجميع الناس، لإخراجهم من الجنة بواسطته.

« تمت سورة الأحزاب »

****

سورة سبأ

٨٢٩ ـ قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ .. ﴿٩﴾﴾ «مابين يدى الإنسان»: كل ما يقع نظره عليه من غير أن يحول وجهه إليه. «وما خلفه»: هو كل ما يقع نظره عليه حتى يحوله إليه فيعم الجهات كلها.

فإن قلت: هلا ذكر الأيمان والشمائل كما ذكرها فى قوله: ﴿ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم﴾؟

قلت: لأنه وجد هنا ما يغنى عن ذكرهما، من لفظ العموم والسماء والأرض بخلافه ثم.

٨٣٠ ـ قوله تعالى: ﴿ .. إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٩﴾﴾.

قاله هنا بتوحيد «الآية» وقال بعده ﴿إن فى ذلك لآيات لكل صبار شكور﴾ بجمعهما لأن ما هنا إشارة إلى إحياء الموتى، فناسب التوحيد. وما بعد إشارة إلى «سبأ» قبيلة تفرقت فى البلاد فصارت فرقًا فناسب الجمع.

٨٣١ ـ قوله تعالى: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ .. ﴿١٣﴾﴾.

أى نقوشًا من أبنية، أو صورًا من نحاس، أو زجاج أو رخام.

إن قلت: كيف أجاز سليمان عليه السلام عمل الصور؟

قلت: يجوز أن يكون عملها جائزًا فى شريعته وأن تكون غير صور الحيوان وهو جائز فى شريعتنا أيضًا.

---

٨٢٩ ـ البرهان ٤٠٩.
٨٣٠ ـ انظر الطبرى ٢٢/ ٤٤.
٨٣١ ـ راجع الطبرى ٢٢/ ٤٩ والبحر المحيط ٧/ ٢٥٤.

٨٣٢ ـ قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ..﴿١٥﴾﴾ الآية، وحد الآية مع أن الجنتين آيتان، لتماثلهما فى الدلالة، واتحاذ جهتهما، كقوله تعالى: ﴿وجعلنا ابن مريم وأمه آية﴾.

٨٣٣ ـ قوله تعالى: ﴿.. وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴿٢٤﴾﴾.

إن قلت: ما معنى التشكيك فى ذلك؟

قلت: هذا من إجراء المعلوم مجرى المجهول، بطريق اللف والنشر المرتب، و«أو» فى الموضوعين بمعنى الواو، والتقدير: وإنا لعلى هدى وأنتم فى ضلال مبين، وإنما جاء بذلك لإرادة الإنصاف فى الجدال، وهو أوصل إلى الغرض، أو باقيتين على معناها والمعنى: وإنا لمهتدون أو ضالون وأنتم ذلك وإنما قاله التعريض بضلالهم، كقول الرجل لخصمه إذا أراد تكذيبه: إن أحدنا لكاذب.

٨٣٤ ـ قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ﴿٣٤﴾﴾.

لم يقل فيه «من قبلك» أو «قبلك» كما فى غيرها، لأن ما هنا إخبار مجرد، وفى غيره إخبار للنبى ﷺ وتسلية له.

٨٣٥ ـ قوله تعالى: ﴿قُل لَّا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴿٢٥﴾﴾.

لم يذكر «كنتم» كما قاله فى غيره، لأن قوله هنا ﴿تعملون﴾ وقع فى مقابلة ﴿أجرمنا﴾ فى قوله: ﴿قل لا تسألون عما أجرمنا﴾ أى أذنبنا، وضمير أجرمنا للنبى ﷺ والمراد غيره وغيره صدر منه ذنب فعبر عنه بالماضى والمخاطب فى ﴿تعملون﴾ الكفار وكفرهم واقع فى الحال وفى المستقبل ظاهرًا، فعبر عنه بالمضارع فلا يناسبه «كنتم» مع أن الخطاب فى ذلك واقع فى الدنيا، والخطاب فى غيره نحو ﴿ثم ننبئكم بما كنتم تعملون﴾ واقع فى الآخرة، فناسبه التعبير بكنتم.

---

٨٣٣ ـ انظر الطبرى ٢٢/ ٦٥.

٨٣٤ ـ كشاف الزمخشرى ٣/ ٤٦٨ والبرهان ٤١١.

٨٣٦ ـ قوله تعالى: ﴿.. بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾.

إن قلت: كيف قالت الملائكة فى حق المشركين ذلك، مع أنه لم ينقل عن أحد منهم أنه عبد الجن؟

قلت: معناه أنهم كانوا يطيعون الشياطين فيما يأمرونهم به من عبادة غير الله تعالى، فالمراد بالجن الشياطين على أن الكرمانى جزم بأنهم عبدوا الجن أيضًا.

(تمت سورة سبأ)

❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋

سورة فاطر

٨٣٧ ـ قوله تعالى: ﴿والله الذي أرسل الرياح فتثير سحابًا فسقناه إلى بلد ميت.. (٩)﴾.

إن قلت: لم عبر بالمضارع وهو «تثير» بين ماضيين؟

قلت: للإشارة إلى استحضار تلك الصورة البديعة، وهى إثارة الرياح السحاب، الدالة على القدرة الباهرة، حتى كأن السامع يشاهدها وليس الماضى كذلك.

٨٣٨ ـ قوله تعالى: ﴿.. وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب.. (١١)﴾.

﴿من معمر﴾ أى من أحد، وسماه معمرًا بما يصير إليه.

٨٣٩ ـ ﴿.. فأخرجنا به ثمرات مختلفًا ألوانها .. (٢٧)﴾.

قاله هنا بتأنيث الضمير لعوده إلى الثمرات، وقال ثانيًا: ﴿مختلف ألوانها﴾ بتأنيثه أيضًا لعوده إلى الجبال، وقال ثالثًا: ﴿مختلف ألوانه﴾ بتذكيره، لعوده إلى بعض المفهوم من لفظ من قوله ﴿ومن الناس والدواب والأنعام﴾.

٨٤٠ ـ قوله تعالى: ﴿.. إن الله بعباده لخبير بصير (٣١)﴾.

قاله هنا بلفظ ﴿الله﴾ لعدم تقدم ذكره، وبزيادة اللام موافقة لقوله بعد: ﴿إن ربنا لغفور شكور﴾ وقال فى «الشورى:٢٧» بالضمير، لتقدم لفظ ﴿الله﴾ وبحذف اللام لعدم ما يقتضى ذكرها.

٨٤١ ـ قوله تعالى: ﴿.. لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب (٣٥)﴾.

الفرق بين «النصب» و«اللغوب» أن النصب: تعب البدن، واللغوب:

---

٨٣٩ ـ راجع التسهيل لابن جزى ٣/١٥٧ والبحر المحيط ٧/٣١١ والبرهان ٤١٧.

٨٤٠ ـ انظر مختصر ابن كثير ٣/١٤٩ والبرهان ٤١٨.

تعب النفس، وفق الزمخشرى بينهما بأن النصب: التعب، واللغوب: الفتور الحاصل بالنصب، ورد بأن انتفاء الثانى معلوم من انتفاء الأول.

٨٤٢ - قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صالحا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ .. (٣٧)﴾.

إن قلت: الوصف بغير الذى كنا نعمل، يوهم أنهم كانوا عملوا صالحًا غير الذى طلبوه، مع أنهم لم يعملوا صالحًا قط بل سيئًا؟

قلت: قالوه بزعمهم أنهم كانوا يعملون صالحًا كما قال تعالى: ﴿وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا﴾ فمعناه غير الذى كنا نحسبه صالحًا فنعمله.

٨٤٣ - قوله تعالى: ﴿.. فلن تجد لسنت اللَّه تَبْدِيلاً ولن تجد لِسُنَّت اللَّه تحويلا (٤٣)﴾.

إن قلت: التبديل تغيير الشىء عما كان عليه مع بقاء مادته، والتحويل: نقله من مكان إلى آخر، فكيف قال ذلك مع أنه سنة الله لا تبدل ولا تحول؟

قلت: أراد بالأول أن العذاب لا يبدل بغيره، وبالثانى أنه لا يحول عن مستحقه إلى غيره، وجمع بينهما هنا تتميمًا لتهديد المسىء لقبح مكره، فى قوله تعالى: ﴿ولا يحيق المكر السىء إلا بأهله﴾.

« تمت سورة فاطر »

****

٨٤٣ - راجع القرطبى ١٤/ ٣٦٠ والبرهان ٤٢٠.

سورة يس

٨٤٤ ـ قوله تعالى: ﴿ .. فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾.

قالها هنا بغير تأكيد باللام، ولأنه إبتداء إخبار وقالها بعد بالتأكيد بها«١٦» لأنه جواب بعد إنكار وتكذيب فاحتيج إلى التأكيد.

٨٤٥ ـ قوله تعالى: ﴿ وَمَا لِيَ لا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾.

قاله الجائى من المدينة.

إن قلت: كيف أضاف الفطرة إلى نفسه، والرجوع ـ الذى هو البعث ـ إليهم، مع علمه بأن الله فطرهم وإياه، وإليه يرجع هو وهم فلم يقل: الذى فطرنا وإليه نرجع أو فطركم وإليه ترجعون؟

قلت: لأن الخلق والإيجاد نعمة من الله تعالى توجب الشكر، والبعث بعد الموت للجزاء وعيد من الله يوجب الزجر، فأضاف ما يقتضى الشكر لنفسه، لأنه أليق بإيمانه، وما يقتضى الزجر إليهم لأنه أليق بكفرهم.

٨٤٦ ـ قوله تعالى: ﴿ إِن كَانَتْ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾.

ذكر هنا مرتين، وليس بتكرار، لأن الأول هى النفخة التى يموت بها الخلق، والثانية«٥٣» هى النفخة التى يحيا بها الخلق.

٨٤٧ ـ قوله تعالى: ﴿ لا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ.. ﴿٤٠﴾ ﴾.

إن قلت: كيف نفى تعالى الإدراك عن الشمس والقمر، دون عكسه؟

قلت: لأن سير القمر أسرع، لأنه يقطع فلكه فى شهر، والشمس لا

---

٨٤٦ ـ راجع القرطبى ١٥/٥٦ والبرهان ٤٢٢.

٨٤٧ ـ راجع الطبرى ٢٣/٧.

تقطع فلكها إلا فى سنة، فكانت جديرة بأن توصف بنفى الإدراك لبطء سيرها، والقمر خليقًا بأن يوصف بالسبق لسرعة سيره.

٨٤٨ - قوله تعالى: ﴿وَآيَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾﴾.

إن قلت: الذرية اسم للأولاد، والمحمول فى سفينة نوح عليه السلام، آباء المذكورين لا أولادهم؟

قلت: الذرية من أسماء الأضداد عند كثير، تطلق على الآباء والأولاد، والمراد هنا: الفريقان فمعناه حملنا آباءهم وأولادهم لأنهم كانوا فى ظهور آبائهم المحمولين ظاهرًا.

٨٤٩ - قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾﴾ أى متى إنجازه؟ وإلا فالوعد بالبعث كان واقعًا لا منتظرًا أو أراد بالوعد: الموعود.

٨٥٠ - قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا .. ﴿٥٢﴾﴾.

إن قلت: قولهم ذلك سؤال عن الباعث، فكيف طابقه الجواب بقوله: ﴿هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون﴾؟

قلت: معناه: بعثكم الرحمن الذى وعدكم بالبعث وأخبركم به الرسول. وإنما جىء به على هذه الطريقة تبكيتًا لهم وتوبيخًا.

٨٥١ - قوله تعالى: ﴿هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ ﴿٥٦﴾﴾.

إن قلت: كيف قال فى صفة أهل الجنة ذلك، والظل إنما يكون لما يقع عليه الشمس، ولا شمس فى الجنة لقوله تعالى: ﴿لا يرون فيها شمسًا ولا زمهريرًا﴾؟

قلت: ظل أشجار الجنة من نور قناديل العرش، أو من نور العرش، لئلا تبهر أبصارهم، فإنه أعظم من نور الشمس.

٨٥٢ - قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾﴾.

---

٨٥٠ - انظر الطبرى ٢٣/ ١١ ومختصر ابن كثير٣/ ١٦٦ والبرهان ٤٢٤.
٨٥١ - راجع القرطبى ١٥/ ٤٤.

سمى نطق اليد كلامًا، ونطق الرجل شهادة، لأن الغالب فى كونها فاعلة، وفى الرجل كونها حاضرة، وقول الفاعل على نفسه إقرار لا شهادة، وقول الحاضر على غيره شهادة.

٨٥٣ ـ قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾﴾ أى إنشاءه «وما ينبغى له» أى ما يليق به ذلك. كما قال تعالى: ﴿وما ينبغى للرحمن أن يتخذ ولدا﴾ وما ورد عنه ﷺ من الزجر نحو قوله:

أنا النبى لا كـــذب أنا ابن عبد المطلـــب

وقوله:

هل أنت إلا إصبع دميت وفى سبيل الله ما لقيت

فليس بشعر عند الخليل، أو أن الموزون بغير الشعر ـ وإن لم يكن زجرًا ـ ليس بشعر عند أحد، إذ الشعر قول موزون مقفى، مقصود به الشعر، والقصد منتف فيما روى من ذلك.

٨٥٤ ـ قوله تعالى: ﴿أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا .. ﴿٧١﴾﴾.

أى قدرتنا، عبر عنها باليد لما بينهما من الملازمة، وللإشارة إلى الانفراد بخلق الأنعام، كما يقال فى عمل القلب: هذا مما عملت يداك وإن لم يكن للمخاطب يد.

٨٥٥ ـ قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ .. ﴿٧٨﴾﴾ سماه مثلاً: وإن لم يكن مثلاً، لما اشتمل عليه من الأمر العجيب، وهو إنكار الإنسان قدرة الله تعالى على إحياء الموتى مع شهادة العقل والنقل على ذلك.

« تمت سورة يس »

****

٨٥٥ ـ راجع القرطبى ١٥/ ٥٥.

سورة الصافات

٨٥٦ - قوله تعالى: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ﴿٥﴾﴾.

إن قلت: لم جمع هنا المشارق وحذف مقابله، وثناه فى الرحمة، وجمعه فى المعارج وأفرده فى المزمل مع ذكر مقابلة فى الثلاثة؟

قلت: لأن القرآن نزل على المعهود، من أساليب كلام العرب وفنونه ومنهما الاجمال والتفصيل والذكر والحذف، والجمع والتثنية والافراد باعتبارات مختلفة، فأفرد وأجمل فى المزمل، بقوله: ﴿رب المشرق والمغرب﴾ أراد مشرق الصيف والشتاء ومغربهما، وجمع وفصل فى المعارج بقوله: ﴿فلا أقسم برب المشارق والمغارب﴾ أراد جميع مشارق السنة ومغاربها، وهى تزيد على سبعمائة وثنى وفصل فى الرحمن بقوله: ﴿رب المشرقين ورب المغربين﴾ أراد مشرقى الصيف والشتاء ومغربهما، وجمع وحذف هنا بقوله: ﴿رب المشارق﴾ أراد جميع مشارق السنة واقتصر عليه لدلالته على المحذوف وخص ما هنا بالجمع موافقة للجموع أول السورة وبالحذف مناسبة للزينة فى قوله: ﴿إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب﴾، إذ الزينة إنما تكون غالبًا بالضياء والنور، وهما ينشئان من المشرق لا من المغرب، وما فى الرحمن بالتثنية موافقة للتثنية فى ﴿يسجدان﴾ وفى ﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان﴾ ويذكر المتقابلين موافقة لبسط صفاته تعالى وإنعاماته ثم، وما فى المعارج بالجمع موافقة للجمع قبله وبعده، ويذكر المتقابلين موافقة لكثرة التأكيد فى القسم وجوابه، وما فى المزمل بالافراد موافقة لما قبله من افراد ذكر النبى ﷺ وما بعده من افراد ذكر الله تعالى، وبذكر المتقابلتين موافقة للحصر فى قوله: ﴿لا إله إلا هو﴾ وأبسط أوامر الله تعالى لنبيه ﷺ.

٨٥٧ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾﴾.

إن قلت: لم خص سماء الدنيا بزينة الكواكب، مع أن بقية السماوات مزينة بذلك؟

قلت: لأنا إنما نرى سماء الدنيا، دون غيرها.

٨٥٨ ـ قوله تعالى: ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾﴾.

«عجبت» بضم التاء على قراءة حمزة والكسائى.

فإن قلت: ما وجهة مع أن التعجب روعة تعترى الإنسان، عند استعظام الشيء، والله منزه عنها؟

قلت: أراد بالتعجب الاستعظام وهو جائز على الله تعالى، أو معناه: قل يا محمد بل عجبت وفى الذى تعجب قولان: أحدهما كفرهم بالقرآن والثانى إنكارهم البعث.

٨٥٩ ـ قوله تعالى: ﴿أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾﴾.

ختم الآية بقوله: ﴿أئنا لمبعوثون﴾؟ وختم التى بعدها بقوله: ﴿أئنا لمدينون﴾؟ أى لمجزيون ومحاسبون لأن الأول فى حق المنكرين للبعث والثانية فى حق المنكرين للجزاء وإن كان كل منهما «مستلزمًا»[٠] للآخر.

٨٦٠ ـ قوله تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿٧٨﴾﴾.

إن قلت: كيف قال عقبه فى قصص ـ ما عدا قصة «لوط، ويونس، وإلياس» ـ ﴿سلام على نوح﴾، ﴿سلام على إبراهيم﴾، ﴿سلام على موسى وهارون﴾، ﴿سلام على الياسين﴾ ولم يقل ذلك فى قصص الثلاثة؟

قلت: اكتفاء فيها بقوله: ﴿وأن لوطًا لمن المرسلين﴾ ﴿وأن يونس لمن المرسلين﴾ ﴿وأن إلياس لمن المرسلين﴾.

---

٨٥٨ ـ انظر تفسير الطبرى ٢٩/٢٣ والدر المنثور ٥/ ٢٧٢.

[٠] ص: مستلزم. وهو خطأ نحوى من الناسخ.

٨٦٠ ـ حاشية الصاوى على الجلالين ٣/ ٣٣٩ والبرهان ٤٢٩.

٨٦١ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (٨١)﴾.

إن قلت: كيف مدح تعالى نوحًا وغيره كإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام بذلك مع أن مرتبة الرسل فوق مرتبة المؤمنين؟

قلت: إنما مدحهم بذلك تنبيهًا لنا على جلالة محل الإيمان وشرفه، وترغيبًا فى تحصيله، والثابت عليه، والازدياد منه، كما قال تعالى فى مدح إبراهيم عليه السلام: ﴿وإنه فى الآخرة لمن الصالحين﴾.

٨٦٢ ـ قوله تعالى: ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ (٨٨) فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ (٨٩)﴾.

لم يقل «إلى النجوم» مع أن النظر إنما يتعدى بـ «إلى» كما فى قوله تعالى: ﴿ولكن انظر إلى الجبل﴾ لأن «فى» بمعنى «إلى» كما فى قوله تعالى: ﴿فردوا أيديهم فى أفواههم﴾، أو أن النظر هنا بمعنى الفكر، وهو يتعدى بـ «فى» كما فى قوله تعالى: ﴿أولم ينظروا فى ملكوت السماوات﴾ فصار المعنى: ففكر فى علم النجوم.

فإن قلت: لو لم يجز النظر فى علم النجوم، كما جاز لإبراهيم؟

قلت: إذا كان الناظر فيه كإبراهيم، فى أن الله أراه ملكوت السماوات والأرض، جاز له النظر فيه.

وقوله: ﴿إنى سقيم﴾ قاله إبراهيم عليه السلام، ليتخلف عنهم إذا خرجوا إلى عيدهم فيكيد أصنامهم.

فإن قلت: كيف جاز له أن يقول ذلك، مع أنه ليس بسقيم؟

قلت: معناه سأسقم كما فى قوله تعالى: ﴿إنك ميت﴾ أو سقيم القلب عليكم لعبادتكم للأصنام وهى لا تضر ولا تنفع أو أن من يموت فهو سقيم.

٨٦٣ ـ قوله تعالى: ﴿فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ (٩٤)﴾ أى يسرعون المشى.

---

٨٦٢ ـ راجع القرطبى ١٥/ ٩٢.
٨٦٣ ـ راجع القرطبى ١٥/ ٩٠ والطبرى ٢٣/ ٤٧.

فإن قلت: هذا يدل على أنهم عرفوا أن إبراهيم هو الكاسر لآلهتهم، وقواه فى الأنبياء ﴿قالوا من فعل هذا بآلهتنا﴾ الآية، يدل على أنهم ما عرفوا أنه الكاسر لها؟

قلت: يحتمل أن بعضهم عرفه فأقبل إليه.

٨٦٤ ـ قوله تعالى: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾﴾ أى إلى حيث أمرنى ربى وهى المهاجرة للشام، أو إلى طاعة ربى ورضاه وقوله: ﴿سيهدين﴾ أى سيثبتنى على هداى ويزيدنى هدى.

٨٦٥ ـ قوله تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾.

ختمه هنا بـ ﴿حليم﴾ وفى الحجر والذاريات«٢٨» بـ ﴿عليم﴾ نظرًا فى ذينك لشرف العلم، وفيما هنا لمناسبته حلم الغلام، لوعده بالصبر فى جوابه لسؤال ابنه له فى ذبحه بقوله ﴿ستجدنى إن شاء الله من الصابرين﴾.

٨٦٦ ـ قوله تعالى: ﴿.. قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ .. ﴿١٠٢﴾﴾ الآية، أى فى ذبحى إياك، لم يشاوره ليرجع إلى رأيه لأن أمر الله حتم، لا يتخلف الأنبياء عنده بل ليختبر صبره، وليوطن نفسه على الذبح فيلقى البلاء كالمستأنس به، ويكتسب الثواب بصبره وانقياده ولتكون «سنة» فى المشاورة، فقد قيل: لو شاور آدم عليه السلام الملائكة فى أكل الشجرة، لما صدر منه ما صدر.

واختلفوا فى الذبيح هل هو «إسماعيل» أو «إسحاق» والجمهور على أنه إسماعيل.

٨٦٧ ـ قوله تعالى: ﴿وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا .. ﴿١٠٥﴾﴾.

---

٨٦٦ ـ انظر الطبرى ٢٣/٤٨ والقرطبى ١٥/٩٩.
٨٦٧ ـ راجع القرطبى ١٥/١٠٢.

إن قلت: كيف قال: ﴿قد صدقت الرؤيا﴾ مع أن تصديقها إنما يكون بالذبح ولم يوجد؟

قلت: معناه قد فعلت ما فى غاية وسعك، مما يفعله الذابح من القاء ولدك، وامرار المدية على حلقه، ولكن الله منعها أن تقطع أو أن الذى رآه فى النوم، معالجة الذبح فقط لاراقة الدم وقد فعل ذلك فى اليقظة فكان مصدقًا للرؤيا.

٨٦٨ ـ قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾ جواب «لما» محذوف أى استبشروا واغتبطا شكرًا لله تعالى على ما أنعم به عليهما من الفداء، أو قوله ﴿ناديناه﴾ والواو زائدة.

٨٦٩ ـ قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾﴾.

إن قلت: لم قاله هنا أعنى فى قصة إبراهيم بحذف ﴿أنا﴾ وأثبته فى آخر غيرها من القصص؟

قلت: حذفه فى قصة إبراهيم اختصارًا، واكتفاء بذكره له قبل فى قصته بقوله: ﴿ناديناه أن يا إبراهيم﴾ الآية، مع أن ما بعد قصته كان من تكملتها وهو قوله: ﴿وبشرناه بإسحق نبيًا من الصالحين﴾ بخلاف سائر القصص.

٨٧٠ ـ قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾﴾.

إن قلت: لوط كان رسولاً قبل التنجية، فما وجه تعلق ﴿إذ نجيناه﴾ به؟

قلت: هو ليس متعلقًا به، بل بمحذوف تقديره: واذكر، وكذا القول فى قوله تعالى: ﴿وإن يونس لمن المرسلين. إذ أبق إلى الفلك المشحون﴾.

٨٧١ ـ قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾﴾.

---

٨٦٨ ـ انظر الطبرى ٢٣/ ٥١.
٨٧١ ـ القرطبى ١٥/ ١٣٢.

إن قلت: «أو» للشك وهو على الله محال؟

قلت: «أو» بمعنى «بل» أو بمعنى الواو، أو المعنى أو يزيدون فى نظرهم، فالشك إنما دخل فى قول المخلوقين.

٨٧٢ ـ قوله تعالى: ﴿وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾﴾.

تهديد لهم، ثم أعاده فى قوله: ﴿وأبصر فسوف يبصرون﴾ تأكيدًا. أو لأن الأول فى الدنيا، والثانى فى الآخرة، وحذف منه المفعول اكتفاء بذكره أولاً.

« تمت سورة الصافات »

****

---

٨٧٢ ـ انظر البرهان فى توجيه متشابه القرآن للكرمانى بتحقيق السيد الجميلى. مسألة رقم ٤٣٢.

سورة ص

٨٧٣ ـ قوله تعالى: ﴿ص﴾ أن جعل اسمًا للسورة، فهو خبر مبتدأ محذوف أى هذه «ص» السورة التى أعجزت العرب، فقوله: ﴿.. وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ۝١﴾ قسم عجز العرب، كقولك: هذا حاتم والله، أى هذا هو المشهور بالسخاء والله، وان جعل قسمًا فجوابه مع ما عطف عليه محذوف تقديره: أن كلام معجز، أو لنهلكن أعداءك بقرينة قوله: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ﴾ أو جوابه «كم» وأصله «لكم» حذفت اللام لطول الكلام تخفيفًا كما فى قوله تعالى ﴿والشمس وضحاها. قد أفلح من زكاها﴾ وقيل: غير ذلك.

٨٧٤ ـ قوله تعالى: ﴿وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ۝٤﴾ .

قاله هنا بالواو وفى «ق» بالفاء لأن ما هناك أشد اتصالاً منه هنا لأن ما هنا متصل بما قبله اتصالاً معنويًا فقط، وهو أنهم عجبوا من مجىء المنذر، وقالوا هذا ساحر كذاب، وما فى «ق» متصل بما قبله اتصالاً لفظيًا ومعنويًا وهو أنهم عجبوا عقب الاخبار عنهم بأنهم عجبوا فقالوا هذا شىء عجيب، فناسب فيه ذكر الفاء دون ما هنا.

٨٧٥ ـ قوله تعالى: ﴿أَؤُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا .. ۝٨﴾ .

قاله هنا بلفظ ﴿أؤنزل﴾ وفى «القمر:٢٦» بلفظ ﴿أؤلقى﴾ لأن ما هنا حكاية عن كفار قريش، فناسب التعبير به، لوقوعه إنكارًا لما قرأه عليهم النبى ﷺ، من قوله تعالى: ﴿.. وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ..﴾

---

٨٧٤ ـ انظر الدر المنثور فى التفسير بالمأثور للسيوطى ٥/٢٩٧.
٨٧٥ ـ انظر البيضاوى ٢/١٤٥ والبرهان ٤٣٤.

[النحل:٤٤] وما فى القمر حكاية عن قوم صالح وكانت الأنبياء تلقى إليهم صحف مكتوبة، فناسب التعبير بـ «ألقى» وقدم الجار والمجرور على الذكر هنا موافقة لما قرأه النبى ﷺ على المنكرين، وعكس فى القمر جريًا على الأصل من تقديم المفعول بلا واسطة على المفعول بواسطة.

٨٧٦ ـ قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ أُولَٰئِكَ الْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾﴾ ختم أواخر آياته بما قبل آخره ألف وآيات قوله فى «ق» ﴿كذبت قبلهم قوم نوح.. إلى قوله: فحق وعيد﴾ بما قبل آخره ياء أو واو، موافقة لبقية فواصل السورتين.

٨٧٧ ـ قوله تعالى: ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ..﴿٢٢﴾﴾ أى قالوا حين دخلوا على داود عليه السلام: نحن خصمان وهما ملكان مثلا أنفسهما معه بخصمين بغى أحدهما على الآخر، على سبيل الفرض والتصوير، لأن الملائكة منتف عنهم البغى والظلم وكذا قوله: «إن هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة» كقول الفقيه: لزيد أربعون شاة، وعمرو مثلها وخلطاها وحال عليها الحول، كم يجب فيها؟ وليس لهما شىء من ذلك. وكنى عن المرأة بالنعجة كما مثل نفسه بالخصم.

٨٧٨ ـ قوله تعالى: ﴿فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿٣٢﴾﴾.

إن قلت: ما معنى تكرر الحب وتعديته بـ «عن» وظاهره أنى أحببت حبًا مثل حب الخير، كقولك أحببت حب زيد أى مثل حبه؟

قلت: أحببت هنا بمعنى آثرت، كما فى قوله تعالى: ﴿فاستحبوا العمى على الهدى﴾ أى آثروه و«عن» بمعنى «على» كما فى قوله تعالى: ﴿ومن

---

٨٧٦ ـ الطبرى ٢٣/ ٨٣ والدر المنثور ٥/ ٢٩٧.
٨٧٧ ـ البحر المحيط ٧/ ٣٨٧.
٨٧٨ ـ الدر المنثور ٥/ ٢١٠.

يبخل فإنما يبخل عن نفسه﴾ فصير المعنى: آثرت حب الخير على ذكر ربى.

٨٧٩ ـ قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لاَّ يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي.. ﴿٣٥﴾﴾.

إن قلت: كيف قال سليمان ذلك، مع أنه يشبه الحسد والبخل بنعم الله تعالى على عباده، بما لا يضر سليمان؟

قلت: المراد لا ينبغى لأحد أن يسلبه منى فى حياتى كما فعل الشيطان الذى لبس خاتمى وجلس على كرسى. أو أن الله علم أنه لا يقوم غيره مقامه بمصالح ذلك المكان، واقتضت حكمته تعالى تخصيصه به، فألهمه سؤاله.

٨٨٠ ـ قوله تعالى: ﴿.. إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾.

إن قلت: كيف وصف الله تعالى أيوب عليه السلام بالصبر، مع أن الصبر ترك الشكوى من ألم البلوى، وهو قد شكى بقوله: ﴿إنى مسنى الشيطان بنصب وعذاب﴾ وقوله: ﴿إنى مسنى الضر﴾؟.

قلت: الشكوى إلى الله تعالى لا ينافى الصبر، ولا تسمى جزعًا لما فيها من الجهاد والخضوع والعبودية لله تعالى، والافتقار إليه ويؤيده قول يعقوب عليه السلام: ﴿إنما أشكو بثى وحزنى إلى الله﴾ مع قوله ﴿فصبر جميل﴾ وقولهم: الصبر ترك الشكوى أى إلى العباد، أو أنه عليه السلام طلب الشفاء من الله تعالى بعدما لم يبق منه إلا قلبه ولسانه، خيفة على قومه أن يفتنهم الشيطان، ويوسوس إليهم أنه لو كان نبيًا لما ابتلى بما هو فيه، ولكشف الله ضره إذا دعاه.

٨٨١ ـ قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٧٨﴾﴾.

إن قلت: هذا يدل على أن غاية لعنة الله تعالى لإبليس إلى يوم القيامة قد تنقطع؟

---

٨٨٠ ـ الطبرى ٢٣/١٠٨ والقرطبى ١٥/٢١٣.

قلت: كيف تنقطع وقد قال تعالى: ﴿فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين﴾ وإبليس أظلم الظلمة، والمراد أن عليه اللعنة طول مدة الدنيا، فإذا كان يوم القيامة، اقترن له باللعنة من أنواع العذاب ما ينسى معه اللعنة فكأنها انقطعت.

« تمت سورة ص »

****

سورة الزمر

٨٨٢ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ .. ﴿٢﴾﴾.

عبر فيه هنا بـ «إلى» وفيه وفى أثناء السورة بـ «على» «٤١» .. تقدم فى البقرة الفرق بين «إلى» و«على» ونزيد هنا أن كل موضع خوطب فيه النبى ﷺ بالإنزال، أو التنزيل، أو النزول، إن عدى بـ «إلى» ففيه تكليف له أو بـ «على» ففيه تخفيف عنه، فما هنا تكليف له بالإخلاص فى العبادة بدليل قوله ﴿فاعبد الله مخلصًا له الدين﴾ وما فى أثناء السورة تخفيف عنه بدليل قوله: ﴿وما أنت عليهم بوكيل﴾ أى لست بمسئول عنهم.

٨٨٣ ـ قوله تعالى: ﴿.. إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾﴾.

أى دائم على كفره وكذبه أو لا يهديه إلى حجة يلزم بها المؤمنين وإلا فكم هدى من كافر.

٨٨٤ ـ قوله تعالى: ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ .. ﴿٤﴾﴾.

إن قلت: كيف يكون قوله فيها: ﴿لاصطفى مما يخلق ما يشاء﴾ مع أن كل من ادعى له ولدا أن نسب إليه ولدًا قال: إن الله اصطفاه من خلقه فجعله ولدا؟

قلت: أن جعل رد اليهود فى قولهم: أن عزير ابن الله، وعلى النصارى فى قولهم: أنه المسيح.. كان معناه: لاصطفى ولدًا من الملائكة لا من البشر، لأن الملائكة أشرف من البشر بلا خلاف بين اليهود والنصارى.

أو ردًا على مشركى العرب فى قولهم: أنه الملائكة، كان معناه: لاصطفى ولدًا من جنس ما يخلق كل شىء يريده، ليكون ولده موصوفًا بصفته، لا من الملائكة الذين لا يقدرون على إيجاد جناح بعوضة.

ولا يرد على هذا خلق عيسى عليه السلام، لأنه ليس بتام أو لأنه بمعنى التقدير من الطين، ثم الله يخلقه حيوانًا، بنفخ عيسى عليه السلام إظهارًا لمعجزته.

٨٨٥ ـ قوله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ .. (٥)﴾ أى بسبب إقامته.

٨٨٦ ـ قوله تعالى: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا .. (٦)﴾ الآية.

إن قلت: كيف عطف بـ «ثم» مع أن خلق حواء من آدم سابق على خلقنا منه؟

قلت: «ثم» هنا للترتيب فى الإخبار لا فى الإيجاد، أو المعطوف متعلق بمعنى واحدة، و﴿ثم﴾ عاطفة عليه لا على ﴿خلقكم﴾ فمعناه: خلقكم من نفس واحدة أفردت بالإيجاد، ثم شفعت بزوج.

أو هو معطوف على ﴿خلقكم﴾ لكن المراد بخلقهم، خلقهم يوم أخذ الميثاق، لا هذا الخلق الذى يتم فيه الآن، بالتوالد والتناسل، وذلك أن الله خلق آدم عليه السلام، ثم أخرج أولاده، من ظهره كالذر، وأخذ عليهم الميثاق ثم ردهم إلى ظهره، ثم خلق منه حواء.

٨٨٧ ـ قوله تعالى: ﴿.. وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ .. (٦)﴾.

إن قلت: كيف قال ذلك مع أن الأنعام مخلوقة فى الأرض، لا منزلة من السماء؟

قلت: هذا من مجاز النسبة إلى سبب السبب، إذ الأنعام لما كانت لا تعيش إلا بالنبات والنبات لا يعيش إلا بالمطر، والمطر منزل من السماء، وصفها بالإنزال من تسمية المسبب باسم سبب سببه.

---

٨٨٥ ـ انظر الطبرى ٢٣/ ١٢٣.

٨٨٦ ـ الطبرى ٢٣/ ١٢٩ والقرطبى ١٥/ ٢٣٦.

٨٨٧ ـ انظر الدر المنثور للسيوطى ٥/ ٣٢٣.

أو معناه: وقضى لكم، لأن قضاءه منزل من السماء من حيث كتب فى اللوح المحفوظ.

أو خلقها فى الجنة ثم أنزلها على آدم عليه السلام، بعد إنزاله إلى الأرض، والإنزال بمعنى الإحداث والإنشاء لقوله تعالى: ﴿يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا﴾.

٨٨٨ - قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ﴿١١﴾﴾.

زاد اللام بعد ﴿أمرت﴾ الثانى«١٢» دون الأول، لأن مفعول الثانى محذوف اكتفاء بمفعول الأول، والتقدير: وأمرت أن أكون عبدًا لله لا أكون.

فإن قلت: لم قال فى هذه الآية ﴿مخلصًا له الدين﴾ بـ «ال» وقال بعد: ﴿قل الله أعبد ومخلصًا له دينى﴾ بالإضافة.

قلت: لأن قوله ﴿الله أعبد﴾ إخبار عن المتكلم فناسبت الإضافة إليه، وقوله: ﴿أمرت أن أعبد الله﴾ ليس إخبارًا عن المتكلم فناسبت الإخبار عنه أصالة ﴿أمرت﴾ فقط وما بعده فضله.

٨٨٩ - قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا .. ﴿٢١﴾﴾.

قاله هنا بلفظ ﴿يجعله﴾ وفى «الحديد: ٢٠» بلفظ ﴿يكون﴾موافقة فى كل منهما لما قبله وهو «كمثل غيث أعجب الكفار نباته».

٨٩٠ - قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ.. ﴿٤١﴾﴾.

قاله هنا بحذف «فإنما يهتدى» المذكور فى «يونس:١٠٨» والإسراء، اكتفاء بما ذكره بقوله قبل ﴿ومن يضلل الله فما له من هاد ومن يهد الله فما له من مضل﴾.

---

٨٨٨ - حاشية الصاوى على الجلالين ٣/٣٦٨ والبرهان ٤٣٩.

٨٨٩ - القرطبى.

٨٩٠ - راجع التفسير الكبير للفخر الرازى ٢٦/٢٨٤ والبرهان ٤٤٥.

٨٩١ ـ قوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جميعًا لَهُ مُلْكُ السموات والأرض ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُون ﴿٤٤﴾﴾.

إن قلت: كيف قال ذلك مع أن للأنبياء، والعلماء والشهداء والأطفال شفاعة؟

قلت: معناه أن أحدًا لا يملكها إلا بتحليلها كما قال تعالى: ﴿من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه﴾ «٢: ٢٥٥» وقال: ﴿ولا يشفعون إلا لمن ارتضى﴾ «٢١: ٢٨».

٨٩٢ ـ قوله تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم .. ﴿٥٥﴾﴾.

إن قلت: كيف قال ذلك مع أن القرآن كله حسن؟

قلت: معناه تحسن وحى أو كتاب أنزل إليكم وهو القرآن كله أو أحسن آياته المحكمات، أو آياته التى تضمنت أمر طاعة أو إحسان وقد مر نظير هذا السؤال فى نظير هذه الآية فى الأعراف، فى قوله تعالى: ﴿وأمر قومك يأخذوا بأحسنها﴾ وما مر ثم فى جوابه يأتى هنا.

٨٩٣ ـ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ .. ﴿٦٥﴾﴾.

إن قلت: كيف قال ذلك مع أن الموحى إليهم جمع، ولما أوحى إلى من قبله، لم يكن فى الوحى إليهم خطابه.

قلت: معناه ولقد أوحى إلى كل واحد منك ومنهم لئن أشركت، أو فيه إضمر نائب الفاعل تقديره: ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك التوحيد، ثم ابتدا فقال: ﴿لئن أشركت﴾ أو فيه تقديم وتأخير تقديره: ولقد أوحى إليك لئن أشركت وكذلك أوحى إلى الذين من قبلك.

٨٩٤ ـ قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا .. ﴿٧٣﴾﴾ الآيتين.

إن قلت: كيف قال ذلك مع أن السوق فيه نوع إهانة لا يليق بأهل الجنة؟

قلت: المراد بسوق «أهل النار» طردهم إليها بالهوان والعنف كما يفعل

---

٨٩٤ ـ الدر المنثور للسيوطى ٥/ ٣٤٣.

بالأسرى الخارجين على السلطان، إذا سيقوا إلى حبس أو قتل. وبسوق «أهل الجنة» سوق مراكبهم حثًا وإسراعًا بهم إلى دار الكرامة والرضوان كما يفعل بمن يشرف ويكرم من الوافدين على السلطان.

فإن قلت: كيف قال فى وصف النار ﴿فتحت أبوابها﴾ بلا واو وفى وصفه الجنة بالواو، ﴿وفتحت أبوابها﴾؟

قلت: هى زائدة أو هى واو الثمانية لأن أبواب الجنة ثمانية، أو واو الحال أى جاؤوها وقد فتحت أبوابها قبل مجيئهم بخلاف أبواب النار فإنها إنما فتحت عند مجيئهم والسر فى ذلك أن يتعجلوا الفرح والسرور إذا رأوا الأبواب مفتحة.

وأهل النار يأتونها وأبوابها مغلقة ليكون أشد لحرها، أو أن الوقوف على الباب المغلق نوع ذل وهوان، فصين أهل الجنة عنه. أو أن الكريم يعجل المثوبة ويؤخر العقوبة، أو اعتبر فى ذلك عادة دار الدنيا، لأن عادة من فى منازلها من الخدم، إذا بشروا بقدوم أهل المنازل، فتح أبوابها قبل مجيئهم، استبشاراً وتطلعًا إليهم، وعادة أهل الحبوس إذا شدد فى أمرها، ألا تفتح أبوابها إلا عند الدخول إليها أو الخروج.

« تمت سورة الزمر »

****

سورة غافر

٨٩٥ ـ قوله تعالى: ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلاَّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَلا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلادِ ﴿٤﴾﴾ أى بالتكذيب ودفعها بالباطل، وقصد ادحاض الحق، وإلا فالمؤمنون يجادلون فيها.

٨٩٦ ـ قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ .. ﴿٧﴾﴾.

إن قلت: ما فائدة وصف حملة العرش، مع أن إيمانهم به معلوم لكل أحد؟

قلت: فائدته إظهار شرف الإيمان وفضله، والترغيب فيه كما وصف الأنبياء عليهم السلام بالإيمان والصلاح.

٨٩٧ ـ قوله تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا ..﴿١١﴾﴾ أى إماتتين وإحيائتين لأنهم نطف أموات فأحيوا ثم أميتوا ثم أحيوا للبعث وهذا كقوله تعالى: ﴿كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتًا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم﴾«٢٨».

٨٩٨ ـ قوله تعالى: ﴿ .. وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ .. ﴿٢٨﴾﴾.

إن قلت: كيف قال المؤمن ذلك فى حق موسى عليه السلام، مع أنه صادق عنده وفى الواقع ويلزم منه أن يصيبهم جميع ما وعدهم لا بعضه فقط؟

قلت: «بعض» صلة، أو هى بمعنى «كل» كما قيل به فى قول الشاعر:

إن الأمور إذا الأحداث دبرها ... دون الشيوخ ترى فى بعضها خللا

---

٨٩٥ ـ انظر الطبرى ٢٨/٢٤ والقرطبى ٢٩٢/١٥.

أو ذكر البعض تنزلاً وتلطفًا بهم، مبالغًا فى نصحهم لئلا «يتهموه»(*) بميل ومحاباة ومنه قول الشاعر:

قد يدرك المتأنى بعض حاجته وقد يكون من المستعجل الزلل

كأنه قال: أقل ما يكون فى الثانى إدراك بعض المطلوب، وفى الاستعجال الزلل، أو هى باقية على معناها، لأنه وعدهم على كفرهم الهلاك فى الدنيا، والعذاب فى الآخرة، فهلاكهم فى الدنيا بعض ما وعدهم به.

٨٩٩ - قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا..﴿٢٢﴾﴾.

قاله هنا بجمع الضمير، وفى «التغابن:٦» بإفراده، موافقة هنا لما قبله فى قوله: ﴿كانوا هم أشد منهم قوة﴾ إلى آخره، وأفرده ثم لأنه ضمير الشأن زيد توصلاً إلى دخول «أن» على «كان».

٩٠٠ - قوله تعالى: ﴿.. ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ ..﴿٣٧﴾﴾ أى أبوابها وطرقها.

فإن قلت: ما فائدة التكرار هنا؟

قلت: فائدته أنه إذا أبهم ثم أوضح كان تفخيمًا لشأنه فلما أراد تفخيم ما أمل بلوغه من أسباب السماوات أبهما ثم أوضحهما.

٩٠١ - قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ..﴿٤٩﴾﴾ إنما لم يقل: لخزنتها مع أنه أخصر، لأن فى ذكر جهنم تهويلاً وتفظيعًا، أو لأن جهنم أبعد النار، فغدا خزنتها أعلى الملائكة الموكلين بالنار مرتبة، فطلب أهل النار الدعاء منهم لذلك.

٩٠٢ - قوله تعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ أى أن خلق الأصغر أسهل من خلق الأكبر، ثم قال،

(*) فى الاسبانية يتوهجوه، وهو تحريف من النساخ. وقد صححها الشيخ الصابونى فى المطبوعة.
٩٠٠ - راجع القرطبى ١٥/ ٣١٤.
٩٠٢ - انظر الطبرى ٢٤/ ٥٠.

﴿لا يؤمنون﴾ «٥٩» أى بالبعث، ثم قال ﴿لا يشكرون﴾«٦١» أى الله على فضله فختم كل آية بما اقتضاه أولها.

٩٠٣ ـ قوله تعالى: ﴿.. فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴿٧٨﴾﴾.

ختمها بقوله ﴿المبطلون﴾ وختم السورة بقوله: ﴿وخسر هنالك الكافرون﴾ لأن الأول متصل بقوله ﴿قضى بالحق﴾ ونقيض الحق الباطل، والثانى متصل بإيمان غير نافع، ونقيض الإيمان الكفر.

« تمت سورة غافر »

❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋

٩٠٣ ـ القرطبى ١٥/ ٣٣٤ والبرهان ٤٥٤.

سورة فصلت

٩٠٤ ـ قوله تعالى: ﴿..وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ ۝٥﴾.

إن قلت: ما فائدة ذكر «من» مع حصول المعنى بحذفها؟

قلت: فائدته الدلالة على أن ما بينهم وبينه مستوعب بالحجاب، لكون الحجاب سدًا بينهم وبينه وبتقدير حذفها يصير المعنى: إن الحجاب حاصل فى المسافة بيننا وبينه.

٩٠٥ ـ قوله تعالى: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝٩ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ۝١٠ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ۝١١ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ..۝١٢﴾.

إن قلت: هذا يدل على أن السماوات والأرض وما بينهما خلقت فى ثمانية أيام، وهو مناف لما ذكره فى الفرقان وغيرها أنها خلقت فى ستة أيام؟

قلت: يومًا خلق الأرض من جملة الأربعة بعدهما، والمعنى فى تتمة أربعة أيام، وهى مع يومى خلق السماوات ستة أيام.. يوم الأحد والإثنين لخلق الأرض، ويوم الثلاثاء والأربعاء للجعل«١٠» المذكور فى الآية وما بعده ويوم الخميس والجمعة لخلق السماوات.

فإن قلت: السماوات وما فيها أعظم من الأرض وما فيها بأضعاف، فما الحكمة فى أنه تعالى خلق الأرض وما فيها فى أربعة أيام، والسماوات وما فيها فى يومين؟

---

٩٠٥ ـ راجع مختصر ابن كثير ٣/ ٢٥٧ والبرهان ٤٥٥.

قلت: لأن السماوات وما فيها من عالم الغيب، والملكوت، والأمر والأرض وما فيها من عالم الشهادة والملك والخلق والأول أسرع من الثانى.

أو أنه تعالى فعل ذلك فى الثانى مع قدرته على فعله دفعة واحدة، ليعرفنا أن الخلق على سبيل التدريج لنتأتى فى أفعالنا، فخلق ذلك فى أربعة أيام لمصالح وحكم اقتضت ذلك، ولهذه الحكمة خلق العالم الأكبر فى ستة أيام، والعالم الأصغر وهو الإنسان فى ستة أشهر.

٩٠٦ ـ قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ .. (٢٠)﴾.

قاله هنا بذكر ﴿ما﴾ وبحذفها فى قوله فى النمل: ﴿حتى إذا جاءوا﴾ وفى الزمر: ﴿حتى إذا جاءوها﴾ مرتين وفى الزخرف: ﴿حتى إذا جاءنا﴾ لأن الكلام هنا فى أعداء الله أبسط وأكد منه فى البقية فناسب ذكر ﴿ما﴾ للتأكيد هنا دون البقية.

٩٠٧ ـ قوله تعالى: ﴿فَإِن يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ .. (٢٤)﴾ فيه إضمار تقديره: فإن يصبروا أو لا يصبروا فالنار مثوى لهم، أو قيد ذلك لأنه جواب لقولهم: ﴿أن امشوا واصبروا على آلهتكم﴾ فلا مفهوم له.

٩٠٨ ـ قوله تعالى: ﴿.. وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٧)﴾ المراد سيئة إذ لا يختص جزاءهم بأسوأ عملهم.

٩٠٩ ـ قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٦)﴾.

قاله هنا بزيادة ﴿هو﴾ و«ال» وفى الأعراف بدونهما لأن ما هنا متصل بمؤكدين: بالتكرار وبالحصر، فناسب التأكيد بما ذكر وما فى الأعراف خلى عن ذلك فجرى على القياس من كون المسند إليه معرفة والمسند نكرة.

---

٩٠٦ ـ راجع مختصر ابن كثير ٣/٢٥٧ والبرهان مسألة رقم ٤٥٦.
٩٠٩ ـ القرطبى ١٥/٣٦٣ والبرهان ٤٥٧.

٩١٠ ـ قوله تعالى: ﴿ . . وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ . . ﴿٤٥﴾ ﴾.

قاله هنا، وقاله فى الشورى بزيادة ﴿إلى أجل مسمى﴾ لموافقته ثم مبدأ كفر الذين تفرقوا فى الدين وهو مجيء العلم بالتوحيد فى قوله: ﴿وما تفرقوا﴾ الآية، مناسب ذكره للنهاية التى انتهوا إليها ليكون محدودًا من الطرفين بخلاف ما هنا.

٩١١ ـ قوله تعالى: ﴿ . . وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ ﴾ لا ينافى قوله بعد ﴿وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض﴾ لأن المعنى قنوط من الصنم، دعاء لله، أو قنوط بالقلب دعاء باللسان أو الأولى فى قوم والثانية فى آخرين.

٩١٢ ـ قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِ . . ﴿٥٢﴾ ﴾ الآية.

قاله هنا بـ ﴿ثم﴾ وفى «الأحقاف: ١٠» بالواو، لأن معناها هنا: كان عاقبة أمركم بعد الاهمال، للنظر والتدبر، الكفر، فناسب ذكر ﴿ثم﴾ الدالة على الترتيب، وفى الأحقاف لم ينظر إلى ترتيب كفرهم على ما ذكر، بل عطف على ﴿كفرتم﴾ و﴿شهد شاهد﴾ بالواو، فناسب ذكرها لدلالتها على مطلق الجمع.

« تمت سورة فصلت »

****

---

٩١٠ ـ التفسير الكبير ٢٧/ ١٣٥ والبرهان ٤٥٨.

٩١٢ ـ انظر البحر المحيط ٧/ ٥٠٥، والكبير ٢٧/ ١٣٧.

سورة الشورى

٩١٣ ـ قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝٣﴾.

قاله بلفظ المضارع مع أن الوحى إلى من قبل النبى ماض، لأنه ـ كما قال الزمخشرى ـ قصد بالمضارع كون ذلك عادة وسنة الله وهذا لا يوجد فى لفظ الماضى.

٩١٤ ـ قوله تعالى: ﴿.. يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۝١١﴾.

أى يخلقكم فى الجعل المذكور قبله، ليس كمثله شىء.

إن قلت: هذا يقتضى ثبوت مثله، إنما نفى مثل مثله؟

قلت: المثل يقال للذات كما فى قولهم: مثلك لا يليق به كذا، فمعناه: ليس كذاته شىء، أو هو من باب الكناية لأنه إذا نفى مثل مثله لزم نفى مثله، إذ لو بقى مثله لكان هو مثل المثل، فيلزم ثبوت مثل المثل، والغرض أنه نفى.

٩١٥ ـ قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ.. ۝٢٩﴾.

إن قلت: كيف قال ﴿فيهما من دابة﴾ مع أن الدواب إنما هى فى الأرض فقط؟

قلت: هو من إطلاق المثنى على المفرد، كما فى قوله تعالى: ﴿يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان﴾ وإنما يخرجان من أحدهما وهو الملح.

---

٩١٤ ـ راجع البحر المحيط ٧/ ٥١٠.

وقيل: إن الملائكة لهم دبيب مع طيرانهم أيضًا، وهم مبثوثون فى السماء عملاً بمفهوم قوله ﴿وما من دابة فى الأرض﴾ على القول بالعمل به فى مثل ذلك.

٩١٦ ـ قوله تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾.

قاله هنا بلام التأكيد، وقاله فى لقمان بدونها لأن الصبر على مكروه حدث بظلم كقتل ولد، أشد من الصبر على مكروه حدث بلا ظلم كموت ولد، كما أن العزم على الأول أوكد منه على الثانى، وما هنا من القبيل الأول، فكان أنسب بالتوكيد، وما فى لقمان من القبيل الثانى فكان أنسب بعدمه.

٩١٧ ـ قوله تعالى: ﴿.. يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴿٤٩﴾﴾.

فإن قلت: لم قدم الإناث مع أن جهتهن التأخير، ولم عرف الذكور دونهن؟

قلت: لأن الآية سبقت لبيان عظمة ملكه ومشيئته وأنه فاعل ما يشاء، لا ما يشاؤه عبيده كما قال: ﴿ما كان لهم الخيرة﴾ ولما كان الإناث مما لا يختاره العباد، قدمهن فى الذكر، لبيان نفوذ إرادته ومشيئته وانفراده بالأمر، ونكرهن وعرف الذكور لانحطاط رتبتهن، لئلا يظن أن التقديم كان لأحقيتهن به، ثم أعطى كل جنس حقه من التقديم والتأخير، ليعلم أن تقديمهن لم يكن لتقدمهن، بل لمقتضى، فقال: ﴿أو يزوجهم ذكرانًا وإناثا﴾ كما قال: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى﴾.

٩١٨ ـ قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ .. ﴿٥٢﴾﴾.

---

٩١٦ ـ انظر الشيخ الصاوى على الجلالين والبرهان ٤٦٢.

المراد بالإيمان هنا: «شرائع الإسلام» وأحكامه كالصلاة والصوم، وإلا فالأنبياء مؤمنون بالله، قبل أن يوحى إليهم بأدلة عقولهم.

وقيل: المراد بالإيمان الكلمة التى بها دعوة الإيمان والتوحيد، وهى «لا إله إلا الله» محمد رسول الله، والإيمان بهذا التفسير إنما علمه بالوحى لا بالعقل.

﴿ تمت سورة الشورى ﴾

****

سورة الزخرف

٩١٩ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾﴾.

إن قلت: القرآن بمجعول، لأن الجعل هو الخلق فلو لم يقل: قلناه أو أنزلناه؟

قلت: الجعل يأتى بمعنى القول أيضًا، كقوله تعالى: ﴿ويجعلون لله البنات﴾ وقوله: ﴿وجعلوا لله أندادًا﴾.

٩٢٠ ـ قوله تعالى: ﴿.. مَّا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾﴾.

قاله هنا بلفظ ﴿يخرصون﴾ وفى الجاثية بلفظ ﴿يظنون﴾ لأن ما هنا متصل بقوله: ﴿وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا﴾ أى قالوا: الملائكة بنات الله، وأن الله قد شاء من عبادتنا إياهن وهذا كذب فناسبه ﴿يخرصون﴾ أى يكذبون.

وما هناك متصل بخلطهم الصدق بالكذب، فإن قولهم﴿نموت ونحيا﴾ صدق، وكذبوا فى إنكارهم البعث، وقولهم: ﴿وما يهلكنا إلا الدهر﴾ فناسبه ﴿يظنون﴾ أى يشكون فيما يقولون.

٩٢١ ـ قوله تعالى: ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ قاله هنا بلفظ ﴿مهتدون﴾ وبعده بلفظ ﴿مقتدون﴾«٢٣» لأن الأول وقع فى محاجتهم النبى ﷺ وإدعائهم أن آباءهم كانوا مهتدين، وأنهم مهتدون كآبائهم، فناسبه ﴿مهتدون﴾ والثانى وقع حكاية عن قوم ادعوا الاقتداء بالآباء دون الاهتداء، فناسبه ﴿مقتدون﴾.

---

٩١٩ ـ انظر الدر المنثور للسيوطى ٦/ ١٢.

٩٢١ ـ انظر الطبرى ٢٥/ ٣٦ والبيضاوى ٢/ ١٧٦.

٩٢٢ ـ قوله تعالى: ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا .. ﴿٤٥﴾﴾.

إن قلت: كيف قال ذلك مع أن النبى ﷺ لم يلق أحدًا من الرسل حتى يسأله؟

قلت: فيه اضمار تقديره: واسأل أتباع أو أمم من أرسلنا أو هو مجاز عن النظر فى أديانهم والبحث عن مللهم هل فيها ذلك؟

أو ارسال المرسلين ليلة الاسراء، فإنه لقيهم وأمهم فى مسجد بيت المقدس، وقال بعد أن نزلت عليه هذه الآية بعد سلامه: لا أسأل قد كفيت، كأن المراد بالأمر السؤال، التقريب لمشركى قريش، أنه لم يأت رسول من الله ولا كتاب بعبادة غير الله.

٩٢٣ ـ قوله تعالى: ﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنْ آيَةٍ إِلاَّ هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا .. ﴿٤٨﴾﴾ الآية. أى من قرينتنا التى قبلها.

٩٢٤ ـ قوله تعالى: ﴿.. قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِالْحِكْمَةِ وَلأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ .. ﴿٦٣﴾﴾.

إن قلت: كيف قال عيسى عليه السلام لأمته ذلك مع أن كل نبى يلزمه أن يبين لأمته كل ما يختلفون فيه؟

قلت: المراد أنه يبين لهم مما اختلفوا فيه، مما يحتاجونه دون ما لا يحتاجونه. أو المراد بالبعض الكل، كما مر نظيره فى غافر.

٩٢٥ ـ قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴿٦٦﴾﴾ فائدة ذكر، ﴿وهم لا يشعرون﴾ بعد ﴿بغتة﴾ أى فجأة أن الساعة تأتيهم وهم غافلون، مشغولون بأمور دنياهم، كما قال تعالى: ﴿ما ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون﴾ فلولا قوله: ﴿لا يشعرون﴾ لجاز أن تأتيهم بغتة وهم يقظون حذرون مستعدون لها.

---

٩٢٢ ـ انظر القرطبى ١٦/ ٩٥.

٩٢٦ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٧٤﴾ لا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾﴾.

إن قلت: كيف وصف أهل النار فيها بأنهم مبلسون والملبس: هو الآيس من الرحمة والفرج، مع قوله بعد: ﴿ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك﴾ الدال على طلبهم الفرج بالموت؟

قلت: وقع كل منهما فى زمن، لأن أزمنة يوم القيامة متعددة.

٩٢٧ ـ قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾﴾.

إن قلت: هذا يقتضى تعدد الآلهة، لأن النكرة إذا أعيدت نكرة تعددت، كقولك: أنت طالق وطالق؟

قلت: الإله هنا بمعنى المعبود، وهو تعالى معبود فيهما، والمغايرة إنما هى بين معبوديته فى السماء ومعبوديته فى الأرض لأن المعبود به من الأمور الإضافية، فيكفى التغاير فيها من أحد الطرفين فإذا كان العابد فى السماء غير العابد فى الأرض صدق أن معبوديته فى السماء غير معبوديته فى الأرض، مع أن المعبود واحد.

﴿ تمت سورة الزخرف ﴾

****

سورة الدخان

٩٢٨ ـ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٢﴾﴾.

قاله هنا بذكر ﴿على علم﴾ أى منك وقال فى الجاثية ﴿وفضلناهم على العالمين﴾ بحذفه، جريًا هنا على الأصل فى ذكر ما لا يغنى عنه غيره واكتفاء ثم بقوله بعد ﴿وأضله الله على علم﴾.

٩٢٩ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾﴾.

إن قلت: القوم كانوا ينكرون الحياة الثانية فكان حقهم أن يقولوا: إن هى إلا حياتنا الأولى؟

قلت: لما قيل لهم: أنكم تموتون موتة يعقبها حياة، كما تقدمتكم موتة، لذلك قالوا ﴿إن هى إلا موتتنا الأولى﴾ أى ما الموتة التى من شأنها أن يعقبها حياة إلا الموتة الأولى.

٩٣٠ ـ قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ﴿٣٨﴾﴾.

قاله بالجمع موافقة لقوله أول السورة: ﴿رب السماوات والأرض﴾.

٩٣١ ـ قوله تعالى: ﴿ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾﴾.

إن قلت: كيف قال ذلك، مع أن العذاب لا يصب وإنما يصب الحميم، كما قال فى محل آخر ﴿يصاب من فوق رؤوسهم الحميم﴾؟

قلت: هو استعارة ليكون الوعيد أهيب وأعظم.

٩٣٢ ـ قوله تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾﴾.

---

٩٢٩ ـ انظر تفسير القرطبى ١٦/ ٩٠ والبرهان ٤٧١.

إن قلت: كيف قال فى صفة أهل النار ذلك، مع أنهم لم يذوقوه فيها؟

قلت: ﴿إلا﴾ بمعنى «سوى» كما فى قوله تعالى ﴿ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم إلا ما قد سلف﴾ أو الإستثناء منقطع أى لكن الموتة الأولى قد ذاقوها.

٩٣٣ ـ قوله تعالى: ﴿يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٥٣﴾﴾.

إن قلت: كيف وعد الله تعالى أهل الجنة بلبس «الاستبرق» وهو غليظ الديباج، مع أن غليظه عند السعداء من أهل الدنيا عيب ونقص؟

قلت: غليظ ديباج الجنة، لا يشابه غليظ ديباج الدنيا حتى يعاب، كما أن سندس الجنة وهو رقيق الديباج لا يشابه سندس الدنيا.

وقيل: إن السندس لباس سادة أهل الجنة، والاستبرق: لباس خدمهم، إظهارًا لتفاوت الرتب.

« تمت سورة الدخان »

****

سورة الجاثية

٩٣٤ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴿٥﴾﴾.

إن قلت: لم ختم الآية الأولى بـ ﴿المؤمنين﴾ والثانية بقوله: ﴿يوقنون﴾ والثالثة بقوله: ﴿يعقلون﴾.

قلت: لأنه تعالى لما ذكر العالم ضمنًا، ولا بد له من صانع، موصوف بصفات الكمال، ومن الإيمان بالصانع ناسب ختم الأولى بالمؤمنين، ولما كان الإنسان أقرب إلى الفهم من غيره، وكان فكره فى خلقه وخلق الدواب مما يزيده يقينًا فى إيمانه ناسب ختم الثانية بقوله: ﴿يوقنون﴾ ولما كان جزئيات العالم، من اختلاف الليل والنهار وما ذكره معهما، مما لا يدرك إلا بالفعل، ناسب ختم الثالثة بقوله: ﴿يعقلون﴾.

٩٣٥ ـ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلاَّ أَن قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لا رَيْبَ فِيهِ .. ﴿٢٦﴾﴾.

إن قلت: ما وجه مطابقة الجواب وهو ﴿قل الله يحييكم﴾ إلى آخره للسؤال وهو ﴿ائتوا بآبائنا إن كنتم صادقين﴾؟

قلت: وجهه أنهم ألزموا بما هم مقرون به، من أن الله تعالى هو الذى أحياهم أولاً، ثم يميتهم ومن قدر على ذلك قدر على جمعهم يوم القيامة، فيكون قادرًا على إحياء آبائهم.

٩٣٦ ـ قوله تعالى: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا..﴿٢٨﴾﴾. أى إلى قراءة كتاب أعمالها.

فإن قلت: كيف أضاف الكتاب إلى الأمة، ثم إضافة إليه تعالى فى قوله: ﴿هذا كتابنا﴾؟

قلت: لإضافة تحصيل بأدنى ملابسة، فإضافة إلى الأمة لكون أعمالهم مثبتة فيه، وإضافة إليه تعالى لكونه مالكه، وأمر ملائكته بكتابته.

« تمت سورة الجاثية »

****

٩٣٦ ـ البحر المحيط ٨/ ٥٠ والدر المنثور فى التفسير بالمأثور ٦/ ٢٦.

سورة الأحقاف

٩٣٧ ـ قوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾.

إن قلت: كيف وصف الفريقين بأن لكل منهما درجات، مع أن أهل النار لا درجات؟

قلت: الدرجات هي: الطبقات من المراتب مطلقًا، أو فيه إضمار تقديره: ولكل فريق درجات أو دركات لكن حذف الثانى اختصارًا، لدلالة المذكور عليه.

٩٣٨ ـ قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴿٢٣﴾﴾.

وجه مطابقة الجواب فيه؟ إن سؤالهم متضمن لاستعجالهم العذاب، الذى توعدهم به، بقرينة قوله بعد ﴿بل هو ما استعجلتم به﴾ فأجابهم بأنه لا علم له بوقت تعذيبهم، بل الله تعالى هو العالم به وحده.

٩٣٩ ـ قوله تعالى: ﴿ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا .. ﴿٢٥﴾﴾.

أى كل شىء مرت به، من أموال قوم عاد وأهليهم.

٩٤٠ ـ قوله تعالى: ﴿ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ ..﴿٣١﴾﴾.

أفاد بذكر «من» أن من الذنوب ما لا يغفره الإيمان كمظالم العباد.

« تمت سورة الأحقاف »

****

سورة محمد

٩٤١ ـ قوله تعالى: ﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾﴾.

إن قلت: كيف قال ذلك تعالى فى حق الشهداء، بعدما قتلوا مع أن الهداية إنما تكون قبل الموت لا بعده؟

قلت: معناه: سيهديهم إلى محاجة منكر ونكير، وقيل: سيهديهم يوم القيامة إلى طريق الجنة.

٩٤٢ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ .. ﴿٣٢﴾﴾.

نزلت فى قوم ارتدوا عن الإيمان.

وقوله تعالى قبل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾﴾.

نزلت فى اليهود، فليس بتكرار.

(تمت سورة محمد)

****

---

٩٤١ ـ الدر المنثور /٢٧ والطبرى ٢٨/٢٦.

سورة الفتح

٩٤٣ ـ قوله تعالى : ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ①﴾ .

نزلت قبل فتح مكة، وجيء بالفعل ماضيًا، لأنه فى علمه تعالى كالواقع لتحقق وقوعه.

٩٤٤ ـ قوله تعالى : ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ .. ②﴾ .

إن قلت: كيف قال ذلك والنبى معصوم من الذنوب؟

قلت: المراد ذنب المؤمنين أو ترك الأفضل، أو أراد الصغائر على ما قاله به جمع أو المراد بالمغفرة العصمة.

ومعنى قوله: ﴿ما تقدم وما تأخر﴾ ما فرط منك فرضًا قبل النبوة وبعدها أو قبل فتح مكة وبعده، أو المراد بما تأخر العموم والمبالغة كقولهم: فلان يضرب من يلقاه ومن لا يلقاه بمعنى يضرب كل أحد مع أن من لا يلقاه لا يمكنه ضربه.

٩٤٥ ـ قوله تعالى : ﴿ .. وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ②﴾ .

أى يزيدك هدى وإلا فهو مهدى ﷺ.

٩٤٦ ـ قوله تعالى: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ㉖﴾ .

إن قلت: ما فائدة قوله: ﴿وأهلها﴾ بعد قوله ﴿أحق بها﴾؟

قلت: الضمير فى ﴿بها﴾ لكلمة التوحيد وفى أهليتهما للتقوى فلا تكرار.

٩٤٧ ـ قوله تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ .. ㉗﴾ .

إن قلت: ما وجه التعليق بمشيئة الله تعالى فى إخباره؟

---

٩٤٣ - انظر الدر المنثور ٦/٦٧.

٩٤٦ - كلمة التقوى هى كلمة (لا إله إلا الله).

قلت: ﴿إن﴾ بمعنى إذ كما فى قوله تعالى: ﴿وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين﴾.

أو أنه استثناء منه تعالى فيما يعلم تعليمًا لعباده أن يستثنوا فيما لا يعلمون.

أو أنه على سبيل الحكاية لرؤيا النبى ﷺ فإنه رأى أن قائلاً يقول:

لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين.

٩٤٨ ـ قوله تعالى:

إن قلت: ما فائدة ذكر ﴿لا تخافون﴾ بعد قوله آمنين؟

قلت: المعنى آمنين فى حال الدخول، لا تخافون عدوكم أن يخرجكم منه فى المستقبل.

٩٤٩ ـ قوله تعالى: ﴿ .. مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لا تَخَافُونَ .. ﴿٢٧﴾ ﴾.

تعليل لما دل عليه تشبيههم بالزرع من نمائهم وقوتهم كأنه قيل: إنما قواهم وكثرهم ليغيظ بهم الكفار.

٩٥٠ ـ قوله تعالى: ﴿ .. وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾.

﴿منهم﴾ أى من الذين مع محمد ﷺ وهم «الصحابة» مغفرة وأجرًا عظيما فـ «من» هنا لبيان الجنس كما فى قوله تعالى: ﴿فاجتنبوا الرجس من الأوثان﴾ لا للتبعيض لأن الصحابة كلهم موصوفون بالإيمان والعمل الصالح.

« تمت سورة الفتح »

****

---

٩٤٩ - انظر القرطبى ١٦/٢٩٩ والطبرى ٢٦/٧٢ والبحر المحيط ٨/١٠٢.

٩٥٠ - الدر المنثور ٦/٨٢.

سورة الحجرات

٩٥١ - قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ..(١)﴾.

﴿يا أيها الذين أمنوا﴾ ذكر فى السورة خمس مرات، والمخاطبون فيها المؤمنون، والمخاطب به أمر، أو نهى، وذكر فيها ﴿يا أيها الناس﴾ مرة والمخاطبون فيها يعم المؤمنين والكافرين، كما أن المخاطب به وهو قوله: ﴿إنا خلقناكم من ذكر وأنثى﴾ يعمهما، فناسب فيها ذكر الناس، وقوله: لا تقدموا من قدم بمعنى تقدم، لأن المراد به نهيهم عن أن يتقدموا على النبى ﷺ بقول، أو فعل لا عن أن يقدموا غيرهم.

٩٥٢ - قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ..(٢)﴾.

فائدة ذكر ﴿ولا تجهروا له بالقول﴾ بعد قوله: ﴿لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى﴾ النهى عن الجهر فى مخاطبته، وإن لم يتضمن رفع أصواتهم على صوته.

وقيل: المراد النهى عن مخاطبته ﷺ باسمه.

٩٥٣ - قوله تعالى: ﴿.. أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ (٢)﴾.

أى مخافة حبوطها.

فإن قلت: كيف قال ذلك مع أن الأعمال إنما تحبط بالكفر، ورفع الصوت على صوت النبى ليس بكفر؟

---

٩٥١ - الطبرى ٢٦/ ٧٤ والبرهان ٤٨٥.
٩٥٢ - ٣٠٦/١٦.

قلت: المراد به الاستخفاف بالنبى ﷺ، لأنه ربما يؤدى إلى الكفر.

وقيل: حبوط العمل هنا مجاز عن نقصان المنزلة وانحطاط الرتبة.

٩٥٤ ـ قوله تعالى: ﴿ .. وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ .. ﴿٧﴾ ﴾.

إن قلت: ما فائدة الجمع بين الفسق والعصيان؟

قلت: الفسوق: الكذب كما نقل عن ابن عباس رضى الله عنهما، والعصيان: بقية المعاصى، وإنما أفرد الكذب بالذكر، لأنه سبب نزول هذه الآية. وقيل: الفسوق الكبيرة، والعصيان: الصغيرة.

٩٥٥ ـ قوله تعالى: ﴿قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا .. ﴿١٤﴾ ﴾.

المنفى هنا: الإيمان بالقلب، والمثبت: الانقياد ظاهرًا فهما في اللغة متغايران بهذا الاعتبار كما أنهما فى الشرع مختلفان مفهومًا، متحدان صدقًا، إذ الإيمان هو التصديق بالقلب، بشرط التلفظ بالشهادتين والإسلام بالعكس.

٩٥٦ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا .. ﴿١٥﴾ ﴾.

إن قلت: العمل ليس من الإيمان فكيف ذكر أنه من فى هذه الآية؟

قلت: المراد منها الإيمان الكامل، أى أنما المؤمنين إيمانًا كاملاً، كما فى قوله تعالى: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ وقوله ﷺ: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده».

« تمت سورة الحجرات »

****

٩٥٥ - انظر الطبرى ٢٦/ ٩٠.

سورة ق

٩٥٧ ـ قوله تعالى: ﴿قٓ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ۝١ بَلْ عَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ.. ۝٢﴾.

﴿ق﴾ إذا جعل اسمًا للسورة فهو خبر مبتدأ محذوف أى هذه ق بالمعنى السابق فى ص.

وإن جعل قسمًا فجوابه مع ما عطف عليه محذوف، تقديره: لتبعثن، بدليل قوله ﴿ذلك رجع بعيد﴾ أو لقد أرسلنا محمدًا، بدليل قوله: ﴿بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم﴾.

أو هو قوله: ﴿قد علمنا ما تنقص الأرض منهم﴾ حذفت منه اللام لطول الكلام.

أو هو قوله: ﴿ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾.

٩٥٨ ـ قوله تعالى: ﴿.. فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ۝٩﴾.

إن قلت: فيه إضافة الشىء إلي نفسه وهى ممتنعة، لأن الإضافة تقتضى المغايرة بين المضاف والمضاف إليه؟

قلت: ليست ممتنعة مطلقًا، بل هى جائزة عند اختلاف اللفظين، كما فى قوله: ﴿حق اليقين﴾ و﴿حبل الوريد﴾ و﴿دار الآخرة﴾.

وبتقدير امتناعها مطلقًا فالتقدير: حب الزرع أو النبات الحصيد.

٩٥٩ ـ قوله تعالى: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝١٧﴾.

---

٩٥٧ - انظر القرطبى ١٧/ ٤.

٩٥٨ - الطبرى ٢٦/ ٩٦.

٩٥٩ - انظر البحر المحيط ٨/ ١٢٣.

إن قلت: كيف قال ﴿قعيد﴾ ولم يقل: قعيدان إذ أنه وصف للملكين المذكورين؟

قلت: معناه عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد لكنه حذف أحدهما لدلالة المذكور عليه، أو أن «فعيلاً» يستوى فيه الواحد والإثنان والجمع، قال تعالى: ﴿والملائكة بعد ذلك ظهير﴾ أو قال ذلك رعاية للفواصل.

٩٦٠ ـ قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ قَرِينُهُ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ ﴾.

قاله هنا بالواو، وقاله بعد بدونها«٢٧» لأن الأول خطاب للإنسان من قرينه ومتعلق به، فناسب ذكر الواو، والثانى استئناف خطاب من الله، غير متعلق بما قبله فناسب حذفها.

٩٦١ ـ قوله تعالى: ﴿ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ ﴾.

إن قلت: كيف ثنى الفاعل مع أنه واحد، وهو مالك خازن النار؟

قلت: بل الفاعل مثنى وهما الملكان اللذان مر ذكرهما بقوله: ﴿وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد﴾ أو أن تثنية الفاعل أقيمت مقام تكرر الفعل للتأكيد، واتحادهما حكما، فكأنه قال: ألق، ألق كقول امرىء القيس: قفا نبك، أو أن العرب أكثر ما يوافق الرجل منهم اثنين فكثر على ألسنتهم خطابهما، فقالوا خليلى وصاحبى وقفا ونحوها.

٩٦٢ ـ قوله تعالى: ﴿ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ ﴾.

إن قلت: لم، لم يقل: غير بعيدة لكونه وصفًا للجنة؟

قلت: لأن «فعيلا» يستوى فيه المذكر والمؤنث، أو لأنه صفة لمذكر محذوف أى مكانًا غير بعيد.

فإن قلت: ما فائدة قوله: ﴿غير بعيد﴾ بعد قوله: ﴿وأزلفت﴾ بمعنى قربت؟

قلت: فائدته التأكيد كقولهم: هو قريب غير بعيد وعزيز غير ذليل.

٩٦٣ ـ قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ .. ﴿٣٧﴾ ﴾.

أى واع، وإلا فكل إنسان له قلب بل كل حيوان أو المراد بالقلب: العقل.

« تمت سورة ق »

****

سورة الذاريات

٩٦٤ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾﴾.

إن قلت: كيف قال ذلك مع أن الصادق وصف للواعد، لا لما يوعد؟

قلت: وصف به ما يوعد مبالغة، أو هو بمعنى مصدوق كعيشة راضية، وماء دافق.

٩٦٥ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ.. ﴿١٦﴾﴾.

ختم الآية هنا بقوله ﴿وعيون. آخذين﴾ وفى الطور بقوله: ﴿ونعيم. فاكهين﴾ لأن ما هنا متصل بما به يصل الإنسان إلى الجنات، وهو قوله: ﴿إنهم كانوا قبل ذلك محسنين﴾ الآيات. وما فى الطور متصل بما يناله الإنسان فيها، وهو قوله: ﴿ووقاهم عذاب الجحيم كلوا واشربوا﴾ الآية.

٩٦٦ ـ قوله تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ أى صنفين.

فإن قلت: كيف قال ذلك، مع أن العرش، والكرسى واللوح والقلم، لم يخلق من كل منها إلا واحدًا؟

قلت: معناه ومن كل حيوان خلقنا ذكرًا وأنثى ومن كل شىء يشاهدونه خلقنا صنفين: كالليل والنهار والنور والظلمة والصيف والشتاء والخير والشر والحياة والموت والشمس والقمر.

٩٦٧ ـ قوله تعالى: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾﴾.

---

٩٦٥ - انظر البحر المحيط ٨/ ١١٣ والبرهان ٤٨٩.

٩٦٦ - القرطبى.

٩٦٧ - البرهان فى توجيه متشابه القرآن للإمام الكرمانى مسألة ٤٩٠.

قاله هنا وبعد، وليس بتكرار لأن الأول متعلق بترك الطاعة إلى المعصية والثانى بالشرك بالله.

٩٦٨ ـ قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾.

لا ينافى ذلك عدم عبادة الكافرين لأن الغاية لا يلزم وجودها كما فى قولك: بريت القلم لأكتب به فإنك قد لا تكتب به، أو لأن ذلك عام أريد به الخصوص، بدليل قوله تعالى: ﴿ولقد ذرأنا لجهنم كثيرًا من الجن والإنس﴾ ومن خلق لجهنم لا يكون مخلوقًا للعبادة.

٩٦٩ ـ قوله تعالى: ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾﴾.

إن قلت: ما فائدة تكرار لفظ ﴿ما أريد﴾؟

قلت: فائدته إفادة حكم زائد على ما قبله إذ المعنى ما أريد منهم أن يطعموا أنفسهم، وما أريد منهم أن يطعموا عبيدي، وإنما أضاف تعالى الإطعام إلى نفسه، لأن الخلق عياله وعبيده، ومن أطعم عيال غيره فكأنه أطعمه، ويؤيده خبر أن الله تعالى يقول يوم القيامة: يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمنى﴾ أى إستطعمك عبدى فلم تطعمه.

﴿ تمت سورة الذاريات ﴾

****

سورة الطور

٩٧٠ ـ قوله تعالى: ﴿ .. وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ .

إن قلت: كيف قال ذلك مع أن الحور العين فى الجنة، مملوكات ملك يمين لا ملك نكاح؟

قلت: معناه قرناهم بهن، من قولك: زوجت إبلى أى قرنت بعضها إلي بعض، وليس من التزويج الذى هو عقد النكاح ويؤيده أن ذلك لا يعدى بالباء بل بنفسه، كما قال تعالى ﴿زوجناكها﴾.

٩٧١ ـ قوله تعالى: ﴿ .. كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ ﴾ .

إن قلت: كيف قال تعالى فى وصف أهل الجنة ذلك، مع أن المعنى: كل امرىء مرهون فى النار بعمله؟

قلت: بل المعنى كل نفس مرهونة بالعمل الصالح الذى هى مطالبة به، فإن عمل صالحًا، فلها وإلا أوبقها، أو الجملة من صفات أهل النار معترضة بين صفات أهل الجنة. روى عن مقاتل أنه قال: معناه كل امرىء كافر بما عمل من الكفر، مرتهن فى النار والمؤمن لا يكون مرتهنًا لقوله تعالى: ﴿كل نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين..﴾.

٩٧٢ ـ قوله تعالى: ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ ﴾ .

قاله هنا وفى الإنسان«١٩» بالواو، عطفًا على ما قبله وقاله فى الواقعة «١١، ١٨» بغير واو لأنه حال أو خبر بعد خبر.

٩٧٣ ـ قوله تعالى: ﴿ فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ ﴾ .

إن قلت: كيف قال ذلك مع أن كل أحد غيره كذلك؟

قلت: معناه: فما أنت ـ بحمد الله وإنعامه عليك بالصدق والنبوة ـ

---

٩٧٣ - انظر الطبرى ١٨/٢٧ .

بكاهن ولا مجنون كما يقول الكفار، أو «الباء» هنا بمعنى «مع» كما فى قوله تعالى: ﴿فتستجيبون بحمده﴾.

٩٧٤ - قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ ﴿٣٠﴾﴾ . ذكر «أم» خمس عشر مرة وكلها إلزامات ليس للمخاطبين بها عنها جواب.

٩٧٥ - قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا.. ﴿٤٨﴾﴾ .

معنى الجمع هنا: التفيم والتعظيم أى بحيث نراك ونحفظك ومثله قوله تعالى: ﴿تجرى بأعيننا﴾.

« تمت سورة الطور »

****

سورة النجم

٩٧٦ ـ قوله تعالى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾﴾.

إن قلت: كيف قال ذلك، مع أن الضلالة والغواية متحدتان؟

قلت: لا نسلم اتحادهما إذ الضلالة ضد الهدى، والغواية ضد الرشد.

أو المعنى: ما ضل فى قوله ولا غوى فى فعله.

وبتقدير اتحادهما يكون ذلك من باب التأكيد باللفظ المخالف مع اتحاد المعنى.

٩٧٧ ـ قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾﴾.

إن قلت: كيف أدخل كلمة الشك، وهو محال عليه تعالى؟

قلت: ﴿أو﴾ للتخيير لا للشك أى إن شئتم قدروا ذلك القرب بقاب قوسين أو بأدنى منهما، أو هى بمعنى «بل» أو للتشكيك لهم فى قدر القرب.

٩٧٨ ـ قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ﴿٢٠﴾﴾.

إن قلت: «رأى» هنا من رؤية القلب، فأين مفعولها الثانى؟

قلت: هو محذوف تقديره: أفرأيتموها بنات الله وأنداده؟ والمعنى: أخبرونى ألهذه الأصنام قدرة على شىء ما فتعبدونها، دون القادر على كل شىء؟

فإن قلت: كيف وصف الثالثة الأخرى مع أنه إنما يوصف بها الثانية، وظاهر اللفظ أن يكون قد سبق ثالثة، ثم لحقها أخرى، ليكون ثالثتين؟

قلت: ﴿الأخرى﴾ صفة للعزى وإنما أخرها رعاية للفواصل أو صفة ذم للات والعزى ومناة التى هى ثالثة اللتين قبلها فالأخرى على هذا من التأخر فى الرتبة.

٩٧٩ ـ قوله تعالى: ﴿ .. إن يَتَّبِعُونَ إلاَّ الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنفُسُ .. ﴿٢٣﴾ ﴾.

قاله هنا وبعد وليس بتكرار لأن الأول متصل بعبادتهم اللات والعزى ومناة والثانى بعبادتهم الملائكة والظن فيها مذموم بقوله: «إن الظن لا يغنى من الحق شيئا» أى لا يقوم مقام العلم.

فإن قلت: كيف لا يقوم مقامه، مع أنه يقوم مقامه فى كثير من المسائل كالقياس؟

قلت: المراد هنا: الظن الحاصل من اتباع الهوى، دون الظن الحاصل من الاستدلال بقرينة قوله: ﴿إن يتبعن الظن وما تهوى الأنفس﴾.

٩٨٠ ـ قوله تعالى: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ ﴾.

إن قلت: ثواب الصدقة، والقراءة والحج والدعاء يصل إلى الميت وليس من سعيه؟

قلت: ما دلت عليه الآية مخصوص بقوم إبراهيم وموسى وهو حكاية لما فى صحفهما، أما هذه الأمة فلها ما سعت وما سعى لها أو هو على ظاهره ولكن دعاء ولد الإنسان وصديقه، وقراءتهما وصدقتهما عنه، من سعيه أيضًا، بواسطة اكتسابه القرابة والصداقة أو المحبة من الناس، بسبب التقوى والعمل الصالح.

٩٨١ ـ قوله تعالى: ﴿ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾ ﴾.

أى تشك والخطاب فيه للوليد بن المغيرة.

فإن قلت: كيف قال تعالى ذلك بعد تعديد النقم والآلاء النعم؟

قلت: قد تقدم أيضًا تعديد النعم مع أن النقمة في طيها نعمة، لما تضمنته من المواعظ والزواجر، والمعنى: فبأى نعم ربك الدالة على وحدانيته تشك يا وليد بن المغيرة؟

« تمت سورة النجم »

****

---

٩٧٩ - راجع التفسير الكبير للفخر الرازى ٧/ ٧٤٤.

سورة القمر

٩٨٢ ـ قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا .. (٩)﴾.

إن قلت: ما فائدة إعادة التكذيب فيه؟

قلت: فائدته حكاية الواقع، وهو أنهم كذبوا تكذيبا بعد تكذيب، أو الأول تكذيبهم بالتوحيد، والثانى بالرسالة، أو الأول تكذيبهم بالله والثانى برسوله ﷺ.

٩٨٣ ـ قوله تعالى: ﴿فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ (١٢)﴾.

إن قلت: القياس «فالتقى الماءان» ـ كما قرىء به شاذًا ـ أى ماء السماء وماء الأرض.

قلت: أراد به جنس الماء ووحده موافقة لقوله قبل: ﴿بماء منهمر﴾.

٩٨٤ ـ قوله تعالى: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ (١٤)﴾.

إن قلت: كيف قال ذلك والجزاء إنما يكون للكافر لا للمكفور؟

قلت: إن قرىء «كفر» بالبناء للفاعل شاذًا فالخبر للكافر أو بالبناء للمفعول والأصل: كفر به حذف الجار وأوصل بمجروره الفعل، فالجزاء للمكفور به وهو الله تعالى، أو نوح عليه السلام، والجزاء لكونه مصدرًا «٠» يضاف تارة للفاعل وتارة للمفعول.

٩٨٥ ـ قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ (٢٠)﴾ ذكر وصف النخل هنا بـ ﴿منقعر﴾ وأنثه فى الحاقة بـ ﴿خاوية﴾ رعاية للفواصل فيهما، وجاز فيه الأمر نظرًا إلى «لفظ» النخل تارة فيذكر وإلى «معناه» فيؤنث.

« تمت سورة القمر »

****

---

٩٨٤ - البحر المحيط ٨/١٧٨.

(٠) ص : «قصد وانصاف» وهذا هو الصواب كما فى ج و ط.

٩٨٥ - راجع البحر المحيط ٨/١٧٨ والطبرى /٥٨.

سورة الرحمن

٩٨٦ ـ قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٧﴾﴾ قرنه برفع السماء لأنه تعالى عدد نعمه على عباده، ومن أجلها الميزان الذى هو العدل الذى به نظام العالم وقوامه.

وقيل: هو القرآن، وقيل: هو العقل وقيل: ما يعرف به المقادير كالميزان المعروف والمكيال والذراع.

إن قلت: ما فائدة تكرار لفظ الميزان ثلاث مرات مع أن القياس بعد الأولى الإضمار؟

قلت: فائدته بيان أن كلا من الآيات مستقلة بنفسها أو أن كلاً من الألفاظ الثلاثة مغاير لكل من الآخرين، إذ الأول ميزان الدنيا والثانى ميزان الآخرة والثالث ميزان العقل«٠».

فإن قلت: قوله: ﴿ألا تطغوا فى الميزان﴾ أى لا تجاوزوا فيه العدل مغن عن الجملتين المذكورتين بعده؟

قلت: الطغيان فيه: أخذ الزائد والإخسار: إعطاء الناقص والقسط: التوسط بين الطرفين المذمومين.

٩٨٧ ـ قوله تعالى: ﴿ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾ ﴾.

ذكر هنا إحدى وثلاثين مرة ثمانية منها ذكرت عقب آيات فيها تعداد عجائب خلق الله، وبدائع صنعه ومبدأ الخلق ومعادهم.

---

٩٨٦ - انظر القرطبى ١٧/ ١٥٥ والبرهان ٤٩٨.

(٠) ج : العقل . والأظهر أن المراد به العدل فهو الأليق بذكر الميزان انظر ط بتصرف.

٩٨٧ - راجع القرطبى ١٧/ ١٥٩ والبحر المحيط ٨/ ١٩٠.

ثم سبعة منها عقب آيات فيها ذكر النار وشدائدها بعدد أبواب جهنم وحسن ذكر الآلاء عقبها لأن من جملة الآلاء دفع البلاء وتأخير العقاب. وبعد هذه السبعة ثمانية فى وصف الجنتين وأهلهما بعدد أبواب الجنة. وثمانية أخرى بعدها فى الجنتين اللتين هما دون الجنتين الأوليين أخذًا من قوله تعالى: ﴿ومن دونهما جنتان﴾ فمن اعتقد الثمانية الأولى، وعمل بموجبها، استحق هاتين الثمانيتين من الله ووقاه السبعة السابقة.

٩٨٨ - قوله تعالى: ﴿خَلَقَ الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ﴿١٤﴾﴾ أى من طين يابس لم يطبخ له صلصلة أى صوت إذا نقر.

فإن قلت: كيف قال ذلك هنا، وقال فى الحجر ﴿من صلصال من حماء مسنون﴾ أى من طين أسود متغير، وقال فى الصافات ﴿من طين لازب﴾ أى لازم يلصق باليد، وقال فى آل عمران ﴿كمثل آدم خلقه من تراب﴾؟

قلت: الآيات كلها متفقة المعنى، لأنه تعالى خلقه من تراب ثم جعله طينًا ثم حمأ مسنونًا ثم صلصالاً.

٩٨٩ - قوله تعالى: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾﴾.

إن قلت: لم كرر ذكر الرب هنا دون سورتى: المعارج والمزمل؟

قلت: كرره هنا تأكيدًا وخص ما هنا بالتأكيد لأنه موضع الامتنان، وتعديد النعم، ولأن الخطاب فيه من جنسين هما: الإنس والجن، بخلاف ذينك.

٩٩٠ - قوله تعالى: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلانِ ﴿٣١﴾﴾ أى سنقصد لحسابكم، فهو وعيد وتهديد لهم، فالفراغ هنا بمعنى القصد للشىء لا بمعنى الفراغ منه، إذ معنى الفراغ من الشىء بذل المجهود فيه وهذا لا يقال فى حقه تعالى.

---

٩٨٨ - تفسير الطبرى ٢٧/ ٧٢ ، ٧٣.

٩٩١ ـ قوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ أى ولمن خاف قيامه بين يدى ربه والمعنى خائف من الفريقين جنتان : جنة للخائف الإنسى، وجنة للخائف الجنى، أو المعنى لكل خائف جنتان: جنة لعقيدته وجنه لعمله، أو جنة لفعل الطاعات، وجنة لترك المعاصى، أو جنة يثاب بها، وجنة يتفضل بها عليه أو المراد بالجنتين جنة واحدة وإنما ثنى مراعاة للفواصل.

٩٩٢ - قوله تعالى : ﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٥٦﴾﴾ جمع الضمير مع أن قبله جنتان لرجوعه إلى الآلاء المعدودة فى الجنتين أو إلى الجنتين لكن جمعه لاشتمالهما على قصور ومنازل أو إلى المنازل والقصور التى دل عليها ذكر الجنتين أو إلى الفرش لقربها، وتكون «فى» بمعنى «على» كما فى قوله تعالى: ﴿أم لهم سلم يستمعون فيه﴾ أى عليه وقوله تعالى: ﴿لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان﴾ أى لم يفتض الإنسيات إنسى ولا الجنيات جنى.

« تمت سورة الرحمن »

****

٩٩١ - راجع قول الفراء فى القرطبى ١٧/ ١١٧.

٩٩٢ - راجع قول أبو عبيدة عن (لم تمسهن) فى القرطبى ١٧/ ١٨١ و ١٨٩ والطبرى ٢٧/ ٨٧ وقول الفراء فى الطبرى ٢٧/ ٨٧ عن الكوفيين من أهل اللغة معنى فى قوله تعالى ﴿لم يطمثهن﴾ وانظر المروى عن ابن عباس فى ذلك عند أبى حيان ٨/ ١٩٨ والدر المنثور ٦/ ١٤٧.

سورة الواقعة

٩٩٣ ـ قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾﴾ فائدة التكرار فيه التأكيد في مقابلة التأكيد فى ﴿وأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة﴾ ﴿وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة﴾ كأنه قال: هم المعروف حالهم المشهور وصفهم.

أو المعنى: والسابقون إلى طاعة الله هم السابقون إلى رحمته وكرامته.. ثم قيل المراد بهم: السابقون إلى الإيمان من كل أمة وقيل: الذين صلوا إلى القبلتين وقيل: أهل القرآن، وقيل السابقون إلى المساجد وإلى الخروج فى سبيل الله وقيل: هم الأنبياء.

٩٩٤ ـ قوله تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾﴾.

إن قلت: كيف قال ذلك مع أن التخليد لا يختص بالولدان فى الجنة؟

قلت: معناه أنهم لا يتحولون عن شكل الولدان والمراد بهم هنا ولدان المسلمين، الذين يموتون صغاراً ولا حسنة لهم.

وقيل: ولدان على سن واحدة، وأنشأهم الله لأهل الجنة يطوفون عليهم، وقيل: أطفال المشركين وهم خدم أهل الجنة.

٩٩٥ ـ قوله تعالى: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾﴾ أى فهلا تصدقون بأنا خلقناكم؟

إن قلت: كيف قال ذلك مع أنهم مصدقون بذلك، بدليل قوله تعالى: ﴿ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله﴾.

---

٩٩٣ - انظر القرطبى ١٧/ ١٩٩.

٩٩٤ - انظر اختلاف العلماء فى البحر المحيط ٨/ ٢٠٥ والدر المنثور ٦/ ١٥٥.

قلت: هم وإن صدقوا بألسنتهم لما كان مذهبهم خلاف ما يقتضيه التصديق كانوا كأنهم مكذبون به، أو أن ذلك تحضيض على التصديق بالبعث بعد الموت بالاستدلال بالخلق الأول فكأنه قال: هو خلقكم أولاً باعترافكم فلا يمتنع عليه أن يعيدكم ثانيًا، فهلا تصدقون بذلك!!

٩٩٦ - قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾﴾ ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾﴾ ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾﴾؟ ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾﴾.

بدأ بذكر خلق الإنسان ثم بما لا غنى له عنه وهو الحب الذى منه قوته، ثم بالماء الذى به سوغه وعجنه ثم بالنار الذى بها نضجه وصلاحه وذكر عقب كل من الثلاثة الأولى ما يفسده فقال فى الأولى: ﴿نحن قدرنا بينكم الموت﴾ وفى الثانية: ﴿لو نشاء لجعلناه حطاما﴾ وفى الثالثة: ﴿لو نشاء جعلناه أجاجا﴾ ولم يقل فى الرابعة ما يفسدها بل قال: ﴿نحن جعلناها تذكرة ومتاعًا للمقوين﴾ أى جعلناها تذكرة تتعظون بها ومتاعًا للمسافرين ينتفعون بها.

٩٩٧ - قوله تعالى: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾﴾.

ذكر فى جواب ﴿لو﴾ فى الزرع اللام عملاً بالأصل وحذفها منه فى الماء اختصارًا لدلالة الأول عليه، أو أن أصل هذه اللام للتأكيد، وهو أنسب بالمطعوم لأنه مقدم وجودًا ورتبة على المشروب.

٩٩٨ - قوله تعالى : ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾ أى نزه ربك فقوله: ﴿باسم﴾ زائدة، أو المعنى نزه اسم ربك فالباء زائدة والاسم باق على معناه أو هو بمعنى الذكر، أو الباء متعلقة بمحذوف. والمراد بالتسبيح الصلاة وباسم ربك: التكبير أى افتتح الصلاة بالتكبير.

---

٩٩٦ - راجع البحر المحيط ٨/٢١١ والبرهان ٥٠١.

٩٩٧ - راجع المروى عن ابن عباس وقتادة فى الدر المنثور ٦/ ١٦١ والفراء فى القرطبى ١٧/٢١٩.

٩٩٩ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾﴾ .

إن قلت: القرآن صفة قديمة قائمة بذات الله تعالى فكيف يكون حالاً فى ﴿كتاب مكنون﴾ أى لوح محفوظ أو مصحف؟

قلت: لا يلزم من كتابته فى كتاب حلوله فيه كما لو كتب على شيء ألف دينار، لا يلزم منه وجودها فيه، ومثله قوله تعالى: ﴿الذى يجدونه مكتوبًا عندهم فى التوراة والإنجيل﴾ فثبت أنه ليس حالاً فى شيء من ذلك بل هو كلام الله تعالى، وكلامه صفة قديمة قائمة به لا تفارقه.

فإن قلت: إذا لم تفارقه فكيف سماه منزلاً؟

قلت: معنى «إنزاله تعالى له» أنه علمه جبريل وأمره أن يعلمه النبى ﷺ، ويأمره أن يعلمه لأمته مع أنه لم يزل ولا يزال صفة لله تعالى قائمة به لا تفارقه.

« تمت سورة الواقعة »

❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋

سورة الحديد

١٠٠٠ ـ قوله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ .. (١)﴾.

عبر هنا وفى «الحشر:٥٩» و«الصف:٦١» بالماضى، وفى «الجمعة:٦٢» و«التغابن:٦٤» بالمضارع وفى «الأعلى:٨٧» بالأمر وفى «الإسراء:١٧» بالمصدر استيعابًا للجهات المشهورة لهذه الكلمة وبدأ بالمصدر فى الإسراء لأنه الأصل، ثم بالماضى لسبق زمنه، ثم بالمضارع لشموله الحال والمستقبل، ثم بالأمر لخصوصه بالحال مع تأخره فى النطق به فى قولهم: فعل، يفعل، افعل، وقوله: ﴿ما فى السموات والأرض﴾ قاله هنا بحذف ﴿ما﴾ موافقة لقوله بعد: ﴿خلق السموات والأرض﴾ و﴿له ملك السموات والأرض﴾ وقاله فى الحشر، والصف، والجمعة، والتغابن بإثباتها عملاً بالأصل.

١٠٠١ ـ قوله تعالى: ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ .. (٥)﴾.

ذكره مرتين وليس بتكرار لأن الأول فى الدنيا لقوله عقبه ﴿يحيى ويميت﴾. والثانى فى العقبى لقوله عقبه: ﴿وإلى الله ترجع الأمور﴾.

١٠٠٢ ـ قوله تعالى: ﴿.. لا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ.. (١٠)﴾.

تقديره: من أنفق وقاتل قبل الفتح ومن أنفق وقاتل بعده، لأن الاستواء إنما يكون بين اثنين فأكثر، وإنما حذفه لدلالة ما بعده عليه.

١٠٠٣ ـ قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ .. (١٩)﴾.

سماهم شهداء تغليبًا أو المراد لهم أجر الشهداء وإلا فبعضهم لم يقتل حتى يكون شهيدًا.

١٠٠٠ ـ راجع البرهان.

١٠٠٤ ـ قوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ..(٢٢)﴾.

قاله هنا، وقال فى التغابن: ﴿ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله﴾ فصل هنا، وأجمل ثم موافقة لما قبلهما لأنه فصل هنا بقوله: ﴿اعلموا إنما الحياة الدنيا﴾ الآية، بخلافه ثم.

١٠٠٥ ـ قوله تعالى: ﴿ لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ..(٢٣)﴾.

ليس المراد به الانتهاء عن الحزن والفرح، اللذين لا ينفك عنهما الإنسان بطبعه، بل المراد الحزن المخرج لصاحبه إلى الذهول عن الصبر والتسليم لأمر الله والفرح الملهى عن الشكر، نعوذ بالله منهما.

١٠٠٦ ـ قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ ..(٢٥)﴾.

المراد بالميزان: العدل أو العقل وقيل: هو الميزان المعروف، أنزله جبريل عليه السلام فدفعه إلى نوح عليه السلام وقال له: مر قومك يزنوا به.

١٠٠٧ ـ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ..(٢٨)﴾.

إن قلت: كيف قال ذلك مع أن المؤمنين مؤمنون برسوله؟

قلت: معناه يا أيها الذين آمنوا بموسى وعيسى آمنوا بمحمد ﷺ فيكون خطابًا لأهل الكتاب خاصة، أو معناه: يا أيها الذين آمنوا يوم الميثاق آمنوا بالله ورسوله اليوم أو يا أيها الذين آمنوا فى العلانية باللسان اتقوا الله وآمنوا برسوله فى السر بتصديق القلب.

« تمت سورة الحديد »

****

١٠٠٦ - راجع أقوال العلماء فى الطبرى ٢٧/ ١٣٧ والدر المنثور للسيوطى ٦/ ١٧٧.

سورة المجادلة

١٠٠٨ - قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ..﴿٢﴾﴾.

قال ذلك هنا، وقال بعده: ﴿والذين يظاهرون من نسائهم﴾ لأن الأول خطاب للعرب خاصة، وكان طلاقهم فى الجاهلية الظهار، والثانى بيان أحكام الظهار للناس عامة.

١٠٠٩ - قوله تعالى: ﴿.. وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾﴾.

ختمه هنا بـ ﴿أليم﴾ وبعده بـ ﴿مهين﴾ لأن الأول متصل بضده وهو الإيمان، فتوعدهم على الكفر بالعذاب الأليم، الذى هو جزاء الكافرين، والثانى متصل بقوله: ﴿كبتوا﴾ وهو الإذلال والإهانة فوصف العذاب بمثل ذلك فقال: ﴿مهين﴾.

١٠١٠ - قوله تعالى: ﴿.. مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾.

إن قلت: لم خص «الثلاثة» و«الخمسة» بالذكر؟

قلت: لأن قومًا من المنافقين تحلقوا للتناجى، وكانوا بعدة العدد المذكور، مغايظة للمؤمنين فنزلت الآية بصفة حالهم عند تناجيهم أو لأن العدد الفرد أشرف من الزوج، لأن الله تعالى وتر يحب الوتر، فخصص العددان المذكوران بالذكر، تنبيهًا على أنه لا بد من رعاية الأمور الإلهية فى جميع

١٠٠٨ - راجع قصة المجادلة فى الطبرى ٢٨/ ٢-٦ والدر المنثور ٦/ ١٧٩ - ١٨٣ وأسباب النزول للسيوطى.

١٠٠٩ - انظر الدر المنثور ٦/ ١٨٣ والبرهان ٥١٠.

١٠١٠ - راجع القرطبى ١٧/ ٢٩١.

الأمور، ثم بعدد ذكرهما زيد عليهما ما يعم غيرهما من المتناجين بقوله: ﴿ولا أدنى من ذلك ولا أكثر﴾ تعميمًا للفائدة.

١٠١١ ـ قوله تعالى: ﴿ .. وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾﴾ أى أنهم كاذبون.

إن قلت: ما فائدة الاخبار عنهم بذلك؟

قلت: فائدته بيان ذمهم بارتكابهم اليمين الغموس.

« تمت سورة المجادلة »

****

سورة الحشر

١٠١٢ ـ قوله تعالى: ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ.. ﴿٦﴾﴾ .

قاله هنا بالواو، عطفًا على قوله تعالى: ﴿ما قطعتم من لينة﴾ وقاله بعد بحذفها لأنه مستأنف عما قبله.

١٠١٣ ـ قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ .. ﴿٩﴾﴾ .

«الدار» أى المدينة اتخذوها منزلاً، فقوله بعده ﴿والإيمان﴾ منصوب بـ ﴿تبوءوا﴾ بتضمنه لزموا، أو بمقدر أى واعتقدوا أو وأخلصوا و اختاروا الإيمان، لأن الإيمان لا يتخذ منزلاً، فهو على الثانى من باب «علفتها تبنًا وماء باردًا» أو منصوب بتبوءوا بلا تضمين، على أنه مجاز بجعله منزلاً لهم، لتمكنهم فيه كتمكنهم فى المدينة ففى ﴿تبوءوا﴾ جمع بين الحقيقة والمجاز، هو جائز عند الشافعى رضى الله عنه.

١٠١٤ ـ قوله تعالى: ﴿.. وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ .. ﴿١٢﴾﴾ .

إن قلت: «إن» الشرطية إنما تدخل على ما يحتمل وجوده وعدمه فكيف قال تعالى ذلك، مع اخباره بأنهم لا ينصرون؟

قلت: معناه: ولئن نصروهم فرضًا وتقديرًا كقوله تعالى لنبيه ﷺ. ﴿لئن أشركت ليحبطن عملك﴾.

١٠١٥ ـ قوله تعالى: ﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ .. ﴿١٣﴾﴾ .

أى أشد خوفًا فى صدور المنافقين أو اليهود وظاهره لأنتم أشد خوفًا من الله تعالى.

١٠١٢ - راجع البحر المحيط ٨/ ٢٤٠ والقرطبى ١٨/ ١٠.

فإن قلت: إن علق قوله «من الله» لزم ثبوت الخوف لله وهو محال، أو بالرهبة لزم كون المؤمنين أشد خوفًا من المذكورين وليس مرادًا؟

قلت: الرهبة مصدر «رهيب» بالبناء للمفعول هنا، فالمعنى أشد مرهوبية يعنى أنكم فى صدورهم أهيب من كون الله تعالى فيها ونظيره قولك: زيد أشد ضربًا فى الدار من عمرو، يعنى مضروبية.

١٠١٦ ـ قوله تعالى: ﴿ .. ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾.

ختمه هنا بقوله: ﴿لا يفقهون﴾ وبعده بقوله: ﴿لا يعقلون﴾ لأن الأول متصل بقوله ﴿لأنتم أشد رهبة فى صدورهم من الله﴾ أى لأنهم يفقون ظاهر الشىء دون باطنه والفقه معرفة الظاهر والباطن فناسب نفيه الفقه عنهم. والثانى متصل بقوله: ﴿تحسبهم جميعًا وقلوبهم شتى﴾ أى لو عقلوا لاجتمعوا على الحق ولم يتفرقوا فناسب نفى العقل عنهم.

إن قلت: كيف يستقيم التفضيل بأشدية الرهبة مع أنهم لا يرهبون الله، لأنهم لو رهبوه لتركوا النفاق والكفر؟

قلت: معناه إن رهبتهم فى السر منكم أشد من رهبتهم من الله تعالى، التى يظهرونها لكم، وكانوا يظهرون للمؤمنين رهبة شديدة من الله تعالى.

١٠١٧ ـ قوله تعالى: ﴿ .. وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ .. ﴿١٨﴾ ﴾. أى ليوم القيامة، وفائدة تنكير النفس، بيان أن الأنفس الناظرة فى معادها قليلة جدًا، كأنه قيل: ولتنظر نفس واحدة فى ذلك، وأين تلك النفس!! وفائدة تنكير «الغد» تعظيمه وإبهام أمره كأنه قيل: لا تعرف النفس كنه عظمته وهوله فالتنكير فيه للتعظيم وفى النفس للتقليل.

فإن قلت: الغد اليوم الذى يعقب ليلتك فكيف أطلق على يوم القيامة؟

قلت: الغد له معنيان: ما ذكرتم ومطلق الزمان والمستقبل كما أن الأمس، معنيين مقابلين لما ذكرنا وقيل: إنما أطلق الغد على يوم القيامة تقريبًا له، لقوله تعالى: ﴿وما أمر الساعة إلا كلمح البصر﴾ فكأنه لقربه أشبه اليوم الذى يعقب ليلتك.

١٠١٨ ـ قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا .. (٢١)﴾.

الآية، أى لو جعلنا فى جبل ـ على قساوته ـ تمييزًا كما فى الإنسان ثم أنزلنا عليه القرآن، لتشقق خشية من الله تعالى وخوفًا ألا يؤدى حقه فى تعظيم القرآن.

والمقصود تنبيه الإنسان على قسوة قلبه، وقلة خشوعه عند تلاوة القرآن وإعراضه عن تدبر زواجره.

١٠١٩ ـ قوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ .. (٢٤)﴾ الخالق: هو الذى قدر ما يوجده والبارىء: هو الذى يميز بعضه عن بعض بالأشكال المختلفة.

وقيل الخالق: المبدىء والبارىء: المعيد.

« تمت سورة الحشر »

****

سورة الممتحنة

١٠٢٠ ـ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ .. ۝١﴾.

بدأه هنا بـ ﴿تلقون﴾ وبعده بـ ﴿تسرون﴾ تنبيهًا بالأول على ذم مودة الأعداء، جهرًا وسرًا بالثانى على تأكيد ذمها سرًا، وخص الأول بالعموم لتقدمه وباء «المودة» زائدة وقيل: سببية والمفعول محذوف والتقدير: يلقون إليهم أخبار النبى ﷺ بسبب المودة التى بينكم وبينهم.

١٠٢١ ـ قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ.. ۝٤﴾.

قاله هنا بتأنيث الفعل مع الفاصل، لقربه وإن جاز التذكير، وأعاده فى قوله: ﴿لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة﴾ بتذكيره مع الفاصل لكثرته وإن جاز التأنيث وإنما كرر ذلك لأن الأول فى القول، والثانى فى الفعل وقيل: الأول فى إبراهيم والثانى فى محمد ﷺ.

١٠٢٢ ـ قوله تعالى: ﴿ .. إِلاَّ قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ .. ۝٤﴾.

مستثنى من قوله: ﴿أسوة حسنة﴾ وقوله: ﴿وما أملك لك من الله من شىء﴾ ليس مستثنى، وإنما ذكر لكونه من تمام قول إبراهيم عليه السلام، كأنه قال: أنا أستغفر لك، وليس فى طاقتى إلا الاستغفار.

« تمت سورة الممتحنة »

****

١٠٢٠ - انظر البحر المحيط ٨/ ٢٥٢ والدر المنثور ٦/ ٢٠٢.

١٠٢١ - راجع الدر المنثور ٦/ ٢٠٥.

سورة الصف

١٠٢٣ ـ قوله تعالى: ﴿ .. يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ .. ۝٥ ﴾.

فائدة ذكر «قد» التأكيد أو التكثير كما تكون للتقليل.

١٠٢٤ ـ قوله تعالى: ﴿ .. وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ .. ۝٦ ﴾.

إن قلت: كيف خص عيسى «أحمد» بالذكر دون «محمد» مع أنه أشهر أسماء النبى ﷺ؟

قلت: خصه بالذكر لأنه فى الإنجيل مسمى بهذا الاسم، ولأن اسمه فى السماء أحمد، فذكر باسمه السماوى لأنه أحمد الناس لربه لأن حمده لربه بما يفتحه الله عليه يوم القيامة من المحامد قبل شفاعته لأمته، سابق على حمدهم له تعالى، على طلبه الشفاعة من نبيه ﷺ لهم.

١٠٢٥ ـ قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الإِسْلامِ .. ۝٧ ﴾.

قاله هنا بتعريف الكذب إشارة إلى قول اليهود ﴿هذا سحر مبين﴾.

وقاله فى مواضع بتنكيره، جريًا على الأكثر من استعمال المصدر منكرًا.

١٠٢٦ ـ قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ .. ۝٨ ﴾ اللام زائدة للتأكيد فى مفعول «يريد» وأصله يريدون أن يطفئوا كما فى براءة، أو تعليله والمفعول محذوف تقديره: يريدون ابطال القرآن ليطفئوا.

١٠٢٧ ـ قوله تعالى: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ .. ۝١٢ ﴾ مجزوم جوابًا للأمر، المأخوذ من ﴿تؤمنون﴾ أو جوابًا للاستفهام فى قوله:

١٠٢٦ - راجع التفسير الكبير ٢٩/ ٣١٤ والبرهان ٥١٨.

١٠٢٧ - انظر البرهان فى توجيه متشابه القرآن ٥١٩.

﴿هل أدلكم على تجارة﴾؟ أو مجزوم بشرط مقدر أى تؤمنوا يغفر لكم.

١٠٢٨ ـ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ .. ﴿١٤﴾﴾.

إن قلت: ظاهره تشبيه كونهم أنصار الله بقول عيسى عليه السلام ﴿من أنصارى إلى الله﴾ وليس مرادًا؟

قلت: التشبيه محمول على المعنى تقديره: كونوا أنصار الله كما كان الحواريون أنصارًا لعيسى حين قال لهم: من أنصارى إلى الله؟

﴿ تمت سورة الصف ﴾

****

١٠٢٨ - راجع القرطبى ١٨/ ٩٠.

سورة الجمعة

١٠٢٩ ـ قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ .. ﴿٢﴾﴾.

إن قلت: ما وجه التقييد فى بعث الرسول بكونه أميًا منهم؟

قلت: مشاكلة حاله لأحوالهم، فيكون أقرب إلى موافقتهم له، أو انتفاء سوء الظن عنه، فى أن ما دعاهم إليه تعلمه من كتب قرأها، وحكم تلاها.

١٠٣٠ ـ قوله تعالى: ﴿.. إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ .. ﴿٩﴾﴾.

المراد بالسعى هنا: القصد لا العدو كقوله تعالى: ﴿وإن ليس للإنسان إلا ما سعى﴾ وقول الداعى: وإليك نسعى ونحفد.

١٠٣١ ـ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا .. ﴿١١﴾﴾ فيه حذف تقديره: وإذا رأوا تجارة انفضوا إليها، أو لهوًا انفضوا إليه، فحذف الثانى لدلالة الأول عليه، وقرأ ابن مسعود: «انفضوا إليهما» وعليه فلا حذف.

« تمت سورة الجمعة »

****

١٠٣٠ - راجع الطبرى ٢٨/ ٦٥ والبحر المحيط ٨/ ٢٦٨.

سورة المنافقون

١٠٣٢ ـ قوله تعالى: ﴿.. وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ①﴾ أى فى شهادتهم التى يعتقدونها فالتكذيب للشهادة لا للمشهود به.

١٠٣٣ ـ قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ.. ③﴾.

﴿ذلك بأنهم﴾ أى المنافقين ﴿آمنوا ثم كفروا﴾ أى آمنوا بألسنتهم، وكفروا بقلوبهم فـ «ثم» للترتيب الاخبارى لا الإيجادى.

١٠٣٤ ـ قوله تعالى: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ④﴾.

﴿كل﴾ مفعول أول ليحسب و﴿عليهم﴾ مفعول ثان له، والتقدير: يحسبون كل صيحة واقعة عليهم وقوله: ﴿العدو﴾ استئناف وقيل: هو المفعول الثانى ليحسب وعليه فـ ﴿عليهم﴾ حال.

١٠٣٥ ـ قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَفْقَهُونَ ⑦﴾.

ختمه هنا بـ ﴿لا يفقهون﴾ وبعده بـ ﴿لا يعلمون﴾ لأن الأول متصل بقوله: ﴿ولله خزائن السموات والأرض﴾ وفى معرفتها غموض يحتاج إلى فطنة وفقه فناسب نفى الفقه عنهم، والثانى متصل بقوله: ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾ وفى معرفتها غموض زائد يحتاج إلى علم، فناسب نفى العلم عنهم فالمعنى: لا يعلمون أن الله معز أوليائه ومذل أعدائه.

« تمت سورة المنافقين »

✻✻✻✻✻✻✻✻✻✻

١٠٣٥ - انظر البحر المحيط ٨/ ٢٧٤ والبرهان ٥٢١.

سورة التغابن

١٠٣٦ ـ قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ .. ﴿١﴾﴾.

كرر «ما» هنا وفى قوله بعد ﴿ويعلم ما تسرون وما تعلنون﴾ تأكيدًا وتعميمًا للاختلاف فناسب ذكر ﴿ما﴾ فيهما لأن تسبيح ما فى السماوات، مخالف لتسبيح ما فى الأرض، كثرة وقلة، ووقوعًا من حيوان وجماد، وأسرارنا مخالفة لعلانيتنا فناسب ذكر ﴿ما﴾ فيهما ولم يكررها فى قوله ﴿يعلم ما فى السماوات والأرض﴾ لعدم اختلاف علمه تعالى، إذ علمه بما تحت الأرض، كعلمه بما فوقها وعلمه بما يكون كعلمه بما كان فناسب حذفها فيه.

١٠٣٧ ـ قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَّاسْتَغْنَى اللَّهُ .. ﴿٦﴾﴾.

قوله: ﴿فكفروا وتولوا واستغنى الله﴾ مرتب على قوله: ﴿ذلك بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات﴾.

فإن قلت: ظاهره أن استغناءه بعد اتيان الرسل بالبينات مع أنه مستغن دائمًا؟

قلت: معناه ظهراستغناؤه عن إيمانهم حيث لم يلجئهم إليه مع قدرته على ذلك.

١٠٣٨ ـ قوله تعالى: ﴿.. وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا .. ﴿٩﴾﴾.

١٠٣٦ - انظر الكشاف للزمخشرى ٤/١١٢ والبرهان مسألة ٥٢٢.

١٠٣٨ - انظر القرطبى والبرهان ٥٢٣.

ذكر مثله فى الطلاق، لكن زاد هنا ﴿يكفر عنه سيئاته﴾ لأن ما هنا تقدمه ﴿أبشر يهدوننا﴾ الآيات وأخبر فيها عن الكفار بسيئات تحتاج إلى تكفير، فناسب ذكر ﴿يكفر عنه سيئاته﴾ بخلاف ما فى الطلاق لم يتقدمه شيء من ذلك.

١٠٣٩ ـ قوله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ .. (١١)﴾.

إن قلت: كيف قال ذلك مع أن الهداية سابقة على الإيمان؟

قلت: ليس المراد يهد قلبه للإيمان، بل المراد يهده لليقين عند نزول المصائب، فيعلم أن ما أخطأه لم يكن ليصيبه وما أصابه لم يكن ليخطئه، أو يهده للرضى والتسليم عند وجود المصائب، أو للاسترجاع عند نزولها بأن يقول: ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾.

« تمت سورة التغابن »

****

١٠٣٩ - راجع ما قاله العلماء فى تفسير هذه الآية فى الطبرى ٢٨/ ٧٩ ، ٨٠ والقرطبى ١٨/ ١٣٩.

سورة الطلاق

١٠٤٠ ـ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ.. ﴿١﴾﴾.

إن قلت: كيف أفرد نبيه بالخطاب مع أنه جمعه مع غيره عقبه؟

قلت: أفرده به أولاً لأنه أمام أمته وساد مسدهم أو معناه: يا أيها النبى قل لأمتك إذا طلقتم النساء أى أردتم طلاق نسائكم فطلقوهن.. الخ.

١٠٤١ ـ قوله تعالى: ﴿.. وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾﴾.

ذكره ثلاث مرات وختم الأول بقوله: ﴿يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾.

والثانى بقوله تعالى: ﴿.. يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴿٤﴾﴾.

والثالث بقوله تعالى: ﴿.. يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴿٥﴾﴾.

إشارة إلى تعداد النعم المترتبة على التقوى، من أن الله يجعل لمن اتقاه فى دنياه، مخرجًا من كرب الدنيا والآخرة ويرزقه من حيث لا يخطر بباله، ويجعل له فى دنياه وآخرته من أمره يسرا، ويكفر عنه فى آخرته سيئاته ويعظم له أجره.

إن قلت: كيف قال ما ختم به فى الأول، مع أنا نرى كثيرًا من الأتقياء مضيقًا عليهم رزقهم؟

قلت: معناه ما مر ثم، وذلك لا ينافى تضييق الرزق أو معناه أنه يجعل لكل متق مخرجًا من كل ما يضيق على من لا يتقى مع أن فى تضييقه فى

١٠٤٠ - راجع الدر المنثور ٦/ ٢٣٠.

١٠٤١ - البحر المحيط ٨/ ٢٨٢ والبرهان ٥٢٤.

المتقى لطفًا له ورحمة، لتقل عوائقه عن الاشتغال بما ولاه فى الدنيا ويتوفر حظه ويخف حسابه فى الآخرة.

١٠٤٢ ـ قوله تعالى: ﴿وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ .. ﴿٤﴾﴾.

إن قلت: كيف قيد عدة الآيسة والتى لم تحض ثلاثة أشهر بارتيابنا، مع أنه ليس بقيد؟

قلت: المراد بالارتياب الشك، بمعنى الجهل، بمقدار عدتهما وإذا كان هذه عدة المرتاب فيها فغيرها أولى.

١٠٤٣ ـ قوله تعالى: ﴿ .. وَإِن كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴿٦﴾﴾.

فائدة ذكر الغاية فيه، رفع توهم أن النفقة تتقيد، بمضى مقدار عدة الاقراء، أو أنه إذا طالت مدة الحمل لا تجب النفقة من الاطالة.

١٠٤٤ ـ قوله تعالى: ﴿ .. سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾﴾.

لا ينافى قوله: ﴿إن مع العسر يسرا﴾ لأن ﴿مع﴾ بمعنى بعد وإلا فيلزم اجتماع الضدين وهو محال.

١٠٤٥ ـ قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ .. ﴿٨﴾﴾.

إن قلت: كيف قال فيها ﴿فحاسبناها حسابا شديدًا وعذبناها عذابا نكرا﴾ بلفظ الماضى، مع أن الحساب والعذاب المرتبين على العتو إنما هو فى الآخرة؟

قلت: أتى بذلك على لفظ الماضى تحقيقًا له وتقريرًا، لأن المنتظر من وعد الله ووعيده، آت لا محالة ونظيره قوله تعالى: ﴿ونادى أصحاب النار﴾.

« تمت سورة الطلاق »

****

سورة التحريم

١٠٤٦ ـ قوله تعالى: ﴿ .. وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤﴾ ﴾.

إن قلت: إن كان المراد به الفرد فأى فرد هو مع أنه لا يناسب جمع الملائكة بعده؟ أو الجمع فهلا كتب فى المصحف بالواو؟

قلت: هو فرد أريد به الجمع كقوله تعالى: ﴿والملك على أرجائها﴾ وقوله: ﴿ثم يخرجكم طفلا﴾ أو هو جمع لكنه كتب فى المصحف بغير واو على اللفظ، كما جاءت ألفاظ كثيرة فى المصحف على اللفظ، دون إصلاح الخط.

١٠٤٧ ـ قوله تعالى: ﴿ .. وَالْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ ﴾.

وضع فيه المفرد موضع الجمع أى ظهراء، أو أن «فعيلا» يستوى فيه الواحد وغيره كقعيد.

١٠٤٨ ـ قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ .. ﴿٥﴾ ﴾.

إن قلت: كيف أثبت «الخيرية» لهن بالصفات المذكورة بقوله: «مسلمات» إلى آخره مع اتصاف أزواجه ﷺ بها أيضًا؟

قلت: المراد ﴿خيرًا منكن﴾ في حفظ قلبه ومتابعة رضاه مع اتصافهن بهذه الصفات المشتركة بينكن وبينهن.

قلت: لم ذكر الواو فى ﴿أبكارا﴾ وحذفها فى بقية الصفات؟

قلت: لأن أبكارا مباين للثيبات فذكر بالواو لامتناع اجتماعهما فى ذات واحدة بخلاف بقية الصفات، لا تباين فيها فذكرت بلا واو.

١٠٤٦ - انظر الدر المنثور ٦/٢٤٣ والطبرى ٢٨/١٠٤.

فإن قلت: أى مدح فى كونهن ثيبات؟

قلت: الثيب تمدح من جهة أنها أكثر تجربة وعقلاً وأسرع حبًا غالباً والبكر تمدح من جهة أنها أطهر وأطيب وأكثر مداعبة وملاعبة غالبًا.

١٠٤٩ ـ قوله تعالى: ﴿ .. لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (٦) ﴾.

فائدة ذكره بعد ﴿لا يعصون الله ما أمرهم﴾ التأكيد لاتحادهما صدقًا أو التأسيس لاختلافهما مفهومًا، أو المراد بالأمر الأول: العبادات والطاعات. والثانى: الأمر بتعذيب أهل النار.

١٠٥٠ ـ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا .. (٨) ﴾.

لم يقل نصوحه لأن «فعولا» يستوى فيه المذكر والمؤنث كقولهم: امرأة صبور وشكور.

١٠٥١ ـ قوله تعالى: ﴿كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ .. (١٠) ﴾.

فائدة قوله ﴿من عبادنا﴾ بعد عبدين، مدحهما والثناء عليهما، بإضافتما إليه إضافة التشريف والتخصيص، كما فى قوله تعالى: ﴿وعباد الرحمن﴾ وقوله تعالى: ﴿فادخلى فى عبادى﴾ وفى ذلك مبالغة فى المعنى المقصود، وهو أن الإنسان لا تنفعه عادة إلا صلاح نفسه لا صلاح غيره وإن كان ذلك الغير فى أعلى المراتب.

١٠٥٢ ـ قوله تعالى: ﴿ .. وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ (١٢) ﴾.

إن قلت: القياس من القانتات، فلم عدل إلى القانتين؟

قلت: رعاية للفواصل أو معناه من القوم القانتين.

« تمت سورة التحريم »

****

١٠٥٠ – راجع الدر المنثور ٦/ ٢٤٥ والبحر المحيط ٨٠٠/ ٢٩٣ والطبرى ٢٨/ ١٠٧ ، ١٠٨.

سورة الملك

١٠٥٣ ـ قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً..﴿٢﴾﴾.

قدم الموت لأنه هو المخلوق أولاً، لقوله تعالى: ﴿وكنتم أمواتًا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم﴾.

١٠٥٤ ـ قوله تعالى: ﴿.. مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ ..﴿٣﴾﴾.

أى من خلل وعيب وإلا فالتفاوت بين المخلوقات بالصغر والكبر وغيرهما كثير.

١٠٥٥ ـ قوله تعالى: ﴿.. فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾﴾.

قاله بعد: ﴿ثم ارجع البصر كرتين﴾ قيل: أى مع الكرة الأولى، فتصير ثلاث مرات والمشهور أن المراد بهذه التثنية التكثير، بدليل قوله تعالى: ﴿ينقلب إليك البصر خاسئًا﴾ أى ذليلاً ﴿وهو حسير﴾ أى كليل وهذان الوصفان لا يتأتيان بنظرتين ولا ثلاث، فالمعنى كرات كثيرة كنظيره فى قولهم: لبيك وسعديك، وحنانيك ودواليك وهذا كذلك.

١٠٥٦ ـ قوله تعالى: ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ..﴿١٦﴾﴾.

ليس بتكرار مع قوله تعالى: ﴿أم آمنتم من فى السماء أن يرسل عليكم حاصبًا﴾ لأن الأول فى تخويفهم بخسف الأرض بهم، والثانى فى تخويفهم بالحصيب من السماء وقدم الأول لأن الأرض التى جعلها الله مقرًا لهم وعبدوا فيها غيره أقرب إليهم من السماء البعيدة عنهم.

١٠٥٤ - ٢٩/٣ والبحر المحيط ٢٩٨/٨.

١٠٥٦ - الطبرى ٦/٢٩ والبرهان ٥٢٨.

إن قلت: كيف قال: ﴿من فى السماء﴾ مع أنه تعالى ليس فيها ولا فى غيرها بل هو تعالى منزه عن كل مكان؟

قلت: المعنى من ملكوته فى السماء التى هى مسكن ملائكته ومحل عرشه وكرسيه واللوح المحفوظ ومنه تنزل أقضيته وكتبه.

« تمت سورة الملك »

****

سورة القلم

١٠٥٧ ـ قوله تعالى: ﴿نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾﴾.

يأتى فيهما ما مر فى سورة «ص» لكن جواب القسم هنا مذكور، وهو الجملة المنفية وفى جوابه يعرف مما مر ثم.

١٠٥٨ ـ قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ.. ﴿٤٢﴾﴾.

أى توبيخًا وتعنيفًا لهم على تركه فى الدنيا لا تكليفًا وتعبدًا إذا لا تكليف فى الآخرة.

١٠٥٩ ـ قوله تعالى: ﴿.. وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ .. ﴿٤٣﴾﴾.

أى إلى الصلاة «وهم سالمون» أى صحيحون.

فإن قلت: الصحة ليست شرطًا فى وجوب الصلاة؟

قلت: المراد الخروج إلى الصلاة فى جماعة مشروط بالصحة.

« تمت سورة القلم »

❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋

١٠٥٧ - الطبرى ٢٩/ ١٠ والبحر المحيط ٣٠٨/٨ والدر المنثور ٦/ ٢٥٠.

١٠٥٨ - انظر الطبرى ٢٣/٢٩ والدر المنثور ٢٥٥/٦.

سورة الحاقة

١٠٦٠ ـ قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾﴾.

إنما لم يقل «صرصرة» كما قال «عاتية» مع أن الريح مؤنثة، لأن الصرصر وصف مختص بالريح، فأشبه باب «حائض وطامث وحامل» بخلاف عاتية فإنها غير الريح من الأسماء المؤنثة يوصف به.

١٠٦١ ـ قوله تعالى: ﴿.. فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾﴾.

﴿فيها﴾ أى فى تلك الليالى والأيام متعلق بصرعى لا بـ «ترى» والرؤية علمية لا بصرية، لأنه ﷺ ما أبصرهم صرعى فيها ولا رآهم فصار المعنى: فتعلمهم صرعى فيها بأعلامنا حتى كأنك تشاهدهم.

١٠٦٢ ـ قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾﴾.

فإن قلت: كيف قال ذلك مع أن المراد بهذه النفخة «النفخة الأولى» وهى نفخة الصعق والعرض إنما يكون بعد النفخة الثانية وبين النفختين زمن طويل.

قلت: المراد باليوم: الوقت الواسع الذى يقع فيه النفختان وما بعدهما.

١٠٦٣ ـ قوله تعالى: ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾﴾.

إن قلت: كيف عبر بأنه يظن ذلك، مع أنه يعلمه؟

قلت: الظن مطلق بمعنى العلم كما فى قوله تعالى: ﴿الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم وأنهم إليه راجعون﴾.

١٠٦١ - انظر البحر المحيط ٨/٣١٨.

١٠٦٣ - انظر البحر المحيط ٨/ ٣٢٠ والطبرى ٢٩/٣٨.

١٠٦٤ ـ قوله تعالى: ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلا طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾﴾.

إن قلت: ما التوفيق بينه وبين قوله تعالى: ﴿ليس لهم طعام إلا من ضريع﴾. وفى آخر ﴿إن شجرة الزقوم طعام الأثيم﴾ وفى آخر ﴿أولئك ما يأكلون فى بطونهم إلا النار﴾.

قلت: لا منافاة إذ يجوز أن يكون طعامهم جميع ذلك، أو أن العذاب أنواع والمعذبين طبقات فمنهم أكلة غسلين ومنهم أكلة الضريع ومنهم أكلة الزقوم ومنهم أكلة النار لكل باب منهم جزء مقسوم.

١٠٦٥ ـ قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾ .

إن قلت: لم ختم الأولى بقلة الإيمان، والثانية بقلة التذكرة؟

قلت: لأن من نسب النبى ﷺ إلى أنه شاعر وأن ما أتى به شعر فهو كافر، وأن من نسبه إلى الكهانة فإنما نسبه إليها لقلة تذكرة فى ألفاظ القرآن، إذ كلام الكهنة نثر لا شعر، فناسب ختمه بقلة التذكر، وختم الأول بقلة الإيمان.

« تمت سورة الحاقة »

****

١٠٦٤ - الطبرى ٤١/٢٩.

سورة المعارج

١٠٦٦ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾﴾.

فسر ﴿هلوعا﴾ بقوله: إذا مسه الشر جزوعا وإذا مسه الخير منوعا.

فإن قلت: الإنسان فى حال خلقه لم يكن موصوفًا بذلك؟

قلت: ﴿هلوعا﴾ حال مقدرة أى مقدر فى خلقه الهلع كما فى قوله تعالى: ﴿محلقين رؤوسكم﴾ أى لتدخلن المسجد الحرام مقدرين حلق رؤوسكم.

١٠٦٧ ـ قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

ختمه هنا بقوله: ﴿دائمون﴾ وبعد بقوله: ﴿يحافظون﴾ لأن المراد بدوامهم عليها، ألا يتركوها فى وقت من أوقاتها وبمحافظتهم عليها أن يأتوا بها على أكمل أحوالها من الاتيان بها بجميع واجباتها وسننها ومنها الاجتهاد فى تفريغ القلب عن الوسوسة والرياء والسمعة.

(تمت سورة المعارج)

****

١٠٦٦ - انظر الطبرى ٢٩/٤٩.

سورة نوح

١٠٦٨ - قوله تعالى: ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى..﴿٤﴾﴾.

خطاب لقوم نوح عليه السلام.

فإن قلت: إن كان المراد تأخيرهم عن الأجل المقدر أزلاً فهو محال لقوله تعالى: ﴿ولن يؤخر الله نفسًا إذا جاء أجلها﴾ أو تأخيرهم إلى مجىء أجلهم المقدر، فهم كغيرهم سواء آمنوا أم لا؟.

قلت: معناه يؤخركم عن العذاب إلى منتهى آجالكم على تقدير الإيمان، فلا يعذبكم فى الدنيا إن وقع منكم ذنب كما عذب غيركم من الأمم الكافرة فيها، أو يؤخر موتكم كأن قضى الله بتعميركم ألف سنة إن آمنوا، وبخمسمائة سنة إن لم يؤمنوا.

١٠٦٩ - قوله تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ..﴿١٠﴾﴾ أى من الشرك بالتوحيد.

١٠٧٠ - قوله تعالى: ﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي ..﴿٢١﴾﴾.

قاله هنا بلا واو، وقاله بعد بواو لأن الأول استئناف والثانى معطوف عليه.

١٠٧١ - قوله تعالى: ﴿.. وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٢٤﴾﴾.

ختمه بقوله: ﴿ضلالا﴾ موافقة لقوله قبل ﴿وقد أضلوا كثيرا﴾ وختمه بعد بقوله ﴿تبارا﴾ أى هلاكًا موافقة لقوله قبل: ﴿لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا﴾.

١٠٧١ - راجع البرهان ٥٣٦.

١٠٧٢ ـ قوله تعالى: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ ﴾.

إن قلت: كيف دعا نوح على قومه بذلك مع أنه أرسل إليهم ليهديهم ويرشدهم؟

قلت: إنما دعا عليهم بذلك، بعد أن أعلمه الله تعالى أنهم لا يؤمنون.

١٠٧٣ ـ قوله تعالى: ﴿ .. وَلا يَلِدُوا إِلاَّ فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ ﴾ من كلام نوح.

فإن قلت: كيف وصفهم بالفجور والكفر حال ولادتهم وكيف عرف أنهم لا يلدوا إلا فاجرًا كفاراً ؟

قلت: وصفهم بما يئولون إليه من الفجور والكفر وعلم ذلك بإعلام الله إياه.

« تمت سورة نوح »

****

١٠٧٢ - انظر الطبرى ٢٩/ ٦٣ والبحر المحيط ٨/ ٣٤٣.

سورة الجن

١٠٧٤ ـ قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ .. ﴿١٩﴾ ﴾.

أى النبى ﷺ، وإنما عدل عنه إلى «عبدالله» تواضعًا لأنه واقع موقع كلامه عن نفسه.

« تمت سورة الجن »

****

سورة المزمل

١٠٧٥ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً ۝٥﴾ .

وصف القرآن بالثقل لثقله بنزول الوحى على نبيه حتى كان يعرق فى اليوم الشاتى أو لثقل العمل بما فيه أو لثقله فى الميزان أو لثقله على المنافقين.

١٠٧٦ ـ قوله تعالى: ﴿السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ .. ۝١٨﴾ أى بذلك اليوم لشدته، وإنما لم يؤنث صفة السماء مع أنها مؤنثة لأنها بمعنى السقف تقول: هذا سماء البيت أى سقفه، قال تعالى: ﴿وجعلنا السماء سقفًا محفوظًا﴾. أو لأنها تذكر وتؤنث أو جاء ﴿منفطر﴾ على النسب أى ذات انفطار كامرأة مرضع وحائض أى ذات ارضاع وذات حيض.

١٠٧٧ ـ قوله تعالى: ﴿.. فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلاً ۝١٩﴾ .

إن قلت: إن جعل ﴿اتخذ إلى ربه سبيلا﴾ جوابًا فأين الشرط؟ أو ﴿شاء﴾ لا يصلح شرطًا بدون ذكر مفعوله أو جعل المجموع شرطًا فأين الجواب؟

وقلت: معناه فمن شاء النجاة اتخذ إلى ربه سبيلا. أو فمن شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا، اتخذ إلى ربه سبيلا، كقوله: ﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ أى فمن شاء الإيمان فليؤمن ومن شاء الكفر فليكفر.

١٠٧٨ ـ قوله تعالى: ﴿.. فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ .. ۝٢٠﴾ أى فى الصلاة، بأن تصلوا ما تيسر من الصلاة بما تيسر من القرآن، وهذا يرجع إلى قول بعضهم: إن المراد بـ ﴿اقرءوا﴾ صلوا وإن عبر بالقراءة عن الصلاة التى هى بعض واجباتها فهو من اطلاق «الجزء على الكل» وقوله بعده: ﴿فاقرءوا ما تيسر منه﴾ تأكيدًا، حثًا على قيام الليل بما تيسر.

﴿ تمت سورة المزمل ﴾

****

١٠٧٨ - القرطبى ١٩/ ٥١ والبرهان ٥٣٨.

سورة المدثر

١٠٧٩ ـ قوله تعالى: ﴿فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝٩ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ۝١٠﴾.

فائدة ذكره بعد قوله ﴿فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين﴾ رفع توهم أن يراد بـ ﴿عسير﴾ عسر يرجى تيسيره كما يرجى تيسير العسر من أمور الدنيا وقيل: فائدته التوكيد.

١٠٨٠ ـ قوله تعلى: ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ۝١٨ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝١٩ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝٢٠﴾.

ذكر ﴿قدر﴾ ثلاث مرات، و﴿قتل كيف قدر﴾ مرتين، لأن المعنى أن الوليد فكر فى شأن النبى ﷺ وما أتى به، وقدر ماذا يمكنه أن يقول فيهما، فقال الله: ﴿فقتل كيف قدر﴾ أى على أى حال كان تقديره فالتقدير، الأول مغاير للثانى والثالث، لاختلاف المقدر، وقوله للمبالغة فهو تأكيد ولزم منه أن ﴿قدر﴾ الثالث تأكيد للثانى، وأن ﴿قتل﴾ الثانى تأكيد للأول، و﴿ثم﴾ للدلالة على أن مدخولها أبلغ مما قبلها. وقيل: المراد بالقتل الأول لغو الوليد وتعذيبه فهو مغاير للثانى.

١٠٨١ ـ قوله تعالى: ﴿لا تُبْقِي وَلا تَذَرُ ۝٢٨ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ۝٢٩ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ۝٣٠﴾.

قيل: معناهما واحد، أى لا تبقى ولا تذر للكفار شيئًا من لحم ولا عصب إلا أهلكته، ثم يعود كما كان وقيل: متغايران أى لا تبقى لهم لحمًا، ولا تذر لهم عظمًا أو لا تبقيهم أحياء، ولا تذرهم أمواتًا.

١٠٨٠ - الطبرى ٢٩/ ٩٨ والبحر المحيط ٨/ ٣٧٤ والبرهان ٥٣٩.

١٠٨١ - الدر المنثور ٦/ ٢٨٤ والطبرى ٢٩/ ١٠٠.

فإن قلت: لأى معنى خص عدد خزنة جهنم بـ ﴿تسعة عشر﴾؟

قلت: لأنها موافقة لعدد أسباب فساد النفس الإنسانية، وهى القوي «الإنسانية والطبيعية» إذ القوى الإنسانية اثنتا عشرة: الخمسة الظاهرة، والخمسة الباطنة والشهوة والغضب.

والقوى الطبيعية سبعة: الجاذبية، والماسكة، والهاضمة، والدافعة والغاذية، والنامية، والمولدة والمجموع تسعة عشر.

« تمت سورة المدثر »

****

سورة القيامة

١٠٨٢ ـ قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿١٨﴾ ﴾.

أي بقراءة جبريل عليك.

١٠٨٣ ـ قوله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾.

إن قلت: الذى يوصف بالنظر بمعنى الإبصار، النظر بالعين لا بالوجه؟

قلت: أطلق الوجه فيه وأراد جزؤه ففى لفظ ﴿وجوه﴾ بالنظر إلي ﴿ناضرة﴾ و﴿ناظرة﴾ جمع بين الحقيقة والمجاز وهو جائز.

١٠٨٤ ـ قوله تعالى: ﴿ .. أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٥﴾ ﴾.

أى أولاك الله ما تكره، وكرره مرارًا بقوله: ﴿فأولى ثم أولى لك فأولى﴾ مبالغة فى التهديد والوعيد، فهو تهديد بعد تهديد ووعيد بعد وعيد.

« تمت سورة القيامة »

❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋

١٠٨٢ – انظر القرطبى ١١٨/٢٩.

١٠٨٤ – القرطبى ١٩/ ١١٤ والتفسير الكبير للفخر الرازى ٢٣٣/٣٠ والبرهان ٥٤٣.

سورة الإنسان

١٠٨٥ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ .. ﴿٢﴾﴾.

وصف النطفة مع أنها مفرد بـ ﴿أمشاج﴾ وهو جمع لأنها فى معنى الجمع، كقوله: «متكئين على رفرف خضر» أو بجعل أجزائها نطفًا، وقيل: ﴿أمشاج﴾ مفرد لا جمع، كبرمة أعشار، وثوب أخلاق.

١٠٨٦ ـ قوله تعالى: ﴿ .. نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾﴾.

إن قلت: كيف عطف على ﴿نبتليه﴾ ما بعده بالفاء مع أن الابتلاء متأخر عنه؟

قلت: ﴿نبتليه﴾ حال مقدرة أى مريدين ابتلاءه حين تأهله فجعلناه سميعًا بصيرًا، فالمعطوف عليه هو إرادة الابتلاء لا الابتلاء.

١٠٨٧ ـ قوله تعالى: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ .. ﴿١٥﴾﴾.

ذكره بالبناء للمفعول وقال بعد: ﴿ويطوف عليهم ولدان﴾ بالبناء للفاعل، لأن المقصود فى الأول ما يطاف به لا الطائفون بقرينة قوله: ﴿بآنية من فضة﴾ والمقصود فى الثانى: الطائفون، فذكر فى كل منهما ما يناسبه.

١٠٨٨ ـ قوله تعالى: ﴿ .. وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَ ﴿١٥﴾﴾ معناه تكونت لا إنها كانت قبل قوارير، فهو من قوله تعالى: ﴿كن فيكون﴾ وكذا ﴿كان مزاجها كافورا﴾.

١٠٨٩ ـ قوله تعالى: ﴿ .. إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾﴾.

إن قلت: ما الحكمة فى تشبيههم باللؤلؤ المنثور، دون المنظوم؟

١٠٨٥ - الطبرى ١٢٦/٢٩.

١٠٨٧ - القرطبى ١٢٨/١٩.

قلت: لأنه تعالى أراد تشبيههم - لحسنهم وانتشارهم فى الخدمة - باللؤلؤ الذى لم يثقب، وهو أشد صفاء وأحسن منظرًا مما ثقب لأنه إذا ثقب نقص صفاؤه ومائيته وما لم يثقب لا يكون منثورا.

١٠٩٠ - قوله تعالى: ﴿ .. وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ ﴾.

إن قلت: أى شرف لتلك الدار مع أنه سقاهم ذلك فى الدنيا، قال تعالى: ﴿وأسقيناكم ماء فراتا﴾ أى عذبا؟

قلت: المراد سقاهم فى تلك الدار بغير واسطة، وأيضًا فشتان ما بين الشرابين والآنيتين والمنزلين.

١٠٩١ - قوله تعالى: ﴿ .. وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ ﴾.

أفاد بالتعبير بـ ﴿أو﴾ النهى عن طاعتهما معًا بالأولى ولو عطف بالواو لأفهم جواز طاعة أحدهما وليس مرادًا.

١٠٩٢ - قوله تعالى: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ .. ﴿٢٨﴾ ﴾.

فإن قلت: كيف قال ذلك هنا، وقال فى النساء، ﴿وخلق الإنسان ضعيفا﴾؟

قلت: قال ابن عباس وغيره المراد به: ضعيف عن الصبر عن النساء، فلذلك أباح الله له نكاح الأمة، وقال الزجاج: معناه يغلبه هواه وشهوته، فلذلك وصف بالضعف ومعني قوله: ﴿وشددنا أسرهم﴾ ربطنا أوصالهم بعضها إلى بعض بالعروق والأعصاب أو المراد بالأسر: عجب الذنب لأنه لا يتفتت فى القبر.

« تمت سورة الإنسان »

✻✻✻✻✻✻✻✻✻✻

سورة المرسلات

١٠٩٣ ـ قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾﴾ .

كررها هنا عشر مرات والتكرار فى مقام الترغيب والترهيب مستحسن لاسيما إذا تغايرت الآيات السابقة على المرات المكررة كما هنا.

١٠٩٤ ـ قوله تعالى: ﴿هَذَا يَوْمُ لا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ .

إن قلت: نفى النطق عنهم يدل على انتفاء الاعتذار منهم، إذ الاعتذار لا يكون إلا بالنطق فما فائدة قوله عقبه: ﴿ولا يؤذن لهم فيعتذرون﴾.

قلت: معناه لا ينطقون ابتداء بعذر مقبول ولا بعد أن يؤذن لهم فى الاعتذار، لو أذن لهم فيه، إذ الخائف عادة قد لا ينطق لسانه بعذر وحجة لخوفه لكن إذا أذن له فيه نطق، ففائدة ذلك نفى هذا المعنى أى لا ينطقون ابتداء بعذر ولا بعد الإذن.

فإن قلت: ما ذكر ينافيه ما دل عليه قوله تعالى: ﴿يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم﴾ من وقوع الاعتذار منهم؟

قلت: لا ينافيه لأن يوم القيامة يوم طويل فيعتذرون فى وقت ولا يعتذرون فى آخر، والجواب بأن المراد بتلك الآية «الظالمون» من المسلمين، وبما هنا «الكافرون» ضعيف لتعقيب تلك الآية بقوله تعالى: ﴿ولهم اللعنة ولهم سوء الدار﴾.

﴿ تمت سورة المرسلات ﴾

****

١٠٩٣ - انظر التفسير الكبير ٣/ ٢٧١ ، البرهان ٥٤٦.

سورة النبأ

١٠٩٥ ـ قوله تعالى: ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾﴾ .

كررها تأكيدًا، أو الأول توعد للكفار بما يرونه عند النزع، والثانى توعد لهم بما يصيرون إليه من عذاب الآخرة، أو الأول توعد بأهوال القيامة، والثانى توعد بما بعدها من النار وحرها، أو الأول ردع عن الاختلاف والثانى عن الكفر، و﴿ثم﴾ للاشعار بأن الوعيد الثانى أشد.

١٠٩٦ ـ قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَادًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴿٧﴾﴾ .

وجه اتصاله بما قبله، أنهم لما اختلفوا فى النبأ العظيم ـ وهو البعث ـ ثم أنكروه، نبههم الله تعالى بما خلقه وأوجده على كمال قدرته وغاية قهره، وأن جميع الأشياء طوع إرادته، وفى مشيئه.

١٠٩٧ ـ قوله تعالى: ﴿إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَاءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾﴾ .

قال ذلك هنا، وقال بعد ﴿جزاء من ربك عطاء حسابا﴾ لأن الأول للكفار، فناسب ذكر ﴿وفاقا﴾ أى جزاء موافقًا لأعمالهم كما قال تعالى: ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها﴾ والثانى للمؤمنين فناسب ذكر ﴿حسابا﴾ أى كافيًا وافيًا لأعمالهم من قولك: حسبى أى كفانى.

« تمت سورة النبأ »

****

١٠٩٥ - انظر الكشاف للزمخشرى ٤/٢٠٧ والبرهان ٥٤٧.
١٠٩٧ - راجع البرهان ٥٤٨.

سورة النازعات

١٠٩٨ ـ قوله تعالى: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا ﴿٢﴾﴾ .

الواو فيه للقسم وجوابه محذوف أى لتبعثن والمراد بالنازعات وما عطف عليه: الملائكة، وذكروا بلفظ التأنيث مع أنهم ليسوا إناثا، لأنه تعالى أقسم بطوائفها والطائفة مؤنثة.

١٠٩٩ ـ قوله تعالى: ﴿أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ ﴿٩﴾﴾ أى ذليلة لما ترى.

فإن قلت: كيف أضف الابصار إلى القلوب مع أنها لا تضاف إليها؟

قلت: فيه حذف مضاف أى أبصار أربابها.

١١٠٠ ـ قول تعالى: ﴿فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾﴾ .

فإن قلت: كيف قال ذلك، مع أنه أراه الآيات كلها، لقوله تعالى: ﴿ولقد أريناه آياتنا كلها﴾ وكل آياته كبرى.

قلت: الاخبار هنا عما أراه له أول ملاقاته إياه، وهو العصى واليد، وأطلق عليهما «الآية الكبرى» لاتحاد معناهما أو أراد بالكبرى: العصى وحدها، لأنها كانت مقدمة على الأخرى.

١١٠١ ـ قوله تعالى: ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٢٩﴾﴾ أضاف الليل إلى السماء، مع أنه إنما هو فى الأرض لأنه هو أول ما يظهر عند الغروب من أفق السماء.

١١٠٢ ـ قوله: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾﴾ أى الداهية العظمى التى تطم على غيرها وهى «النفخة الثانية» وخص ما هنا بالطامة، موافقة لما قبله من داهية فرعون، وهى قوله: ﴿أنا ربك الأعلى﴾ ولذلك وصفت الطامة الكبرى، موافقة لقوله قبل: ﴿فأراه الآية الكبرى﴾ بخلاف ما فى «عبس» لم يتقدمه شىء من ذلك فخصت بالصاخة، وإن شاركت الطامة فى أنها النفخة

الثانية، لأنها الصوت الشديد، والصوت يكون بعد الطم، فناسب جعل الطم للسابقة والصخ للاحقة، وجواب «إذا» قوله: ﴿فأما من طغى﴾ الخ وقيل: محذوف تقديره: فإن الجحيم مأواه.

« تمت سورة النازعات »

****

سورة عبس

١١٠٣ ـ قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ ﴿١٢﴾﴾.

﴿إنها﴾ أى الآيات، أو السورة ﴿فمن شاء ذكره﴾ أى القرآن أو ما ذكر من الآيات.

١١٠٤ ـ قوله تعالى: ﴿وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾﴾.

الآب: ما ترعاه البهائم وقيل: التين وقيل: يابس الفاكهة.

١١٠٥ ـ قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴿٣٤﴾﴾.

جواب «إذا» محذوف يدل عليه قوله بعد ﴿لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه﴾.

« تمت سورة عبس »

❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋

سورة التكوير

١١٠٦ ـ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾﴾.

أى أوقدت فصارت ناراً. قال ذلك هنا، وقال فى الانفطار، ﴿وإذا البحار فجرت﴾ أى سالت مياهها على الأرض فصارت بحراً واحداً، واختلط العذب بالملح موافقة فى الأول لقوله بعده: ﴿سعرت﴾ ليقع الوعيد بتسجير البحار وتسعير النار، وفى الثانى بقوله: ﴿وإذا الكواكب انتثرت﴾ أى تساقطت على الأرض، وصيرورة البحار ناراً مسجرة يصير أحدهما فى وقت، والآخر فى آخر لطول يوم القيامة.

١١٠٧ ـ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾﴾.

فإن قلت: كيف قال ذلك، مع أن سؤال ما ذكر إنما يحسن من القاتل لا من المقتول؟

قلت: إنما سئلت لتبكيت قاتلها وتوبيخه بما يجيب به، فإنها قتلت بغير ذنب.

ونظيره قوله تعالى لعيسى عليه السلام: ﴿أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله..﴾؟

١١٠٨ ـ قوله تعالى: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾﴾.

أى علمت كل نفس، لقوله تعالى: ﴿يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا﴾ الآية.

١١٠٦ - الطبرى ٢٩/ ٤٤ والقرطبى ١٩/ ٢٢٩ والبرهان ٥٥٠.
١١٠٨ - الطبرى ٢٩/ ٤٨ والبرهان ٥٥١.

فإن قلت: لم ختم الآية هنا بقوله: ﴿ما أحضرت﴾ أى من خير وشر، وفى الانفطار بقوله: ﴿ما قدمت وأخرت﴾ أى ما قدمته من الأعمال وما أخرته منها فلم تعمله.

قلت: رعاية للمناسبة، إذ شروط الجواب هنا طالت بكثرتها فحسن اختصاره ليوقف عليه، وشروطه ثم قصرت بقلتها، فحسن بسطه لتيسر الوقف عليه حينئذ.

« تمت سورة التكوير »

****

سورة الانفطار

١١٠٩ ـ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾﴾.

إن قلت: ما فائدة تخصيص ذكر صفة الكرم، من بين سائر صفاته تعالى؟

قلت: فائدته اللطف بعبده، وتلقينه حجته وعذره ليقول: غرنى كرم الكريم.

١١١٠ ـ قوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٨﴾﴾.

كرره تعظيمًا للدين، وقيل: الأول للمؤمنين والثانى للكفار.

١١١١ ـ قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا .. ﴿١٩﴾﴾.

فإن قلت: كيف قال ذلك مع أن النفوس المقبولة الشفاعة، تملك لمن شفعت فيه شيئًا وهو الشفاعة؟

قلت: المنفى ثبوت الملك بالسلطنة، والشفاعة ليست بطريق السلطنة، فلا تدخل فى النفى ويؤيده قوله تعالى: ﴿والأمر يومئذ لله﴾.

« تمت سورة الانفطار »

****

سورة المطففين

١١١٢ ـ قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢﴾.

فإن قلت: هلا قال: اكتالوا واتزنوا، كما قال فى مقابله ﴿وإذا اكتالوهم أو وزنوهم﴾؟

قلت: لأن المطففين كانت عادتهم ألا يأخذوا ما يكال وما يوزن إلا بالمكيال، لأن استيفاء الزيادة بالمكيال أمكن لهم، وأهون عليهم منه بالميزان، وإذا أعطوا كالوا ووزنوا لتمكنهم من البخس فيهما.

١١١٣ ـ قوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ۝٨ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ۝٩﴾. ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ۝١٩ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ۝٢٠﴾.

إن قلت : كيف فسر «سجين» و«عليين» بكتاب مرقوم مع أن سجينًا اسم للأرض السابعة، و«عليين» اسم لأعلى الجنة أو لأعلى الأمكنة أو للسماء السابعة أو لسدرة المنتهى؟

قلت: ﴿كتاب مرقوم﴾ وصف معنوى لكتاب الفجار ولكتاب الأبرار، لا تفسير لسجين ولعليين والتقدير: وهو كتاب مرقوم.

« تمت سورة المطففين »

****

١١١٢ - انظر القرطبى ٢٤٩/١٩.

سورة الانشقاق

١١١٤ ـ قوله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ۝١﴾.

جواب ﴿إذا﴾ أن جعلت شرطية محذوف تقديره: علمت نفس ما أحضرت، أو علمت نفس ما قدمت وأخرت، أو بعثتم أو لاقى كل إنسان كدحه، أو مذكور وهو: أيها الإنسان بتقدير الفاء أو بتقدير يقال أو هو ﴿فملاقيه﴾ أى فأنت ملاقيه أو هو ﴿فأما من أوتى كتابه﴾ إلى آخره، والعامل فيها بكل تقدير جوابها. وإن جعلت غير شرطية فهى منصوبة بـ «اذكر» مقدراً أو مرفوعة مبتدأ خبره «إذا» الثانية بزيادة الواو أى وقت انشقاق السماء وقت امتداد الأرض.

١١١٥ ـ قوله تعالى: ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٢﴾.

ذكره مرتين لأن الأول متصل بالسماء والثانى بالأرض، ومعنى ﴿أذنت﴾ سمعت وأطاعت، وحق لها أن تسمع وتطيع.

١١١٦ ـ قوله تعالى: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ ۝٢٢﴾.

قاله هنا بلفظ ﴿يكذبون﴾ وفى البروج بلفظ «فى تكذيب» رعاية للفواصل فيهما.

« تمت سورة الانشقاق »

****

سورة البروج

١١١٧ ـ قوله تعالى: ﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾﴾.

الشاهد: يوم الجمعة والمشهود: يوم عرفة، ونكرهما دون بقية ما أقسم به، لاختصاصهما من بين الأيام، بفضيلة ليست لغيرهما، فلم يجمع بينهما وبين البقية بلام الجنس، وهذا جواب أيضًا عما يقال: لم خصهما بالذكر دون بقية الأيام، وإنما لم يعرفا بلام العهد، لأن التنكير أدل على التفخيم والتعظيم بدليل قوله تعالى: ﴿وإلهكم إله واحد﴾.

١١١٨ ـ قوله تعالى: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴿٥﴾﴾.

هو جواب القسم، بحذف اللام أو بحذفها مع «قد» أن جعل خبرًا، فإن جعل دعاء فجواب القسم ﴿إن الذين فتنوا﴾ أو ﴿إن بطش ربك لشديد﴾ أو هو محذوف لتبعثن.

« تمت سورة البروج »

****

١١١٧ - انظر الطبرى ٣٠/٣٢ والدر ٦/٣٣١.

سورة الطارق

١١١٩ ـ قوله تعالى: ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾﴾ .

هو جواب القسم و«ما» مخففة مزيدة أو «إن» نافية، و«لما» بالتشديد بمعنى إلا .

١١٢٠ ـ قوله تعالى: ﴿فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴿١٧﴾﴾ .

كرر تأكيدا وخولف بين لفظيهما طلبا للخفة .

« تمت سورة الطارق »

****

١١٢٠ - راجع التسهيل ٤/ ١٩٤ والبرهان مسألة رقم ٥٥٧ .

سورة الأعلى

١١٢١ ـ قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾﴾ .

فإن قلت: أنه ﷺ مأمور بالتذكير، وإن لم تنفع الذكرى؟

قلت: إن معنى «إن» هنا «إذ» كما فى قوله تعالى: ﴿وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين﴾ أو التقدير إن نفعت الذكرى أو لم تنفع، كما فى قوله تعالى: ﴿سرابيل تقيكم الحر﴾ .

١١٢٢ ـ قوله تعالى : ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾﴾ .

إن قلت: كيف قال ذلك مع أن الحيوان لا يخلو عن الاتصاف بأحدهما؟

قلت: معناه لا يموت موتًا يستريح به ولا يحيا حياة ينتفع بها، كقوله تعالى: ﴿لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها﴾ وقيل: معناه تصعد نفسه إلى الحلقوم ثم لا تفارقه فيموت، ولا ترجع إلى موضعها من الجسم فيحيا، و﴿ثم﴾ للتراخى بين الرتب فى الشدة.

« تمت سورة الأعلى »

❊❊❊❊❊❊❊❊❊❊❊

سورة الغاشية

١١٢٣ ـ قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ۝ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝﴾.

قال ذلك هنا، وقال بعده: ﴿وجوه يومئذ ناعمة﴾ وليس بتكرار، لأن الأول فى الكفار، والثانى فى المؤمنين والمراد بالوجوه فيهما جميع الأبدان، لأن ما ذكر من الأوصاف لا يختص بالوجوه فهو كقوله تعالى: ﴿وعنت الوجوه للحى القيوم﴾ أو المراد بها الأعيان والرؤساء، كما يقال هؤلاء وجوه القوم، ويا وجه العرب.

١١٢٤ ـ قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝﴾ . . الخ.

إن قلت: كيف ارتبط هذا بما قبله، وأى مناسبة بين الإبل والمعطوفات عليها حتى جمع بينهما؟

قلت: أما الجواب عن الأول، فلأنه لما وصف الله تعالى الجنة بما وصف، عجب الكفار من ذلك فذكرهم غرائب صنعه ولأنه لما ذكر ارتفاع سررها قالوا: كيف نصعدها؟ فنزلت هذه الآية.

أو المعنى: أفلا ينظرون إلى الإبل نظر اعتبار كيف خلقت للأثقال، وحملها إلى البلاد البعيدة وبروكها لتحمل ونهوضها بما حملته وسخرت لكل من قادها حتى الصبى الصغير، وأعطت الصبر على العطش عشرة أيام فأكثر، وجعلت ترعى كل نبات فى المفاوز، دون غيرها من الدواب وإنما لم يذكر الفيل والزرافة والكركدند وغيرها مما هو أعظم من الجمل، لأن العرب لم يروا شيئًا من ذلك ولا عرفوه.

وأما الجواب عن الثانى فلأن الإبل كانت أنفس أموالهم وأكثرها وإنما جمع بينها وبين ما بعدها لأنهما جاءا على وفق عادة العرب، فى انتفاهم

١١٢٤ - القرطبى ٢٠/٢٤.

بالإبل أكثر، ولا يحصل إلا بأن ترعى وتشرب وذلك بنزول المطر من السماء فعطفها فى الذكر على الإبل ثم لا بد من حصن يتحصنون به ولا شىء فى ذلك لهم كالجبال فعطفها على ما قبلها فإذا فتش البدوى فى نفسه وجد هذه الأشياء حاضرة عنده على الترتيب المذكور، بخلاف الحضرى.

« تمت سورة الغاشية »

****

سورة الفجر

١١٢٥ ـ قوله تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢﴾.

قسم وجوابه مع ما بعده محذوف تقديره: لتعذبن يا كفار مكة ﴿وليال عشر﴾ أى ليالى عشر ذى الحجة.

إن قلت: كيف نكرها دون بقية ما أقسم به؟

قلت: لاختصاصها من بين الليالى بفضيلة ليست لغيرها، فلم يجمع بينها وبين البقية بلام الجنس، وإنما لم تعرف بلام العهد لما مر فى سورة الحج.

١١٢٦ ـ قوله تعالى: ﴿.. فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ۝١٥﴾.

إن قلت: كيف ذم من يقول: ﴿ربى أكرمن﴾ مع أنه صادق فيه لقوله تعالى: ﴿فأكرمه ونعمه﴾ ومع أنه متحدث بالنعمة وهو مأمور بالتحدث بها لقوله تعالى: ﴿وأما بنعمة ربك فحدث﴾؟

قلت: المراد أن يقول ذلك مفتخرًا به على غيره ومستدلاً به على علو منزلته فى الآخر، ومعتقدًا استحقاق ذلك على ربه كما فى قوله تعالى: ﴿قال إنما أوتيته على علم عندى﴾ وكل ذلك منهى عنه وأما إذا قاله على وجه الشكر، والتحدث بنعمة الله تعالى فليس بمذموم بل ممدوح.

١١٢٧ ـ قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ .. ۝٢٢﴾.

« تمت سورة الفجر »

****

١١٢٦ - انظر البرهان ٥٦١.

سورة البلد

١١٢٨ ـ قوله تعالى: ﴿لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ۝١ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ۝٢﴾ أى مكة.

إن قلت: لم كرر لفظ البلد؟

قلت: لم يكرره إذ التقدير: لا أقسم بهذا البلد المحرم الذى جبلت العرب على تعظيمه وتحريمه ﴿وأنت حل بهذا البلد﴾ أى أحل لك فيه من حرماته، ما لم يحل لأحد قبلك ولا بعدك من قتل «ابن خطل» وقتال المشركين ساعة من نهار، فالمراد بالبلد الأول الباقى على تحريمه وبالثانى الذى أحل للنبى ﷺ إكرامًا له، وتعظيمًا لمنزلته.

١١٢٩ ـ قوله تعالى: ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ۝٣﴾ الوالد: آدم وما ولد: ذريته، وقال ﴿وما﴾ ولم يقل «ومن﴾ لأن فى ﴿ما﴾ من الابهام ما ليس فى «من» فقصد بها التفخيم والتعظيم، كأنه تعالى قال: وأى شىء عجيب غريب ولد، ونظيره قوله تعالى: ﴿والله أعلم بما وضعت﴾.

« تمت سورة البلد »

****

١١٢٨ - البحر المحيط ٨/ ٤٧٥.

سورة الشمس

١١٣٠ ـ قوله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾﴾.

نكرها دون بقية ما أقسم به. لأنه لا سبيل إلى لام الجنس، المدخلة لنفس غير الإنسان مع أنها ليست مرادفة لقوله تعالى: ﴿فألهمها فجورها وتقواها﴾ ولا إلى لام العهد إذ ليس المراد نفسًا واحدة معهودة وبتقدير أنه أريد بها «آدم» فالتنكير أدل على التفخيم والتعظيم كما مر في سورة الفجر.

١١٣١ ـ قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾﴾ جاوب القسم بحذف اللام، لطول الكلام وقيل: جوابه محذوف تقديره: لتبعثن أو لتدمرن يا أهل مكة.

١١٣٢ ـ قوله تعالى: ﴿إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا ﴿١٢﴾﴾.

هو «قدار بن سالف» وقيل هو: مصدع بن دهر.

« تمت سورة الشمس »

****

١١٣٠ - انظر الطبرى ٣٠/ ١٣٥.

١١٣١ - انظر الطبرى والقرطبى.

١١٣٢ - راجع القرطبى ٢٠/ ٧٨ ومختصر ابن كثير ٣/ ٦٤٥ والبرهان ٥٦٣ وفيه «يزدهر».

سورة الليل

١١٣٣ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾﴾.
جواب القسم وقيل: جوابه محذوف كما مر فى نظائره السابقة.
١١٣٤ ـ قوله تعالى: ﴿لا يَصْلاهَا إِلاَّ الأَشْقَى ﴿١٥﴾﴾ المراد الشقى.

« تمت سورة الليل »
❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋

١١٣٣ - انظر الطبرى ٣٠/ ١٤٠.

سورة الضحى

١١٣٥ ـ قوله تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾ جواب القسم.

١١٣٦ ـ قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَىٰ ۝٧﴾ .

أى: بحق معالم النبوة، وأحكام الشريعة فهداك إليها، أو ضالاً فى صغرك فى شعاب مكة، فردك إلى جدك عبدالمطلب، أو وجدك ناسيًا فهداك إلى الذكر، لأن الاضلال جاء بمعنى النسيان كما فى قوله تعالى ﴿ان تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى﴾ وإنما جمع بينهما فى قوله تعالى: ﴿لا يضل ربى ولا ينسى﴾ لأن الضلال ثم ليس بمعنى النسيان بل بمعنى الخطأ أو الغفلة.

١١٣٧ ـ قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَىٰ ۝٨﴾ أى فقيرًا فأغناك بما قنعك به من الغنيمة وغيرها، لا بكثرة المال، وفى الحديث «ليس الغنى عن كثرة العرض وإنما الغنى غنى النفس».

١١٣٨ ـ قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١﴾

كرر فيه «أما» ثلاث مرات لوقوعها فى مقابلة ثلاث آيات مناسبات لها وهى: ﴿ألم يجدك يتيما فآوى. ووجدك عائلا فأغنى﴾ فقال: ﴿فأما اليتيم فلا تقهر﴾ «واذكر يتمك» ﴿وأما السائل فلا تنهر﴾ «واذكر فقرك» ﴿وأما بنعمة ربك﴾ التى هى النبوة أو الإسلام فحدث واذكر ضلالك.

« تمت سورة الضحى »

****

١١٣٧ - انظر الطبرى ١٤٩/٣٠.

١١٣٨ - الكشاف ٤/ ٢٦٥ والبرهان ٥٦٥.

سورة الشرح

١١٣٢ ـ قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١﴾ .

إن قلت: ما فائدة ذكر ﴿لك﴾ فيه و﴿عنك﴾ فيما بعده مع أن الكلام تام بدونهما؟

قلت: فائدته الإبهام ثم الإيضاح وذلك من أنواع البلاغة، فلما قال تعالى: ﴿ألم نشرح لك﴾ فهم أن هناك مشروحًا ثم قال: ﴿صدرك﴾ فأوضح ما علم بهما، وكذا الكلام فى ﴿وضعنا لك﴾.

١١٤٠ ـ قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾.

إن قلت: ﴿مع﴾ للمصاحبة، فما معنى مصاحبة العسر اليسر؟

قلت: لما عير المشركون المسلمين بفقرهم وعدهم الله يسرًا قريبا، من زمان عسرهم، وأراد تأكيد الوعد وتسلية قلوبهم فعل اليسر كالمصاحب للعسر فى سرعة مجيئه.

فإن قلت: لم ذكر ذلك مرتين بقوله: ﴿فإن مع العسر يسرا. إن مع العسر يسرا﴾؟

قلت: لأن معناه فإن مع العسر الذى أنت فيه من مقاساة الكفار يسرا فى العاجل، إن مع العسر الذى أنت فيه من مقاساتهم يسرا فى الأجل فلا تكرار، فالعسر واحد والتعريف أولاً للجنس وثانيًا للعهد واليسر اثنان بدليل تنكيرهما والتنكير فيهما للتفخيم والتعظيم، ولذلك روى عن عمر وابن عباس

١١٤٠ - راجع البرهان ٥٦٦.

وابن مسعود بل عن النبى ﷺ: «لن يغلب عسر يسرين» وقيل: كرر ذلك للتأكيد كما فى قوله تعالى: ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ لتعزيز معناه فى النفوس، وتمكينه فى القلوب فاليسران متحدان كالعسرين.

« تمت سورة الانشراح »

****

سورة التين

١١٤١ ـ قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾.

قال ذلك هنا: وقال فى سورة البلد ﴿لقد خلقنا الإنسان فى كبد﴾ ولا منافاة بينهما، لمراعاة الفواصل فى السورتين ولأن معناه هنا ـ عند كثير من المفسرين ـ منتصب القامة، معتد لها فيكون فى المعنى أحسن تقويم وذلك لا ينافى كونه فى كبد.

١١٤٢ ـ قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا..﴿٦﴾﴾.

إن فسر بالرد إلى جهنم فهو أسفل حقيقى والاستثناء بعده متصل وعليه فقوله تعالى: ﴿فلهم أجر غير ممنون﴾ قائم مقام قوله: فلا نردهم أسفل سافلين.

أو بالرد: إلى أسفل العمر فهو تسفل فى الرتب والأوصاف بالنسبة إلى رتب الشباب وأوصافه، والاستثناء بعده منقطع وعليه فقوله تعالى: ﴿فلهم أجر غير ممنون﴾ أى غير مقطوع بالهرم والضعف والمعنى: إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فى حال «شبابهم»«٠» وقوتهم، إذا عجزوا بالهرم عن العمل، كتب لهم ثواب ما كانوا يعملون إلى وقت موتهم.

« تمت سورة التين »

❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋

١١٤١ - متشابه القرآن ٢/ ٦٩٥/ ٨٥٧.

١١٤٢ - الدر المنثور ٦/ ٣٦٧ والبحر المحيط ٨/ ٤٩٠.

(٠) ج : شبتهم ، وهو خطأ تحريف من الناسخ، وقد صححها الشيخ الصابونى.

سورة العلق

١١٤٣ - قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢﴾.

أى أوجد القراءة مبتدئًا باسم ربك و﴿اقرأ﴾ الثانى تأكيد له ﴿الذى خلق﴾ أى الخلائق وخص قوله: ﴿خلق الإنسان﴾ بالذكر، مع دخوله فى الأول لشرفه ونزول القرآن إليه وقوله ﴿من علق﴾ لم يقل: من علقه لأن الإنسان فى معنى الجمع، أو رعاية للفاصلة قبله...

١١٤٤ - قوله تعالى: ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤﴾. مبهم فسره بقوله بعده: ﴿عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾.

« تمت سورة العلق »

****

سورة القدر

١١٤٥ ـ قوله تعالى: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣﴾.

عدل عن الضمير إلى الظاهر فى لفظ القدر تعظيمًا لليلته.

١١٤٦ ـ قوله تعالى: ﴿.. مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤﴾.

متعلق بـ ﴿تنزل﴾ و﴿من﴾ بمعنى الباء، كما فى قوله تعالى: ﴿يحفظونه من أمر الله﴾ وقوله: ﴿يلقى الروح من أمره﴾.

« تمت سورة القدر »

****

١١٤٦ - البحر المحيط ٨/٤٩٧.

سورة البينة

١١٤٧ ـ قوله تعالى: ﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ .. ﴿٢﴾﴾ .

أى من عنده كما أظهره فى قوله: ﴿ولما جاءهم رسول من عند الله﴾.

١١٤٨ ـ قوله تعالى: ﴿ .. يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾﴾ .

إن قلت: ظاهره أنه يقرأ المكتوب من الكتاب مع أنه منتف فى حقه ﷺ لكونه أميًا؟ .

قلت: المراد يتلو ما فى الصحف عن ظهر قلبه.

فإن قلت: ما الفرق بين الصحف والكتب حتى جمع بينهما فى الآية؟

قلت: الصحف قراطيس (مطهرة) من الشرك والباطل والكتب بمعنى المكتوبات أى فى القراطيس مكتوبة (قيمة) أى مستقيمة ناطقة بالعدل والحق.

١١٤٩ ـ قوله تعالى: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾﴾ .

﴿أوتوا الكتاب﴾ هم اليهود والنصارى ﴿إلا من بعد ما جاءتهم البينة﴾ أى محمد ﷺ أو القرآن. المعنى أنهم كانوا مجتمعين على الإيمان به إذا جاء، تفرقوا فمنهم من كفر بغيًا وحسدًا ومنهم من آمن به، كقوله تعالى: ﴿وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيًا بينهم﴾.

« تمت سورة البينة »

****

سورة الزلزلة

١١٥٠ ـ قوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١﴾.

إن قلت: لم أضاف الزلزال إلى الأرض ولم يقل: زلزالاً كما قال ﴿إذا دكت الأرض دكًا دكا﴾؟

قلت: ليدل على أنها زلزلت الزلزال الذى تستحقه فى حكمته تعالى ومشيئته فى ذلك اليوم، وهو الزلزال الذى ليس بعده زلزال.

١١٥١ ـ قوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨﴾.

ليس بتكرار لأن الأول متصل بقوله تعالى: ﴿خيرًا يره﴾ والثانى متصل بقوله تعالى: ﴿شرًا يره﴾.

فإن قلت: كيف عمم فيهما مع أن حسنات الكافر محبطة بالكفر، وسيئات المؤمن الصغائر مغفورة باجتناب الكبائر؟

قلت: معناه فمن يعمل مثقال ذرة من فريق السعداء خيرًا يره، ومن يعمل مثقال ذرة من الأشقياء شرًا يره.

« تمت سورة الزلزلة »

****

١١٥١ - راجع الطبرى والقرطبى ٢٠/ ١٥٠ والبرهان ٥٧١.

سورة العاديات

١١٥٢ ـ قوله تعالى: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ﴿٣﴾﴾.

أقسم تعالى: بثلاثة أشياء وجعل جوابها ثلاثة أشياء وهى قوله: ﴿إِنَّ الإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾﴾.

١١٥٣ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾.

إن قلت: كيف قال ذلك، مع أنه تعالى خبير بهم فى كل زمن؟

قلت: معناه أن ربهم تعالى مجازيهم يومئذ على أعمالهم، فتجوز بالعلم عن المجازاة كما فى قوله تعالى: ﴿أولئك الذين يعلم ما فى قلوبهم﴾ أى مجازيهم على ما فيها.

﴿ تمت سورة العاديات ﴾

****

١١٥٢ - الدر المنثور ٦/ ٣٨٣ وتفسير أبى مسعود ٥٠/ ٢٨٠ والبرهان ٥٧٢.

سورة القارعة

١١٥٤ ـ قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴿٧﴾﴾.

جمع فيه وفيما بعده الميزان مع أنه واحد، باعتبار تعدد الموزونات والموزون لهم وقيل: هى جمع موزون.

إن قلت: كيف قال فيمن خفت موازنيه ﴿فأمه هاوية﴾ أى فمسكنه النار، مع أن أكثر المؤمنين، سيئاتهم راجحة على حسناتهم.

قلت: قوله ﴿فأمه هاوية﴾ لا يدل على خلوده فيها، فيسكن المؤمن فيها بقدر ما تقتضيه ذنوبه، ثم يخرج منها إلى الجنة.

وقيل: المراد بخفة الموازين خلوها من الحسنات بالكلية، وتلك موازين الكفار.

« تمت سورة القارعة »

****

سورة التكاثر

١١٥٥ ـ قوله تعالى: ﴿كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤ كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۝٥﴾.

﴿كلا﴾ فى المواضع الثلاثة قيل: للردع والزجر عن التكاثر وقيل: بمعنى حقًا وقيل: الأولان للردع والزجر والثالث بمعنى حقًا وهو أشهرها.

١١٥٦ ـ قوله تعالى: ﴿.. سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣﴾ ذكره مرتين للتأكيد أو الأول للقبر والثانى للقيامة أو الأول للكفار والثانى للمؤمنين.

١١٥٧ ـ قوله تعالى: ﴿كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۝٥﴾.

جواب ﴿لو﴾ محذوف تقديره: لو تعلمون الأمر يقينًا لشغلكم ما تعملون عن التكاثر والتفاخر.

١١٥٨ ـ قوله تعالى: ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ۝٧﴾.

أعاده بقوله: ﴿ثم لترونها﴾ تأكيدًا أو الأول قبل دخولهم الجحيم والثانى بعده ولهذا قال عقبه ﴿عين اليقين﴾ أو الأول من رؤية العين والثانى من رؤية القلب.

١١٥٩ ـ قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ۝٨﴾ يعم المؤمن والكافر، فالمؤمن يسأل عن شكره النعمة والكافر يسأل عنها سؤال توبيخ.

« تمت سورة التكاثر »

****

١١٥٥ - القرطبى ٢٠/١٦٨ والبرهان ٥٧٤.
١١٥٦ - البرهان ٥٧٥.
١١٥٨ - الكشاف ٤/٢٨١ والبرهان ٥٧٦.

سورة العصر

١١٦٠ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾﴾.
المراد بالإنسان الجنس، فالاستثناء بعده متصل، وقيل: المراد به ﴿أبو جهل﴾ فالإستثناء منقطع.

١١٦١ ـ قوله تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾.
كرره لاختلاف المفعولين.

« تمت سورة العصر »

****

١١٦٠ - القرطبي ٢٠/ ١٨٠.
١١٦١ - انظر القرطبي ٢٠/ ١٨٠ والكشاف ٤/ ٢٨٢ والبرهان ٥٧٨.

سورة الهمزة

١١٦٢ ـ قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ ①﴾.

أى كثير الهمز واللمز، والهمز: اللمس باليد أونحوها واللمز: العيب وقيل: هما بمعنى، فالثانى تأكيد للأول وقيل: الأول المغتاب والثانى القتات أى النمام وقيل: الأول العياب فى الوجه والثانى العياب فى القفا، وقيل: الأول يكون بالعين والثانى باللسان وقيل عكسه.

١١٦٣ ـ قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ ②﴾.

﴿الذى جمع مالاً﴾ بالجر بدل من «كل» أو بالنسب بإضمار أذم أو بالرفع مبتدأ خبره يحسب.

« تمت سورة الهمزة »

✻✻✻✻✻✻✻✻✻✻

سورة الفيل

١١٦٤ ـ قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾﴾.

مفعول «ترى» محذوف، لا «كيف» لأنه استفهام فلا يعمل فيه ما قبله، فهو مفعول فعل بعده.

١١٦٥ ـ قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾﴾.

﴿أبابيل﴾ أى جماعات جماعات وقيل: لا واحد له، وقيل: واحدة إبال، وإبالة أو إبول أو إبيل.

« تمت سورة الفيل »

****

١١٦٤ - متشابه القرآن ٢/٧٠٢/ ٨٧٣ والبرهان ٥٨٠.

سورة قريش

١١٦٦ - قوله تعالى: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ۝١ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ۝٢﴾.

إيلافهم الثانى تأكيد للأول، أو بدل منه واللام متعلقة بـ «جعلهم» من سورة الفيل، لأنهما كالسورة الواحدة، بدليل اسقاط البسملة من بينهما فى «مصحف أبى» والمعنى: أنه أهلك أصحاب الفيل لإيلاف قريش، وقيل: معناه أعجبوا لإيلاف قريش، وكان لها فى كل سنة رحلتان للتجارة، رحلة فى الشتاء إلى اليمن ورحلة فى الصيف إلى الشام.

« تمت سورة قريش »

****

١١٦٦ - انظر البحر المحيط ٨/٥١٣.

سورة الماعون

١١٦٧ ـ قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴿٥﴾﴾.

فإن قلت: كيف توعد الله الساهى عن الصلاة مع أنه غير مؤاخذ بالسهو، لخبر «رفع عن أمتى الخطأ والنسيان»؟

قلت: المراد بالسهو هنا: التغافل والتكاسل عن أدائها، وقلة الالتفات إليها، وذلك فعل المنافقين أو الفسقة من المسلمين، لا ما يتفق فيها من السهو بالوسوسة أو حديث النفس عما لا صنع للعبد فيه.

« تمت سورة الماعون »

****

١١٦٧ - البرهان ٥٨٢.

سورة الكوثر

١١٦٨ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝١﴾.
هو نهر فى الجنة أو هو حوضه ﷺ ترد عليه أمته، أو هو الخير الكثير من النبوة والقرآن والشفاعة ونحوها.

« تمت سورة الكوثر »

****

١١٦٨ - الدر المنثور ٦/ ٤٠٢ ومتشابه القرآن ، رقم ٨٧٨ والبرهان رقم ٥٨٣.

سورة الكافرون

١١٦٩ ـ قوله تعالى: ﴿وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾﴾.

لم يقل «من» مع أنه القياس، رعاية لمقابلة «ما» فى قوله «ما تعبدون» وكرر قوله: ﴿لا أعبد ما تعبدون. ولا أنتم عابدون ما أعبد﴾. مرتين لأن الأولى للحال والثانية للاستقبال، وقيل: لمقابلة سؤالهم مرتين حيث قالوا يامحمد: تعبد آلهتنا كذا مدة، ونعبد إلهك كذا مدة.

« تمت سورة الكافرون »

****

سورة النصر

وتسمى سورة التوديع.

١١٧٠ ـ قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١﴾.

جواب «إذا» فسبح أو محذوف تقديره: حضر أجلك أى إذا جاء نصر الله إياك على من عاداك حضر أجلك، وكان رسول الله ﷺ يقول لما نزلت هذه السورة: نعى الله إلىَّ نفسى وقال الحسن: أعلم النبى ﷺ أنه قد اقترب أجله فأمر بالتسبيح والاستغفار ليختم له فى عمره بالزيادة فى العمل الصالح، فكان يكثر من قوله: «سبحانك اللهم اغفر لى انك أنت التواب» وروى أن النبى ﷺ عاش بعد نزولها سنتين.

« تمت سورة النصر »

****

سورة المسد

١١٧١ ـ قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾.

قوله تعالى: ليس بتكرار مع ما بعده، لأنه دعاء والثانى خبر، فقد تب أى خسر وقيل: ﴿تبت يدا أبى لهب﴾ أى عمله ﴿وتب﴾ أبو لهب.

إن قلت: كيف ذكره الله تعالى بكنيته دون اسمه وهو «عبدالعزى» مع أن ذلك إكرام واحترام؟

قلت: لأنه لم يشتهر إلا بكنيته أو لأن ذكره باسمه خلاف الواقع حقيقة، لأنه عبد الله لا عبد العزى أو لأنه ذكره بكنيته لموافقة حاله لها، فإن مصيره إلى النار ذات اللهب، وإنما كنى بذلك لتلهب وجنتيه واشداقهما.

« تمت سورة المسد »

****

١١٧١ - راجع التفسير الكبير للفخر الرازى ٣١/١٧٢ والكشاف للزمخشرى ٤/٢٩٦، والبرهان للكرمانى مسألة رقم ٥٨٦.

سورة الإخلاص

١١٧٢ ـ قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢﴾.

كرر لفظ «الله» لتكون الجملة الثانية مستقلة بذاتها كالأولى غير محتاجة إلى الأولى.

فإن قلت: كيف ذكر «أحد» فى الاثبات، مع أن المشهور أنه يستعمل بعد النفى، كما أن الواحد لا يستعمل إلا بعد الاثبات، يقال: فى الدار واحد، وما فى الدار أحد، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وإلهكم إله واحد﴾ وقوله: ﴿لله الواحد القهار﴾ وقوله تعالى: ﴿ولا تصل على أحد منهم مات أبدا﴾ وقوله: ﴿لا نفرق بين أحد من رسله﴾؟

قلت: قال ابن عباس رضى الله عنهما: لا فرق بينهما فى المعنى.

واختار أبو عبيدة ويؤيده قوله تعالى: ﴿فابعثوا أحدكم بورقكم﴾ وعليه فلا يختص أحدهما بمحل دون الآخر فى الإثبات ويجوز أن يكون العدول عن المشهور هنا، رعاية للفاصلة بعد.

« تمت سورة الاخلاص »

****

١١٧٢ - انظر القرطبى ٢٠/ ٢٤٥ والطبرى ٣٠/ ٢٣٣ والبرهان ٥٨٧.

سورة الفلق

١١٧٣ ـ قوله تعالى: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾﴾.

﴿من شر﴾ كرره أربع مرات لأن شر كل منهما غير شر البقية عنها.

فإن قلت: أولها يشمل البقية فما فائدة إعادتها؟

قلت: فائدتها تعظيم شرها، ودفع توهم أنه لا شر لها لخفائه فيها.

فإن قلت: كيف عرف «النفاثات» ونكر ما قبلها وما بعدها؟

قلت: لأن كل نفاثة لها شر وليس كل غاسق وحاسد له شر، والغاسق: الليل.

« تمت سورة الفلق »

****

١١٧٣ - انظر القرطبي ٢٠/٢٥٧ والبرهان ٥٨٨.

سورة الناس

١١٧٤ ـ قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝١ مَلِكِ النَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ النَّاسِ ۝٣﴾.

ذكر فيها الناس خمس مرات تبجيلاً لهم، أو لانفصال كل آية منها عن الأخرى لعدم العاطف، أو المراد بالأول الأطفال بقرينة معنى «الربوبية».

وبالثانى الشبان بقرينة ذكر «الملك» الدال على السياسة وبالثالث الشيوخ بقرينة ذكر «الإله» الدال على العبادة، وبالرابع الصالحون بقرينة وسوسة الخناس، وهو الشيطان المولع بإغوائهم وبالخامس المفسدون بقرينة عطفه على الجنة المتعوذ منهم.

فإن قلت: لم خص الناس بالذكر فى الثلاثة الأولى، مع أنه تعالى رب كل شىء، وملكه، وإلهه؟

قلت: تشريفًا لهم وتفضيلاً على غيرهم.

١١٧٥ ـ قوله تعالى: ﴿الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ۝٥ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ۝٦﴾.

أى يوسوس فى قلوبهم، ﴿من الجنة والناس﴾ بيان للشيطان الموسوس، فهو جنى وإنسى كقوله تعالى: ﴿شياطين الإنس والجن﴾.

وأعرض بأن الناس لا يوسوسون فى صدور الناس، إنما يوسوس فى صدورهم الجن، وأجيب بأن الناس يوسوسون فى صدور الناس أيضًا، بواسطة وسوستهم لهم، بمعنى يليق بهم في الظاهر حتى تصل وسوستهم إلى الصدور، والله أعلم.

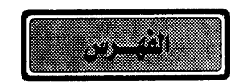
« تمت سورة الناس »

وتم بعونه تعالى الكتاب، والحمد لله فى البدء والختام

****

١١٧٤ - البحر المحيط ٨/ ٥٣١ والبرهان ٥٨٩.

١١٧٥ - الدر المنثور ٦/ ٤٢٠.



الفهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

رقم الإيداع
٩٨/٨٠٦٨
I.S.B.N.
977 - 294 - 082 - 5

مطابع آمـــون
٤ الفيروز من ش إسماعيل اباظة
لاظوغلى - القاهرة
تليفون : ٣٥٤٤٥١٧ - ٣٥٤٤٣٥٦